





موجز ما جاء في الجزءين الأول والثاني

ولدت فى (جنيف) ، فى سنة ١٧١٦ ، لاب كان يعمل فى صناعة السماعات ، ولام توفيت عند بولدى ، وبدلا من ان يكرهنى ابى لذلك ، فإنه أسرف فى حبه لى ، لافنى كنت شديد الشبه بأسى .

تنبه إحساسى قبل أن يتنبه غكرى . ثم عمد أبى إلى اسلوب خطر ، إذ أشركنى في قراءة الروايات والكتب الدسمة.

اضطر ابى إلى أن يهجر (جنيف) عقب مسلجرة بينه وبين عسكرى فرنسى ، كادت تلقى به إلى السجن دون مبرر تانونى - غبقيت فى كنف خالى « برنار " ، الذى كان متزوجا من عمتى ، والذى أرسطنى مع ابنه إلى ا بوسى ا لنقيم فى رعاية القس البروتستانتي « لامبرسييه » ، ولنتلقى العلم على يديه ويدى أخته ، وكانت الآنسة « لامبرسييه » تولينى حنان الام، ولكن عقابها إياى نبه المشاعر الحسية والشهوانية فى كباتى ؛

على اثر عتاب ظالم ، لذنب لم ارتكبه ، كرهت الظلم ، وولت طمانينة طفولتى . . والحقنى خالى بمكتب موثق للعقود، على أمل أن أثمق طريقى فى المحاماة للها بعد لله ولكنى لم استسنع هذا العمل .

قسرر خالى ان من مصلحتى ان انعلم حسرفة ؛ فالحقني كصبى - او تلبيذ صانع - لدى حفار كان بقش على الماس . وهناك اختلطت بالعمال الذين كانوا مناسسة المساسات المسال

السرقة؛ لا سيما وأن معلمي كان يقسو على بالعقاب والحرمان. ومع ذلك مانني لم اكن أسرق حبا في المال أو الحيازة . . وإلى جانب هذا ، اشند شنفني بالقراءة حتى أصبح تهوسا .

واضطرتني مسود معلمي ، وننوري من حياتي هذه ، إلى الهرب من اجتيف) . . وانتهى بي المطاف إلى سيدة محسفة في (انيسي) ، كان ملك سردينيا قد خصها بمعاش ، لانها اعتنقت الكاثوليكية . . تلك هي " مدام دى خاران " التي أشفت على، وارسلتني إلى دير نبذت فيه عقيدتي البروتستانتية ، وأصبحت كاثوليكيا .

واستطبت بعد ذلك حياة الترحال ، وعانيت النامة والمتاعب ، ثم انتهيت إلى العودة إلى السيدة دى غاران ، التي رحبت بي ، وانزلتني من نفسها منزلة الابن ، وأفردت لي غرفة في دارها ، وراحت تلفق على تعليمي الموسيقي ، رغم تضاؤل مواردها . . وتعلقت بهذه السيدة تعلقا ملك على كل حواسي وعقلي . . وبمرور الأيام صرت أدعوها « ماما » !

« ماما » مرة لأعاون السيد « لوميتر » ، الذي كان رئيسا لفرقة الموسيقي بكنيسة (انيسي) ، والذي اختلف مع بعض رهبان الكنيسة غشاء أن يفر من وجوههم . . وقد رافقته إلى (ليون | ، حيث أخذت تعاوده نوبات الصرع ، لفرط إسرائه في الشراب ، نفررت منه في إحدى هذه النوبات ، وعدت إلى (انیسی) . . وإذا بی أفاجاً بأن « ماما « قد رحلت في بعض شئوتها ، ولم أدر لها متصدا أو مقرا !

وأمّيت غيرة مع « غينتور » ، وهو شاب كنت أعرضه من قبل، وكان يزعمانه موسيقي موهوب، وكان لبقا، ،أنيتا، مرحا، يستهوى النمساء . وفي تلك الأثناء ، كان أبي تد تزوج من أمراة على شيء من الدهاء والقول المعسول، وشغل عنى بأولاده منها.

وانتهى بى المطاف إلى (لوزان) ، حيث رحت أتكسب عبشى بتدريس الموسيقي ، باذلا جهدي - في الوقت ذانه - إلى تنمية معرفتي بها ، وحاولت إذ ذاك أن أكون ملحنا ، دون ما إلمام كاف بأصول التلحين ، فمنى لحنى الأول بنشل ذريع ، جعلني أعيش في حزن وهوأن لفترة من الوقت .

ولم اكت طيلة هذه الاحداث عن الحنين إلى « ماما » ، لا لحاجتي المادية محسب ، وإنما لحاجتي التلبية قبل كل شيء! ٠٠ ومع ذلك ، فإن تعلقي بها _ رغم ما كان عليه من تأجج وقوة - لم يكن ليحول بيني وبين أن أهب غيرها . ولكن ، على غير شاكلة حبى لها!

وقدر لي أن أذهب إلى باريس ، ولكنني لم الق فيها الحظ الذي كانت تصوره لي أحلامي . على أنني ظفرت هناك بنبأ جعلني انطلق من جديد بحثا عن السيدة دي « مَاران »، و هكذا " اخذبت اجوب الأقاليم على غير هدى ، متعرضا للتشرد ، والتضور جوعا ، والنوم في الطرقات . . حتى عرفت أخيرا ان « ماما » الحبية قد استقرت في (شامبيري) ، مُخْفَقت إليها . . وبا كان أحلاه بن لقاء !

Looloo

واستطاعت « ماما » أن تحص المراسطة والمستعدد ا

بخادمها وعشيقها « كلود آنيه » ، بل قامت بين «ثلاثتنا» زمالة قد لا يكون لها مثيل على الأرض ! . . وما لبت « آنيه » أن مات و وهو في ربعان شبابه . نحللت محله في تدبير شئون «ماما» وماليتها ، ولاحظت ان مواردها كانت في نضوب » فأخذت أعمل جامدا على أن اجنبها هاوية الإفلاس .

وانتهى بى التفكير إلى وجوب المصلول على عمل ، كى اعول من تخطه ، أعول من تخطه ، وفي سبيل ذلك رأيت أن اتعلم التلحين ، فكان هذا الاتجاه عاملا جلديا على تبديد مواردها المنسائلة ! . . وكذلك شرعت في تاليف الأغانى .

وقضيت عامين أو ثلاثة بين الموسيقى ، ومجالسة الحكام وذوى الجاه، والرحلات ، وما فبثت صحتى ان أخذت تنداعى، وغلبنى الاكتئاب والاسى والتشاؤم ، فنصح لى الطبيب بأن النيم في الريف ، وسرعان ما استاجرت « ماما » منزلا ذا حديقة وبستان ، في ضيعة (شارميت) ، وهناك ، نعمت باهنا غترة في حياتى ، ، مع » ماما » !

ولكنه كان هناء قصير الأجل ، ، فنى تلك الأثناء ، شعرت بضعة فى الثلب ، وضيق فى التنفس ، وطنين فى الأذنين، وتراح فى حيويتى ، مما أوحى إلى بأن عمرى لن يطول ، فرايت أن استهتع بما تبقى منه اعظم استبتاع ، واقبلت على درامسة العلوم والآداب ، كما أكثرت من الأسفار ، انشد علاجا لعللى.

وفي إحدى هذه الأسفار ، التقيت بالسيدة دى ١ لارناج ١ وكانت تكبرني في السن كثيرا ، ولكنها و عند المدن على أمواني

« الساحة » ، نبدأت اكسب عيشى بعمل مشرف ! . . وكانت هذه خير خاتبة لباكورة صباى !

واقبت في دار « ماما » ، ولكنها لم تكن في بهاء دارها الأخرى في (انيسى) ، إذ كانت بوارد «ماما» في نضاؤل ، وكانت أبورها مضطرية ، وفي هذه الحياة الجديدة ، اكتشفت أن «ماما» كانت على علاقة بخادمها الوفي « كلود آئيه » ، وكان شابا لا يكبرني يكثير ، ولكنه كان رزينا وقورا ، غدا منى بمثابة المربى ، وفع ائني لم أنج من الآلم ، إذ ادركت أن ثمة من استطاع أن يعبش مع «ماما» في مودة تقوق مودتي كثيرا ، إلا أن وفائي للسيدة المد إلى الشاب، مقد كنت راغبا في سعادتها هي قبل شيءا

وانصرفت إلى الموسيقى - في تلك الاثناء - في استفراق ملك على خواسى ، وحملنى على أن استقبل من عملى في «المساحة» ، وأن استعين على الحياة يندريس هذا الفن . وقادنى هذا إلى المجتمع الراقى، وإلى دور ذوى الجاه والثراء. ويتدر ما تعرضت للمفازلات من فتيات وتساء هــذا الوسط ، فإن سدّاجتى - التي دهبت إلى درجة الفباء - كانت تفوت على الفرص ، إلى أن أحست «ماما » بأن إحدى السيدات كانت توشك أن توقعنى في أهابيلها، فأشفقت على من مخاطر شبابى، وراق أن تتقدن منها باغرب طربقة خطرت لامسرأة في مثل ظروفها . . بأن تبتدنى منها باغرب طربقة خطرت لامسرأة في مثل ظروفها . . بأن تبتدنى نفسها !

وأخذت « ماما » تروى عطشى إلى النساء من معينها .. على ان العلاقة البدنية لم تفسد شيئا من براءة علاقاتنا العاطفية والروحية والفكرية ، كما أنها لم تؤثر على عسلاقة كل منا

حتى إذا رات ما كان الخجل والتردد يخلقانه من قبود تشل إقبالي عليها ، لم تتورع عن أن تكون هي البادئة بالعناق والتغبيل ، واصبحت عشيتتي خلال الرحلة ، ولو أنني عشت مائة عام ، لما استطعت أن أفكر قط في هذه المراة الفاتنة دون ان يطفى السرور على ! . . كانت متعتى مع « ماما » مشوبة بالأسى والضيق . . أما مع السيدة دى لارناج، فقد كنت فخورا برجولتي ٤ مزهوا بسعادتي ،

وكانت صدمة لي أن عدت إلى " ماما " ، فوجدت أن شابا قد حل محلى اثناء غيابي . . وكان شابا جاهلا ، مغرورا ، استطاع أن يفرض على « ماما الا سلطانه الا علم أستطع أن اطيق بقاء إلى جوارها ، وقررت أن أهجر الدار ، وأن أرحل إلى باريس ، لأعرض على " الأكاديبية " طريقة ابتكرتها لتسجيل « النوتة » الموسيقية بالأرقام بدلا من العلامات .

الكتاب الثاني

وصلت إلى باريس في خريف سفة ١٧٤١ . . والسنطاع بعض من حملت إلبهم خطابات للتوصية ، أن يمكنني من التقدم إلى « الأكاديهية » برسالتي التي قدر لي أن يناتشني فيها علماء لم يكن بينهم من له إلم كاف بالموسيقى ، مانتبوا إلى الحكم بعدم صلاحية طريقتي ، وبدلا من أن أستسلم للقنوط ، أسلمت نفسى للخمول وللقدر ، ورحث اقتر على نفسى لأميد بما تبقى من مواردي المتضائلة.

والآن . . تعال نتابع « روسو » وهو بشق طريقه إلى تمة المجد في المجتمع الباريسي .

ولقد كانت السكيفة ، واللذة ، والثقة التي استسلمت بها لهدده الحياة الشاملة المنعزلة _ بالرغم من اننى لم اكن امتلك موارد تبكنتي من أن أستمر غيها ثلاثة أشهر - من الصفات الفدة في حياتي ، ومن الطواهر العجيبة في طباعي ! . . كانت الحاجة البالغة إلى أن أجد من يعني بي ، هي عين الشيء الذي جردني من الجراة على أن أطهر بين الناس . . كما أن الضرورة التي كانت تدعوني إلى زيارة الناس ، جعلت الزيارات أمرا لا أطبقه ، حتى أنني كنفت عن زيارة أعضاء المحفل انفسهم وغيرهم من رجال الأدب ، الذين قد تعرفت البيه ، وأصبح « ماريغو » والراهب دى 5 مايلي » و « فونتنيل » هم الوهيدون _ تقريبا _ الذين ظللت أزور دورهم في بعض الاحابين . كذلك اطلعت اولهم على مسرحيتي الهزلية «فارسيس» غراقت له، وتكرم بأن أدخُل عليها بعض التنتيح ! . . وكان " ديدرو " يصفرهم كثيرا في السن، فقد كان يقاربني عمرا . وكان مولما بالوسيقية ملما بنظرياتها ، ومن ثم فاننا كنا نتحدث عنها ، كما أنه كان يحدثني عن مشروعاته الأدبية ، عَطْق هذا بيننا رابطة من الود القوى دأمت خبس عشرة سنة ، وكان من المحتبل ان تدوم زمنًا أطول ، لو انني لم أدفع دفعا _ لسوء الحظ _ إلى مينته ذاتها . ، وكان هو صاحب الذنب في ذلك !

ولن يمكن تصور الطريقة التي استغللت فيها هـ ذه الفترة القصيرة ، الثبينة ، التي سبقت اضطراري إلى أن أتسول قوتى أ . . فلقد حفظت عن ظهر قلب اجزاء من الشعر كنت قد درستها قبل ذلك مائة مرة ونسينها والمنديد المشي كل صباح _ في حوالي الساعة الساعة

(لوكسمبورج) ، حاملا « شيرجيل » أو « روسو " في جيبي (١) . واروح اردد في ذهني - حتى موعد الغداء - احد الأناشيد القدسية ، أو أحد أناشيد الرعاة ، دون أن يتبط من عزيمتي الذي كنت واثقا من انفي لن البث _ إذ اردد الحارء الذي اخترته ليومى - أن أنسى الجزء الذي حفظتـ بالأيس . . وتذكرت أن الأسرى الاثنينين _ بعد هزيبة « نيسسياس » في (سراكيوز) - (٢) كانوا بستبدون توتهم من ترديد اشمار « هوم وس » ، ولقد كان الدرس الذي استخلصته من هذه، كي أعد نفسى للفاقة ، هو أن أروض ذاكرتي البديعة على حفظ جميع الأشمار عن فلهر قلب !

وكانت لدى طريقة مبنكرة مكينة آخرى في الشطرنج ، الذي كنت أكرس له بانتظام عترة ما بعد الظهر - من الأيام التي لم اكن أذهب نيها إلى المسرح - في متهى " موجى " . وقد تعرفت هناك إلى السميد دى « ليجال » ، وإلى سيد يدعى « هوسون » ، وإلى « خيليدور » ، وإلى جيع لاعبي الشطرنج الكبار في ذلك العهد ، دون أن أحرز مزيدا من التقدم في اللعب ، على انني لم اكن أرتاب في أنني لن البث أن أغدو في النهاية أتوى منهم جميعا ، وكان هذا ... في رأيي ... كانيا....ا

لأن يمدني بمورد للعيش ، وكتت كلما استهوتني فكرة طائشة جديدة ، رحت اندبرها بقنس الطريقة دائمسا . . كنت أتول لنفسى : « أن الذي يبرز في شيء ، يطبئن دائما إلى أنه منشود. مُلنبرز إذن ، في أي شيء ، وإذ ذاك أغدو مرغوبا . . إن الفرص مانجة ، وعلى كفاعتى ينوقف ما يقى من الأمر! » . . ولم يكن هذا التفكير الصبيائي وليد سفسطتي ، وإنها كان نناج كسلى. عقد كنت في جزعي من الجهود الضخمة السريعسة التي كانت خليقة بان ترهقني ، اسعى إلى أن أزين كسلى لنفسى ، وإلى ان أدارى خطى من ننسى بحجج ملائمة ا

وهكذا مكثت ساكنا إلى أن أنتهت نقودي ، واعتقد أنني كنت على استعداد لأن اتبع هتى آخر السو الدى ، دون اى قلق ، لو لم يوقظني الآب " كاستيل " - الذي كنت أذهب لزيارته احيانا ، وأنا في طريقي إلى المقهى ... من سباتي . ولقد كان الأب « كاستيل » مخبولا ، ولكنه كان ـ برغم هذا _ رجلا طيبا . وقد غاظه أن رآني أبدد وقتى وامكانياتي بهذا الشكل، دون أن أغمل شيئًا - فقال لي : « ما دام الموسيقيون ؛ وما دام العلماء ، يابون أن يغنو ابطريقتك ، معدل من أوتارك ، وجرب النساء ، ولعلك تكون _ في هذه الناحية _ اكثر توفيقا ! . . لقد تحدثت عنيك إلى السيدة دى " بوزينغال " ، غاذهب لزيارتها ، واذكر انك قادم من لدني ! . . انها امراة طيبة ، يسرها أن ترى شخصا من موطن زوجها وابنها (١) ، ولسوف



⁽۱) يتمد ديواني الشاعرين " كيچيل " و " جأن باتيست روسو " ،

⁽١) كان نيسياس من أشعى القادة الاغسريق الغين بسرزوا في حسروب البلوبونيز ، وقد هزم وهلك في حملة منظية في سقة ١٣) قبل البلاد .

الواجب للمواهب . وقد حكيت على _ في هـذه المناسعة _

بمسلكي أكثر منها بملبسي الذي كان _ برغم بساطته المتناهية

_ لانتا كل اللياتة ، ولا ينم قط عن رجل يؤاكل الضدم . .

لا سيباً وأننى كنت قد نسيت الطريق إلى مائدة الخدم من

زمن طويل ، ولم اكن راغبا في أن التعلمها من جديد (١) ..

وقلت للسيدة دي بوزينفال ــ دون أن أبدي غضبي ــ انني دفكرت أن لا بد لي من العودة إلى مسكني لمهمة بسيطة .

غاقتریت مدام دی بروجلی من امها ، وهمست فی اذنبها ببضع

كلمات كان لها تأثير سريع ، إذ نهضت مدام دى بوزينفال

لت تبعيني قائلة : « انني أقصد أن يكون تشريفك إيانا

بالغداء . . معنا ! » . ورايت أن التشبث بالكرامة عمل أخرق؛

مُمكثت ، وإلى جانب ذلك ، كان لطف السيدة دى بروحسلي

قد ملك تلبي ، وجعلني ارتاح إليها ، فكنت جد مفتبط بتناول

الغداء بمها . وداخلتي الأمل في أنها لن تندم ـــ إذا بما عرغتني

حيداً - على أنها أولئني هذا الكرم ، ولقد تناول الغداء هناك

أيضا ، السيد رئيس إ لاموانيون) ، وهو من اعظم اصدتاء

الأسرة ، وكان _ كالمسيدة دى بروجلي _ بالف اللهجـة

الباريسية الموجزة ، التي تتألف من كلمات صغيرة ، كلها كنايات

بسيطة رفيعة . . ولم يكن لجان جاك البائس مجال للنالق في

هذا الضمار ! . . وكنت من حسن الادراك بحيث انفي لم اشا

تلتقي في دارها باينتها السيدة دي « بروحلي » ، وهي امراة زكية . ، وهناك السيدة « دوبان » 4 وهي الأخسري مبن حدثتهن عنك ، فاحمل اليها مؤلفك ، لأنها تنوق إلى رؤيته ، وسوف تحسن استثبالك ! . . إن المرء لا يستطيع أن بيرم عملا في أ باريس) إلا بوساطة النساء ، فين كالنحنيات ، التي يكون الحكماء بمثابة الخطوط التقاربية (١) لها . . فالفريقان يتقاربان باستمرار ، ولكنهما لا يتماسان ابدا ! » .

وبعد أن أرجأت هاتين المهمتين المتعبتين من يوم إلى آخر ، استجمعت أخيرا شمجاعتي، وذهبت لزيارة السيدة «بوزيتنال»: فأكرمت ومادتي ، وإذ دخلت السيدة دي « بروجلي » المرمة، بادرتها قائلة : « ها هو ذا ؛ يا أبنتي ؛ السيد روسو الذي حدثناً عنه الأب كاستيل! » ، فاطرت السيدة دى بروجلي مؤلفي ، وقادتني إلى معزفها ، لتريني أنها كانت معنية به . ووجدت أن الساعة قد شارقت الواحدة ، فأردت الاتصراف ، غير أن السيدة دي بوزينف ال قالت لي : « أنك على مسافة بعيدة من مسكنك ، غامكش ، وتفاول غدامك هذا » - ولم أكن بحاجة إلى إلماح . . وبعد ربع ساعة ، ادركت أن المائدة التي دعتنى إليها كانت مائدة الخدم ! . . فقد كانت السيدة دي بوزينفال طيبة ، ولكنها كانت ضيقة الأنق ، شديدة الاعتداد بعراقة أصلها البولندي ، وليست لديها غكرة تذكر عن الاحترام

⁽۱) يعني د روسو ، انه كان ند نسى معاسرة النخم والمعد دري . سنو د ولمانا نفكي ... مما جاء في الجزء الأول - الله تسان مانهما عنزياسوسالامن .

⁽١) النَّخط التتاريبي - أو التتريبي - في الهندسة ، عر خط مستقيم يطابق المنحتى تطابقا لا نهائيا . . أي انهما يتتاربان دائماً دون أن يتماما ا

مستحسن صنعا إذا انت استعنت به بين وقت وآخر!» . ولقد احتفظت لأكثر من عشرين عاما 4 بهذه النسخة 4 معترفا عفل اليد التي جاءتني عن طريقها ، وإن كنت كثيرا ما أضحك للرأى الذي لاح أن هذه السيدة قد ارتأته عن مؤهلاتي للظرف والملاطفة . . ومنذ اللحظة التي طالعت فيها هذا الكتاب ، رغبت في أن أخطب ود صاحبه ، وقد حققت الأحداث هذه الرغبة ، فاذا هو الصديق الصادق الوحيد لي بين رجال الأدب (١) ·

وجرؤت - منذ ذلك الحين - على أن أطمئن إلى أن السيدة البارونة دى بوزيندال ، والسيدة المركيزة دى بروجلي - وقد اعتبتا بأبرى سالن تدعاني طويلا بلا بمسدر للعيش ، ولم اخطىء الحدس ! ٠٠ مُلنتكلم الآن عن دخولي دار السيدة ا دومان » ، الذي كانت عواتبه اطول مدى وأجلا !

كانت السيدة « دوبان » _ كيا هـو معـروف _ الله صبويل برنار ، والسيدة فونتين . ، وكن ثلاث الحروات ، بن المكن أن يدعين بالحسان الثلاث : السيدة ديلا توشى _ التي فرت إلى انطِترا مع دوق كينجستون _ والسيدة دارني ، عشيقة السيد الأمير دى كونتي ، بل _ بالأحرى _ صديقته ،

ان أتظره بالرغم من « منيرفا " (١) ، قامسكت لساني ا . . باكان اسعدئي لو أننى كفت دائما بيده الحكمة أ. . لقد كنت بهذا جديرا بالا اتردى في الدرك الذي أجدني اليوم فيه !

ولقد استأت لما بدوت عليه من ثقل الغهم ، ولعجزي عن أن ابرر _ في نظر السيدة دي بروجلي _ ما غطته هي من أجلي. لذلك لجات _ يمد الغداء _ إلى موردى المعهود . غقد كانت في جيبي رسالة شعرية ، كتبتها إلى « بريسو » أثناء بقامي في (ليون) ، ولم تكن الحرارة تعوز هذه القصاصة ، نعبدت إلى قراءتها ، واستطعت أن أحمل ثلاثتهم على البكاء . ولقد خيل إلى _ سواء عن غرور ، أو عن صدق في تأوبلاتي _ أنفي رايت عيني السيدة دي بروجلي تقولان بنظراتهما الأمها : الرجل كان اكثر جدارة بان يتتاول غداءه معنا منه مم وصيفاتك ؟ » . • وكنت حتى تلك اللحظ له مئت ل القلب ، ولكنني شعرت بالرضى بعد أن ثارت لننسى على هذا النحو . ولقد تهادت السيدة دي بروجلي تليلا في الرأي الطيب الذي داخلها نحوى ، معتقدة اننى لن البث أن أثير ضجة في (باريس)، وان أغدو ذا حظوة لدى التساء . ولكي ترشدني في هذا الجال الذي كنت غير خبير به ، أعطتني المذكرات الكونت . . . ا ، قائلة : « أن هذا الكتاب مرشد ستحتاج إليه في المجتمع ،

⁽۱) عقب « روسو » سـ في هلبش بذكراته سـ على هذا بقوله : « هكذا طللت اعتد طويلا ٢ ومن انتفاع واسخ ١ حتى انني عهدت البع مسمنية عودتى الى باريس باعترافاتى ، أذ أن جأل حث الحفم المدرس ، أم يون عط بوجود المديج والخداع ؛ الا بعد أل سوجود المدير والخداع ؛ الا بعد أل

⁽١) مينومًا وبه الذكاء والحرب والقنون لدى اليومان ، ويشير ا روسو ؟ بهذا التعبير الى انه لم يشا أن يدعى ما كان يعبدا عن أن يسعفه نبه ذكاؤه

مرتين أو ثلاثًا في الأسبوع ، وكنت أموت شوقًا إلى مصارحتها

بحبى ، ولكنني لم أجسر على ذلك ، فقد ضاعفت من خطي

الطبيعي عدة أسباب . . كان دخول أي بيت من بيوت الأثرياء

المرغبين ، بمثابة باب مقتوح للحظ ، غلم أشا _ في موقفي إذ

ذاك _ أن التعرض لإغلاق هذا الباب ، ثم إن السيدة دوبان

كانت - برغم لطفها - رصينة وباردة ، علم أجد في مسلكها

شيئًا مشجعا يثم جرائي . وكانت دارها متالقة كاية دار

الصديقة الوحيدة المخلصة ، وكانت امرأة جديرة بأن تعبد ، للطف وطبية شخصيتها الفاتفة ؛ بقدر ما هو لذكاتها المستحب، والمرح الدي لم يكن يغارق طباعها ، ، وأخرا ، السيدة « دوبان » ، أجمل الثلاث ، والوحيدة منهن التي لم يكن ثهة عوج يعاب عليها في مسلكها أ. . وكانت جزاء كرم ضيافة السيد دوبان ، إذ أن أمها منحته أياها ، مع منصب اللقترم العام » (١) وثروة صَحْبة لا عسر قالنا لحسن حفساوته بها في إتليه

وكانت _ عندها رأيتها لأول مرة _ لا تزال من أحمل نساه باريس ، وقد استقبلتني في غرفة زينتها ، وكانت ذراعاها عاريتين ، وشعرها مهوشا ، وثوبها مهدلا . . وكان مثل هذا الاستقبال الأول جديدا على 6 غلم يحتبله راسي البائس : واضطربت ٤ وارتبكت ، ، وموحيز القول انتي شغفت هوي بهدام دوبان !

ولم يلح أن اضطرابي قد أحدث أثرا سيئًا ، إذ أنها لم تبد ما ينم عن أنها الحظته ، وفي استتبالها للكتاب ولمؤلفه ، راحت تحدثني عن بشروعي حديث اللهة به . . وغنت ، وصاحبت غنائها بالعزف ، واستبتتني للفداء ، واحلستني الي حانبها حول المائدة . وما كان ثمة ما يدير رأسي أكثر من هذا ، فاذا بي أغدو مجنونا بها ! . . وسمحت لي بأن أتردد عليها ، عاستغالت _ بل اسات استغلال _ هذا السماح ، إذ اصبحت

اخرى في باريس ، في ذلك الحين ، وملتقى جماعات لم يكن يئتصها سوى أن يتل عددها بعض الشيء لكي تغدو نضة من كل نوع من علية القوم . فلقد كانت السيدة تحب أن ترى جهيع المتالتين : من عظماء ، وأدباء ، ونساء جميلات . . وما كان ليرى عندها سوى الدومات ، والسفراء ، وذوى الاشرطة الزرقاء (١) . . ومن المكن اعتبار السيدة الأمرة دي روهان ، والسيدة الكونتة دى فوركالكيه ، والسيدة دى مرسوا ، والسيدة دى برينوليه ، والليدى هيرفى ، بين صديقاتها ! . . كما أن السيد دى فوقتتيل ، والراهب دى سان بيم ، والراهب سالييه ، والسيد دي غورمو ، والسيد دي بيرني ، والسيد دى بوقون ، والسيد دى غولتير ، كانوا من أغراد ندوتها ومن رواد مائدتها . ولو أن مسلكها المتحفظ لم يجت ذب البها عددا كبيرا من الشباب ؛ لكانت الجماعة التي اعتادت الاجتماع في (١) لشب يطلق على مرسان الطبيق المتدبي ، حلن أن من المتعلل أن يتول روسو تد أستعبله هذا بمعنى : المبرزين من النه ١٠٠٠ ١٠٠٠

لامسم دوبان 1

وقد اوعز إلى مد غجاة _ بأن السيدة دوبان اصبحت ترى ان

زياراتي اكثر مما كان ينبغي ، ورجائي أن أكف عنها ! . . ولعل هذه الإشارة كانت في محلها ، لو أنها صدرت عند ما أعادت

السيدة الخطاب إلى - أما وقد صدرت بعد ثمانية أبام - أو

عشرة _ ودون أي سبب آخر ، مُقدد لاحت لي غير ذات

موضوع، ومما زاد الموقف غرابة ، أن هذا لم يضعف الحفاوة -

التي كنت اتابل بها في دار السيد والسيدة دي فرانكويي - عن

ذى تبل ! على أننى خففت من ترددى عليهما ، وكنت موشكا

أن أتطع زياراتي تهاما ، لولا أن السيدة دوبان _ مدفوعة

بنزوة لم انبين إذ ذاك حقيقتها _ سالتني ان اعنى ، لثمانية

ايام أو عشره ، بابشها الذي كان إذ ذاك قد فقد مربيه السابق،

وكان من المنتظر أن يبتى وهيدا ريلها يصل المربى الجديد .

ولتد تنسبت هذه الأيام الثمانية في عذاب ، لم يكن ليجعله

محتبلا سبوى لذة إرضاء السيدة دوبان! . . إذ كان «شبينونسو»

المسكين (١) قد أصيب بخيل كاد أن بجر الخزى على الأسرة ،

وكان سببا في موته بعد ذلك ، في جزيرة ؛ بوربون) ، وأهد

كثت _ اثناء وجودي بجواره _ احسول بينه وبين أن يؤذي

ننسه أو يؤذي غيره . وما كانت هذه المهمة بالسبلة ، كما أنثى

لم اكن لاتولاها ثماتية أيام أخرى 4 ولو منحتنى السيدة دوبان

دارها ، صفوة مختارة ، وبالتالي أكثر وقارا لم ، وما كان لجان جاك البائس أن يزين لنفسه فكرة أن يتألق كثيرا وسط كل هؤلاء! . . لذلك قائلي لم أجسر على أن أغضى للسيدة بعو أطفى: ولكنى لم اعد اطيق صمنا ، فجرؤت على الكتابة . وقد احتفظت بالخطاب يومين ، دون أن تذكر لي شيئًا عنه . وفي اليسوم الثالث ، ردته إلى مع بضع كلمات تأنيب ، قالتها بلججة باردة تجدد لها دمى !.. وحاولت أن أتكم ، ولكن الكلمات ماتت على شنقتى ، وخبا وجدى الفجائي مع أملى ، وبعد هذا الإعلان الكتابي لحبى ، واصلت العيش بقربها كذى قصل ، دون أن الحدثها عن شيء بن عواطفي ، ولو بنظرات عيني !

ولقد فلنت أن حباقتي أصبحت منسبة ، ولكني كنت مخطئًا أ . . وكان السيد دى فرانكويي ، نجل السيد دوبان ، وأبن زوج المسيدة دويان (١) ، يقسارب السيدة في السن ، ويقاربني ، وكان لامع الذكاء ، مليع الهياة ، بحسان الظهـ ور مهظاهر العظمة . ويقال إنه كان مقربا إلى المسيدة دوبان ، لا لشيء إلا لأنها زوجت من أمرأة شديدة الدمامة ، ولكنها ضائية اللطف ، وعاشت معهما في ونام تام ، وكان السيد دي غرانكويي يحب المواهب ويتكفل بمساعدة أصحابها ، ومن ثم مان الموسيقي _ التي كان يلم بها إلماما عظيما _ كانت وسيلة

(١) أي أنه كان ثيرة زواج مسابق للسيد دوبان ، ويالحظ أن ₪ دى ٩ تيل الاسم ، معناه أن صاحبه يحمل لتبا ، وهذا يبرر عدم حمل ، غرانكوبي ،

۱۱) ۱ تسيئونسو به هو اسم ابن بدام دوبان ا

نفسها في يقابل ذلك !

داخلتني عن تلجين « الأوبرا » ، والأهبيـــة التي كنت أسبع الاخصائيين بخلعونها على مثل هذا العمل ، ثبطت عزيمتي في الحال ، وجعلتني اتضرج خجلا لجراتي على التفكي في ذلك! ... ثم، أين لي بمن يرضى بأن يزودني بالأقو ال اللازمة لأبة «أوبرا»، وأن ينجشم عناء تنسيقها وغقا لهواى ١٠٠ ولقد عاودتني هذه الأفكار عن الموسيقي والأوبرا ، أثناء مرضى ، فرحت المان هذياني أنظم الأغاني والثنائيات والأناشيد الجماعية . . واوتن أننى نظبت قطعتين أو ثلاثا لفورى ــ وعفو الخاطر ــ ربها كانت جديرة بإعجاب الأساتذة ، لو أنهم سمعوها تؤدى .. ولو تسنى تسجيل أهسالم امرىء محموم ، غاية اشياء جليلة وعظيمة قد يتبسر استقلاصها أحياتا من هذا الهذبان!

ولقد ظلت موضوعات الموسيقي والأوبرا هدده ، تشملني أثناء تقاهمي ، ولكن في توارد اكثر هدوءا . وبدائع من التفكير في ذلك _ بل وبالرغم من ننسى ـ اعتزمت أن أرضى ننسى ، وأن أحاول وضع « أوبرا » ، بكلابها وموسيقاها ، دون معونة من أحد ، ولم تكن هذه أول محاولة لي ، إذ كنت قد النت في (شامبری) أوبرا وماساة _اوبرا نراجيدي _ بعنوان «ايفيس وأمَّا كساريت ٩ ، وكنت من حسن الإدراك بحيث رميت بها في النار ١٠٠٠ كما نظمت في (ليون) اخرى بعنوان " اكتشاف الدنيا الجديدة » ، لم البث بعد أن قرائها على السيد البورد» ، والراهب دى « مابلي » ، والراهب « تروطيه » وغيرهم ، ان انتبيت بها إلى عين المسير ، بالرغم من التي تشهدة ... كتبت

وأولاني السحيد دي فرانكويي محداتته ، فعيلت بعه ، ويدانا نطقى سويا منهجا في الكيبياء لدى « رويل » ، ولكي اكون على متسرية منه ، تركت نسزلي ــ « سان كينتان » ــ وانتقات للاقامة في " ساحة التنس » بشارع (فردبلبه) ، الذي كان يغضى إلى تسارع إ بلاتير) ، حيث يتيم السيد دوبان ، وهناك ، نشأ عن إصابتي ببرد اعملته ، ان وقعت فريسة القهاب رثوى كذت أموت مغه . وكثيرا ما كنت اصاب في شبابي بتلك الاسراض الالنبابية: التهابات البلورة (ذات الجنب) ٤ والتهابات اللوزنين _ التي كنت ضحبة سيلة لها بوجه خاص _ وغيرها ، مما لا أرائي بحاجة إلى ترجيله هنا ، وكانت جميعا تدممني إلى هيث أرى الموت عن كتب كاف إن آلف شكله ! . . وسنح لي الوقت _ اثناء نقاهتر _ للتنكير في حالي، وللرثاء لجبني ، وضعفي ، وكسلى الذي كان سريقم ما كنت اکتوی به بن نار _ بترکنی اذبل فی خبول ذهنی علی ابواب الماشة!

وكثت في البوم السمايق لوقوعي في المرض ، قد ذهبت لمُساهدة « أوبرا » لروبيه كانت تمثل إذ ذاك ، وتد غاب عثى اسمها . وبالرغم من أن تعنتي في الحكم على مواهب سواي جملني دائها لا أطمئن إلى مواهبي ، فانني لم استطع أن أكبع نفسى من ملاحظة أن الموسيقي كانت بأردة ، ماقدة الحرارة ، خلوا من الابتكار والتجديد . وكنت أجرة _ في بعض الأحيان - على أن أقول لنفسى : « يخبل إلى أن بوسعى أن أصنع خيرا من هذا » . . بيد أن الفكرة _ الباعثة على التبيب _ التي مكنني ــ للمرة الأولى ــ من أن أنذوق لذائذ توقد التربحة في التلحين ! . . وفي ذات مساء كنت اهم بدخول دار « الأوبرا » ، وإذا بي الحدثي نهبا للأمكار ، وإذا بها تطفي على ، مرددت نتودى إلى جيبى ، واسرعت إلى غرفتي واغلقتها على نفسى ، وارتبيت على السرير ، بعد أن أحكبت ستاثر النائذة لأحول دون تسرب ضوء النهار . . وهناك ، اسلبت نفسي تهاما لللهامات الشعرية والموسيقية ، موضعت بسرعة ، وفي سبع ساعات او ثبان ، اروع قسم بن الفصل ١٠٠ وبوسعي ان اقول إن حيى للأبيرة دى « فيرارى » بما إذ اننى كنت « قاس » إذ ذاك - ومشاعري النبيلة المترضعة إزاء اخيما الظالم ، اتاحت لى ــ اللِّلة وأحدة ــ من المتع ما كان يفوق مائة مرة ، كل ما كنت خليقا بأن أجده بين فراعي الأميرة نفسها (١) . . ولم يبق في رأسي _ في الصباح _ سوى تسط بسبط مها نظهته ولحنته ، ولكن هذا الجزء _ الذي شوهه الاجهاد والنعاس تقريبا ــ لم يخفق في أن يكشف عن قوة المقطوعات التي تنقت : JYLLYIS

وفي هذه المرة ، لم ابض يعيدا في هذا المشروع كثيرا ، نظرا لانصرافي إلى الشئون الأخرى . ولم تكن السيدة دى بوزينفال، والسيدة دي بروجلي ــ اللتين ظللت أزورهما من وتت لآخر - قد نسبيقائي ثماما في غمرة تعلقي بأسرة دوبان · فقد حدث أن عين السيد الكوند، دى موننيجي _ الذي كان ضابطًا في

موسيقي المطلع والفصل الأول ، وعندما اطلع « دافيد » على الموسيقي ، أنبأني بأنها كانت تحتوى على مقاطع تليق بيونوتثيني(١)٠

وفي هذه المرة ، أتحت لنفسى وقتا للتفكير في مشروعي ، تبل ان أبد يدى إلى العبل ، ورسبت لفكرة سرحبة بطولية راقصة (باليه إ ثلاثة موضوعات مخطفسة ، في ثلاثة مصول مستقلة ، لكل منها لون من الموسيقي مفاير لما للأخسرين . ونسجت كل منهما حول غرابيات احدد الشعراء ، ثم اسهيتها « عرائس الشعر اللطاف » (٢) .. وكان الغصل الأول يدور حول « تاس »(۲) ، وقد صنفت موسيقاه في اسلوب قوى -اما الفصل الثاني ، فكان عن « أوفيد » ، وكانت موسيعاد رقيقة ، في حين اطلقت على الفصل الثالث اسم " أنا كريون = وقد روعي فيه أن يفوح بأنشاس الاطراء والمديح ! . . وجربت براعتي _ في البداية _ في الفصل الأول ، تعكفت عليه بحماس

الذي تدله في حواها : وثار على مظالم المبع

⁽١) اشتهر بهذا الاسم ثلاثة من الموسيديين الايطاليين ، كاثوا أبا وابنيه ، وقد اتام أسخر الابنين ردحا في انجلترا ، وكان أكثر الثلاثة غميرة .

Les Muses Galantes (t)

⁽٢) تاس : هو الشباعر الابطالي توركاتو تاسو ، ويعتبر ، ل أعظم أصحاب ملاحم البطولة ، وقد عاش في القرن المسادسي عشر ، ولهذا اختار « رومنو » طَابِعِ التوةَ للتصل الذي نصحِه حوله ، أبا 5 أونيد 6 ، نكان شاعرا لاتينيا ، الاترن أسبه بالحب والهوى ، برغم ما تأساه في حياته من شجون ومتاعب ، حتى أنه مات منها ، أما « أنا كريون » ، تكان شاعرا غنائيا نفوج أغاليه بتمجيد اللهو والطعام واللذة .

الحرس - سعفيرا في (غيبنا) . وكان مدينا بسفارته إلى اختلفا واشتجرا ، وإذ رأى « خواو » انه سينسطر إلى العمل « بارجاك »(۱) الذي كان قد ثابر على مصاحبته . كسا أن مع رجل مجنون ، هجره هناك ، ولم يعسد لدى السيد دى أخاه - الشيفاليية دى مونتيجى - كان « فارس الكم » السيد مونتیجی سنوی راهب شاب بدعی دی « بینی » ، کان کاتبا ولى العهد(٢) ، وقد كان على معرفة بهاتين السيدتين(٢) ، نحت إرشاد السكرتي ، ولم يكن في مركز يؤهله لأن يما وبالراهب " الارى " _ عضو المعقل الفرنسي _ الذي كنت المنصب . ومن ثم اضطر السمم إلى أن يلجأ إلى مرة أخرى. أزوره ، في بعض الأحيان ، كذلك . وإذ علمت السيدة دي وقد افهمني أخود « الشيفالييه » ـ الذي كان موفور الذكاء _ بروجلي بأن السفير كان يبحث عن سكرتير ، رشحتني لديه ، ان ثمة امتيازات معينة تتصل بمنصب السكرتير ، وبهذا اللم في وشرعفًا نبحث الأمر ، غطلبت همسين !! لوى " كبرتب ، وهو أن يغريني بقبول الألف فرنك(١) . . كسا تسلمت عشرين مبلغ كان قليلا بالنسبة انصب بتطلب الحرص على المظهر . « لوى » لننتات رحلتي . . فبادرت إلى السفر ! ولكنه لم يشأ أن يدنع سوى مانة البيستول ١٤١٠ كما كان على ون سنة ١٧٤٣ إلى سنة ١٧٤٤ أن أتكفل بنفقات سفرى ، وكان هذا اقتراها يدعو للضحك ، وعند (ليون أ) تهنيت أن أتفذ طسريق (مون سيني) ، ومن ثم غلم يقدر لنا أن نتفق ، وغال السيد دى غرانكويي ... الذي بذل تصارى وسمه ليحول بيني وبين الرحيل - بماربه،

لازور « ملما » المسكينة ، زيارة عابرة . بيد اللي الحدرت مع نهر (الرون) ، ثم انتقلت بالبحر إلى (طولون) . وكان ذلك بسبب الحرب ، ويداعى الاقتصاد ، وللحصول .. كذلك ... على جواز للسنر بن السيد دى « بيربوا » ، الذي كان يشرف على الإقليم إذ ذاك ، والذي كنت موفدا إليه بنومسية . وإذ لم يكن بوسم السيد دى مونتيجي أن يستفني عني ، فقد راح يكتب لى الرسائل تلو الرسائل ، متعجلا سفرى . ولكن حادثا ماتتى -

كان الطاعون يتغشى إذ ذاك في (مسينا) . وكان الأسطول البريطاني برسو هفاك ، قزار المركب التي كنت عليه إ ، وت

(١) ببدو انه يتصد تبية المرتب السنوى ،

فيكثت بينها رحل السيد دى « مونتيجي « مصطحبا معه

سكرتيرا آخر يدعى السيد ، غولو ، ، كانت وزارة الخارجية

هى التي رشحته له . ولكنهما لم يكادا بطغان (فيينا ! ة حتى

⁽١) كان بارجاك مو الخادم المقاص للكردينال دى عاورى ، الذي كان وأسع التفود لدى الملك .

⁽٢١) غوسان الكم : طائفة من النبلاء كانوا بجمعون بين الندين والبطولة « وكاثوا يتولون رعاية الامراء الترتسيين حتى يتدوا تعلمهم .

[📆] السيدة دى بوزيتنيل وابلتها .

⁽¹⁾ كان a اللوى « اذ ذاك ٢٠ فرنكا ؛ و د البيستول ١٠٠ عتمد -

عرضنا ذلك عند وصولنا إلى (جنوا) - بعد رحلة طويلة شاقة ... إلى أن نحتجز تحت المراشبة الصحية ثمانية وعشرين يوما ، ودرك لمّا الخيار بين البقاء على سسطح المركب ، أو في المعزل الصحى ، الذي انذرنا باتنا لن نجد فيه شبينًا ، اللهم إلا الجدران الأربعة ، إذ لم يكن الوقت تد أنسع لنائيثه ، وأحْتار الجميع البقاء في السفينة ، ولكن الحر المرهق ، وضيق المكان ، وتعفر التريض على القدمين ، والحشرات ، جعلتني اغضل المعزل . ماتندت إلى مبنى كبير ذي طابقين ، وكان عاريا نهاما ، ظم أعشر فيه على تافذة ، ولا متضدة ، ولا سرير ، ولا مقعد .. بل ولا كرسى منخفض بلا مسند لاجلس عليه ، ولا حزمة من التش ارقد عليها . . وأهضروا إلى معطفى ؛ والحتبية الصغيرة التي نضم ثياب النوم ، وحتيبتي الكبرتين ، ثم أغلقت دوني ابواب ضخبة ، ذات أقفال هائلة . . وبقيت هناك ، حرا في أن اتجول وفق هـواي ، من حجرة إلى أخرى ، ومن طـابق إلى آخر ، دون أن التقى في كل مكان بغير العزلة والنجرد من الأثاث !

ولم يحلنى كل هذا على أن أندم لاختيارى المعيزل دون المركب ، بل رحت أدبر أمورى - كما لو كنت « روبنصن » (١) جديدا - للأيام الثمانية والمشرين ، وكاننى كنت متبلا على الاتامة طيلة العمر ، وكنت أنسلى - في البداية - باصطباد القمل الذي التقطيمة على المركب ، غلما أصبحت نظيفا في

الفهاية ، بغضل تغيير الثياب الداخلية والخارجية ، تحولت إلى تأثيث الحجرة التي اخترتها ، فصنعت حشية بديمة من سنراتي وأقبصتي ، وملاءات من عدة مغاشف خطت بعضها إلى بعض، وغطاء من إزاري المتزلي (الروب دي شامير) ، ووسادة من معطفي الذي لففته 8 واتخذت مقعدا من إحدى حقيبتي بعد ان وضعتها على أحد جانبيها العريضين ، ومنضدة من الحتيبة الأخرى بعد أن أتبتها على أحد جانبيها الضيقين ، وأخرجت ورماً ومحبرة ، ونسقت هوالي النبي عشر كتابا كنت المنلكها ، لتكون مكتبة . وقصارى القول اثنى هيات مقامي تهييدًا طبيا حتى اننى كنت في ذلك المعزل العارى أنعم باقامة تعدل اقامتي ف مسكنى بساحة التنس في شارع (ديلا فيرديليه ١ ، فيها عدا الستائر والنوافذ ! . . وكانت وجباني تتسدم في كثير من مظاهر الأبهة ، إذ كان برافتها جنديان شهرا حربتيهما في طرفي بندتيتيها . وكان دهليز السملم بمنابة تاعة ماندتي ، كها كانت عرصة السلم ببئابة بائدة ، فاذا با اعد الغداء ، دق الذين احضروه ناقوسا _ أثناء انسحابهم _ لتنبيبي إلى انه قد آن لى أن أجلس إلى المائدة ،

وعندبا كنت انصرف عن القراءة او الكتابة ا او استكبال تأثيث حجرتى - بين الوجبات - كنت انبشى في مقبرة البروتستانت ، التي كانت بمثابة ساحة لمسكنى ، او امسعد للى برج يطل على الميناء ، حيث يتلمد المروجها ، وقضيت على هذه الانتهام المشروجها ، وقضيت على هذه الانتهام المشروكية الميناء المشروكية الميناء المشروكية الميناء المشروكية الميناء المشروكية الميناء المشروكية الميناء الميناء المشروكية الميناء المين

⁽۱) بتصد ۱۱ یوبنمس کروزو ۱۱ مه

لحظة ، لولا السيد دى « جونفيى » — المبعوث الغرنسى — الحف عدت تد تمكنت من أن ارسل إليه خطابا معبقا بالخل ، ومعطرا ، وشبه محترق . . فقد انقص مدة احتجازى ثمانية ايام ، قضيتها في داره ، حيث اعترف يأثنى وجدت من راحة المقام ما لم أجده في معزلى . . وقد أبدى لى عطفا قويا ، كما ان سكرتيره ٥ ديبون » كان شابا طيبا ، اصحطحبنى إلى بيسوت عديدة — صواء في جنوا أو في الريف — حيث كانت النسرية مؤورة ، وقد وثقت معه روابط المعرفة والتراسل ، التى ظلفنا نرعاها ردها طويلا من الزمن ، وما لبثت أن استأنفت رحيلى — راضيا مرتاها — مخترقا سهل (لمباردى) ، وزرت مبلان ا ، و (بدوا إ ، ثم وصلت في الفهاية إلى إ البندقية) ، حيث كان السيفير في وصلت في الفهاية إلى إ البندقية) ، حيث كان السيفير في انتظارى ، وهو ثافد الصبر !

* * *

ووجدت أكداساً من الرسائل - سواء من البلاط الملكى او من السفراء الآخرين - لم يكن في وسع السفير أن بقرا ما كتب منها بالشفرة ، برغم إنه كان يملك كافة مفاتيع الشفرة اللازمة لذلك . ولما لم لكن قد عملت قط في منصب من هذا النسوع ، ولا رأيت في حياتي شفرة حكومية ، فقد خشيت - في البداية - أن أرتبك ، ولكنني تبيفت أنه لم يكن ثمة ما هو اسهل من ذلك . وفي أقل من أسبوع ، كنت قد حللت رموز الرسائل جميعا ، إذ أنها لم تكن - في الواقع - تستحق عناء ، فقسد كانت السفارة القائمة في البندتية قليلة المنافرة القائمة في البندتية قليلة المنافرة المنافرة السيد دى مونقيد



واتخدت مقمدا من احدى حقيبتى بمد أن وضعتها على أحد جانبيها المريضين ومتضدة من الحقيبة الأخرى .

البهم بأية مفاوضات ، ولقد كان في حيرة بالغة إلى أن وصلت، نمها كان ليعـــرف كيف يهلي رمـــــاتله ، ولا كيف بكتب بخط مقروء . ومن ثم غاني كنت عظيم النفع له ، وقد شعر بذلك ، عاصس معاملتي . وكان ثبة باعث آخر حمله على ذلك ، علقد تولى اعمال السفارة _ بعد رحيل سلفه السيد دى فرولاي . الذي اختبل عله _ القنصل الغرنسي ، الذي كان يدعى السيد الوبلون و ثم واصل إدارتها منذ وصول السيد دى مونتيجي ريثها يدربه على نظام العمل ، ولقد جنم السبد دى مونتيجي _ في فيرته من أن سواه كان يؤدى عمله ، برغم أنه كان عاجزا عن ادائه بننسه .. إلى كراهية التنصل ، فها أن قدر لي أن امل ، حتى جرده من مهام سكرتير السفارة - لبكلها إلى . ولما كانت هذه المهام غير ينفصلة عن لثب « سكرتير السفارة »، نقد دعائي إلى أن أحمل هذا اللقب . وما أوقد - طيلة بقائي معه ... احدا سواى بيذه المسقة إلى مطس الشبوخ أو إلى مندوبيه (1) . والواقع أنه كان من الطبيعي أن يفضل أن يكون في منصب سكرتير السفارة رجل تابع له ، عن أن يكل هـــذا المنصب إلى التنصل أو موظف كتابي معين بمعرفة البلاط.

ولقد ادى هذا إلى أن أصبح مركزى جد ملائم ، ومنع أفراد

(1) كان من حادة حجلس شيوخ جمهورية المبتدئيسة ف فنت الحين - أن يتباحث مع مستواء الدول الأجنبية ، عن طريق متدويين يومسده المهم ، ويجهونين يوادهم السفراء اليه ، وقد كان مجلس التسبوخ مه في بعض نظم الحكم - ذا سلطة تنفيذية ، وهكذا كان في البندتية .

بطانته . الذين كانوا من الإيطاليين _ كما كان اثباعه ومعظم خدمه _ من أن بنازعوني الأولوية في داره ، وقسد استغللت بغيام ما كان لهذا المركز من سلطان ، في صون حقوته الديبلوماسية ، وأعنى بذلك حصالة مقره ضد المداولات التي بقلت مرارا عديدة لانتهاكها ، والتي كان موظفوه .. من اينا: البندقية _ لا يحقلون بمقاومتها . ومن ثم قانتي لم اسم عَمْ للْخَارِجِينَ على التانون باللجوء إلى هذا المتر ، بالرغم من اننى كنت خليقا بأن اجنى من وراء ذلك نفعا كبيرا ، با كان صاحب السمادة ليتورع عن مقاسبتي إياد : . . بل إنه جرؤ على أن يستبيح لنفسه حقوق المسكرتيرية التي يطلق عليها اسم " اعمال الديوان " . ومع أن الحرب كانت تائمة . إلا أن هذا لم يعف من إصدار عدد لا باس به من جوازات السفر ، وكان يدمع عن كل جو أز مثها ، " سيكان " (١) للسكرتم الذي بنجزه ويصدق عليه . وقد اعتاد كل من سبقوني أن متقاندوا هذا السبكان من الفرنسيين ومن الأجانب على السواء . بيد أننى وجدت هذا الإجراء غير عادل ، ومع أنني لم أكن غرنسيا، غانني الغبته بالنسبة للغرنسيين ، وإن رحت أنقاضي حتى ــ في غير ما تساهل ــ من كل من عداهم . غلما ارسل لي المركيز سكوني _ شقيق الشخص الذي كالت له العظموة لدى ملكة أسعانيا _ يطلعه يوما جوازا ، دون أن يرسل لي المسيكان . مطالبته به . وهو اجتراء لم ينسه قط ذلك الإيطالي المفطور على الانتقام ، ومثذ أن أصبح هذا الاصلاح الذي أدخلته على رسم ،

السنكان عبلة تتراوح فيمتها بين ﴿ وَ الْمُعْتَوْمِنْهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

⁽¹²⁻⁰⁰⁰⁻¹⁻¹⁷⁾

عملية الجوازات للراهب دي بيني ، الذي كان شااما طبيا ، والذي كان أبعد من أن يطلب لنفسه شيئا من هذا القبيل . وإذا كان قد تلطف نحوى ، فاتنى لم أكن أمّل كرما نحوه ، ومن ثم نتد عشنا معا في ونام على الدوام .

ولقد وحدت عملى - إذ مارسته - أقل إرهاقا مما توقعت بالنسبة لرجل عديم الخبرة - قدر له أن يعمل مع سقير لم يكن بغوقه في شيء ، بل إنه كان بجهله وعناده بعرقل ... وكانها كان يسر بهذه العرقلة ــ كل ما كان يلهمنيه الادراك السليم وبعض اضواء المعرفة لاتقن خدمته وخدمة الملك : . . و كان أكثر أعياله انطواء على أدراكي ، هو ارتباطه بالمركيز دي « ماري » « سفم اسبانيا ، الذي كان بارعا ، اريبا ، وكان بوسمه ان يتوده من أنفه إلى حيث ثماء ، لولا أنه مسلطرا لارتباط مصالح التاجين مـ كان يمحضه عادة خير النصح ، فكان الآخر يضيع تفع هــذا النصح : إذ كان دائما يدس عليسه بعض آرائه الخاصة عند التنفيذ ! . . وكان الشيء الوحيد الذي اشتركا في عبله ، هو أغراء البندتيين بالتزام الحياد . وكان هؤلاء لا يكفون عن ادعاء المائة في صون الحياد ، مع انهم كانوا يبدون الجنود النمسويين - علانية - بالدّخائر ، بل وبالمجندين الذبن كانوا بز عمون انهم هاربون من تواتهم . . اما السيد دي مونتيجي _ الذي أعتقد أنه كان يبغى إرضاء الجمهورية(١) _ قلم يكن يتواني ، بالرغم

(١) حكرمة صهورية الشرقية .

الجوازات معروفا ، لم بعد يتقدم للحصول على جوازات سوى حمائل من منتهلي الجنسية الفرنسية ، الذين كانوا يزعمون _ في رطانة محتملة _ أن هذا من أقليم ا برودانس . والآخر من (بیکار] ، والثالث من ا برجندی) ، ولما کنت قد أونیت سمما مرهفا ، فانتى لم أكن أحدع قط ، وما أظن أن إيطاليا واحدا استطاع أن يسلبني « سيكاني » ، أو أن غرنسيا وأحدا دممه لى . وكنت من الغباء بحيث أنبأت السيد دى مونتيجي الذي لم يكن يعلم شبئا عن أى شيء! - بما نعلت . غاذا كلمة « سيكان « تجعله بقتح اذنيه « وبدون أن يبدى لى رايا مصدد إلغاء الرسم للقرنسيين ، طلب أن أسوى معه التساب بشـــان الآخرين ، واعدا إياى بمنساغع في متـــابل ذلك لـ . . ورفضت اقتراحه عن احتقار لضعنه اكثر بنى عن تأثر بن اجل مصلحتي ، والح على ، غاذا بغضبي بحتسدم ، وتلت في تحسن شدید : ۱۱ لا باسیدی . . آن لسعادتك آن تحتفظ بما هو حق لك ، ودع لي ما هو حقى ، غلن أنزل عن " ـــو " واحد منه ! ١٠ . وإذ رأى أنه لم يكسب شبينًا بهذه الوسيلة . عمد إلى وسيلة اخرى ، ولم بخجل من أن يقول إنني ما دمت الحصل على مكاسب من أعمال ديوانه ، فمن العدل أن أتصل نفقات هذا الديوان ، ولم اثماً أن أجادل في همذا الأمر ، ومن ذلك الحين أخذت أبتاع من مالي المداد ، والورق ، وشسم الاختام ، وشبع الإضاءة ، والاشرطة ، وما إلى ذلك . . حتى خاتم الدولة الذي أصلحته ، دون أن يدغع من نفقات إصلاحه شيئًا ! . ، ولم يحل هذا دون أن أعين جزءا صغيرا من أبراد

ف أن أقدم إليه في صباح يوم الخميس مسودة للرسائل التي ينبغى تحديرها في يوم السبت ، فيما عدا بعض إضافات أو تعديلات كنت أؤديها في عجلة ، على ضوء الرسائل التي تصل تي يوم الجمعة ، والتي كانت رسائلنا تعنبر ردا لها !

وكانت له نزوة اخرى ، غاية في الطرافة ، أضفت على مر اسلاته مبغة مضحكة لا سبيل إلى وصفها : تلك هي إرسال كل نبا إلى مصدره ، بدلا من تركه باخذ مجراه العادي . . نكان يرسل الانباء الواردة عن البلاط إلى السميد الميلو (١) ، وتلك الواردة عن باريس إلى السعد دى موربيا ، وتلك المتعلقة بالسويد إلى السيد داغريتكور ، وثلك الخاصـة بطرسبورج إلى السيد ديلاشيناردي . . بل انه كان يرسل إلى كل منهم احبانا الأنباء الواردة منه هو بالذات ، والتي كنت أجرى تعديلات طفيفة عليها ! . . و لما كان قد اعتاد أن يلقى نظرة على الرسائل الموجية إلى البلاط وحدها ــ دون بقية ما كنت أحمله إليه ليوممه .. غانه كان يومع الرسائل الموجهة إلى السفراء الأخرين دون أن يقرأها ، مما جعلني أكثر مقدرة على أن أصوغ هذه الأخرة وغقا لمزاجي ، أو ـ على الأقل ـ على أن أبدل بن الأتباء ، فلا أوجه لكل منهم عين الأنباء التي سبق أن أرسلها ! ٠٠ بيد أنه كان من المستحيل على أن أصوغ الرسائل الهامة في أسلوب معقول ، بل الله كنت اعتبر نفسى سيسعيدا ، إذا لم يخطر بياله أن يدخل عليها بضعة اسطر متعجلة من وجي

(1) كان السيد الميلو وزيرا للشارجية ، وكان الماسيد الميلو وزيرا للشارجية ،

من بياناتي عن أن بحملني على أن أؤكد في كل رسائله أنها لم تكن تنتبك الحياد إطمالةا ، وكان عناد عددا الرحل المكن وغباؤه يضطرانني إلى أن اكتب وارتكب _ في كل لحظـــة _ سخافات كنت مجيرا على أن أكون الوسيط فيهسا - ما دامت هذه رغبته ، ولكنها كانت _ في بعض الأحيان _ تدعل أداء واحداثي أبرا لا يطاق ، . بل أمرا غير مستور عمليا ! . . مثال ذلك : أنه كان بصر أصرارا مطلقا على أن يكون الشيطر الأكبر من رسائله إلى الملك ورسائله إلى الوزير مكتوبا بالشفرة ، يرغم ان آیا من هذه او من تلك لم یكن بشتمل على شيء ما بجعل مثل هذه الحيطة لازمة ! . . ولقد اوضحت له أنه لم يكن ثمة وثت كان بين يوم الجمعة ـ الذي كانت رسائل البلاط نصل نيه _. ويوم السبب ... الذي كانت رسائلنا تصدر فيه ... لكتابة هذه بالشفرة ؛ ولكتابة الكمية الكبرة من الرسائل التي كان علم ان أعدها لبحيلها البريد في النوم ذاته . مانتكر إذلك خطية بديمة ، ثلك هي أن أعد _ في يوم الخبيس _ ردود الرسائل التي بكون مقدرا لها أن نصل في اليوم التالي !.. ، القد تراءت له هـــده الفكرة موقشــة ــ بالرغم مما وسعني أن أقوله عن استحالة) بل وسخف ، تنفيذها حدثي إنه حتم اتباعها ، عَلَم أَكُنَ أَخْفَقَ قط ، طيلة المدة التي مكتبها معه بعد ذلك _ في أن أحمل إليه في صباح يوم الخميس ، مسودة مصوغة بن الكلمات القالائل التي كان طقيها في مناسات عام ف خالال الأسبوع ، والتي كنت اسجلها في مفكرتي ، ومن بعض البيانات والأخبار البسيطة التي كنت التقطها من هنا ومن هناك -لأتزود بها في هذه المهمة العجيمة ! . . أتول إننم لم الخفق تط

وظفرت ينقدير حكومة الجمهورية (١) ، وتقدير السفراء الذين كنا تتبادل معهم الرسائل ، وحب كل الغرنسيين المقيمين في البندقية ، ولم يشذ عن ذلك القنصل الذي خلفته للأسف لل في المهام التي كنت ادرك انها من حقه ، والذي جلبت على من المتاعب اكثر مما جلبت من السرور!

وإذ انصاع السيد دي مونتيجي دون نحفظ للمركيز دي « مارى » _ الذي لم يكن لبهتم بتقصيلات وأجبات السفير النرنسي ... أهمل هذه الواجبات إلى درجة أنه لم بكن من المحتمل ان بدرك الفرنسيون ــ الذين كانوا في البندقية ــ ان لفرنسا سنم ا بتيبا في المدينة - لولاي أنا أ . ، و لما كانوا دائما يطردون دون ما استماع إلى شكواهم ـ كلما نشدوا حمايته ـ فانهم أصبحوا يزدرونه ، ولم ير واحد منهم قط في معينسه أو على مائدته ، التي لم يكن _ في الواقع _ يدعوهم إليها اطلاقا . وكنت كثيرا ما آخذ على عاتتي أداء ما كان ينبغي على رئيسي أن يؤديه ، واؤدى للغرنسيين _ الذين كانوا يلجئون إليه او إلى أمّا ـــ كل ما كان في طوقي من خدمات . ولقد كنت خليقا بان أفعسل فوق با كنت افعل ، لو أنني كنت في أي بلد آخسر . . ولكنفي لم أكن أملك ... بحكم متصبى ... أن أقابل أي شخص من دُو ﴿ النَّفُودُ ، فَكُنْتَ كُثْيرًا مِا اصْطَرَ إِلَى أَنَ الْجَا إِلَى الْقَنْصُلُ . . وكان لدى التنصل بن دواعي الحدر _ نظرا لاستقراره بع اسرته في البلد _ ما كان يمنعه من أن يشعل كل ما كان ببوي

v. se.dvd4arab.com

افكاره ، فقد كان هذا يضطرنى إلى العودة إلى نسخ الرسالة التى زائها بهذه السخافة الجديدة . والسخافة التى كان لابت من تكريمها بنسخها - بسرعة - بالشخرة ، إذ انه لم يكن بوقع الرسالة بدوئها أ. ولقد راودنى الاغراء عشرين برة مراعاة لسجعته - بأن انقل بالشفرة شيئا غير الذى قاله وكنى كنت ادرك أن ليس ثمة ما يبيح لى إطلاقا مثل عدا الانحراف عن الرمائة ، فكنت ادعه بهذى على مسئوليته وقاعا بأن أصارحه برايى و وإن الأدى الواحب المقروض على نحود :

* * *

وهذا ما حرصت على أن أفعله دائما بآمانة رحلد وحمية كانت تستحق جراء غير ذاك الذى تلتينه في النيساية . كان قد حان لكن أكون سولو لمرة واحدة ... كما هياتني السماء التي أنعمت على بقطرة طيبة ، وكما أهلتني التربية التي تلتينها على ابدى أفضل النساء وتلك التي انحتها لنفسى . . وهذا ما حدث فعلا ! . فقد كنت وحيدا ، بلا أصدقاء ولا ناصبحبن ، ويلا تجربة ، في بلد اجنبي ، وفي خدمة أمة أجنبية ، وفي وسط ثلة من الانذال الذين كانوا يستمثونني على أن أحذو حسدوهم في سبيل مصلحته ، ومن أجل التخلص من عار وجود مثل صالح بيقيم ، على أنني بدلا من أن أغطل أي شيء من قا التبيل ، اخلصت الخدمة لفرنسا مد التي لم أكن مدينا إليها أي واجب الخلصة اكثر إخلاصا في خدمة السفيم في كل ما كان موكولا إلى . وكنت أكثر إخلاصا في خدمة السفيم في كل ما كان موكولا إلى ، بنسمب كبذا ، جد مكشوف للأنظار المتطلعة ، فقد استحتقت بنسمب كبذا ، جد مكشوف للأنظار المتطلعة ، فقد استحتقت

ا حكومة جمهورية التنتية .

. . على أنني كنت أحسر أحيانا _ عندما أرأه صابتا لا يجرق على الكلام ... على الاقدام على تصرفات خطرة ، قدر لي التونيق في كثير بنها ، وإنى لأذكر مفامرة بنها ، لا تؤال ذكراها تحملني على الضحك وما أظنه يخطر ببال احد ، أن رواد المسرح ساريس مدينون لي بكور الين واختها كايي، وإن لم يكن ثمة ما هو أمدق من هذا . غلقد تعاقد «غيرونيز» - أبوهما - على الانضهام والنتيه إلى الفرقة الإبطالية ، وبعد أن تسلم الفي فرنك لثفقات الرجلة ، لم يساقر وإنها انضم بعساطة إلى مسرح « بسسان لوك »(١) بالبندقية ، حيث احتذبت كور البن ــ برغم أنها كانت لا تزال طفلة ــ كثيرا من الناس . فكتب السيد الدوق دي جيفر _ الأمين الأول للديوان الملكي _ إلى السيني مطالعا بالأب وابنتيه ، واسلمني السيد دي مونتيجي الخطاب ، وكانت كل التعليمات التوز زودتي مها ، هي - « انظر هـــذا الأمر ! » . مُذْهبِت إلى السيد لوبلون ، ورجوته أن يخاطب السيد الذي كان يمثلك مسرح « سمان لوك » ، والذي كان من أعضاء محلس الشيور _ يدعى 4 على ما أقلن 4 " جستنياتي " _ فيتنعه بأن يسرح فيرونيز ، الذي كان متعاقدا لخدية الملك - ولم يكن لوبلون منحمسا للمهمة ، فأسام أداءهم ، ونعلل « جستثياتي » بمختلف الحجج ، فلم يسرح قيرونيز . و أغنظت .. وكنا في « الكرنقال » ، فاستقالت زورها وقد نقنت . و ذهبت إلى قصر « حستنياني » . وبيت كل من رآني في جندولي

من قبل . ودخلت التصر ، وأوحيت بأن يعلن السيد بيتدي على اننى " السيدة ذات القناع » ، وما أن دخلت عليه . حتى أزحت تتاعى ، وأعلنت اسمى ، خامنتع وجه عضر الشيوخ ، وجهد مشدوها . وإذ ذاك تلت له في لهجة ابناء البندقية : ٥ سيدى ، يؤسفني أن ازعج سعادتك بزيارتي ، ولكن في مسرح " سان لوك " - التابع لك - رجسلا يدعى غيرونيز ، تعادد على خدمة اللك ، وقد طولبت به دون جدوى . لذلك جنت اطالب به باسم صاحب الجلالة ! » . واحدث هذا التول - على إيجازه - اثرا . علم اكد انصرف ، حتى هـرع صاحبنا إلى محققى الدولة التضائيين ، الذين اوضحوا له الموقف ، غفصل فيرونيز في اليوم ذاته . وكأن أن أوفدت إلى هذا من انفروه بأنه إذا لم برحل في خلال السبوع : السدوات أهمل على إلقاء التيض عليه . . ومن ثم رحل !

وفي مناسبة اخرى ؛ انتذت ربان سمنينة تجارية من مأزق ، بجبودي وحدها ، ودون معونة أي شخص تقريبا . وكان الربان من أيفاء (مارسيليا) ، ويدعى « أوليديه » ، وقد نسيت اسم المستغيثة ، فقد اشتجر ملاحوه مع « الإسكلانونيين »(١) الذين كانوا في خـدمة الحمهـورية . وكان من جراء الشفب الذي ارتكب ، أن احتجزت السسمنة

١١١ أبناء بلاد الكربات .

⁽١) أضافة يوسو الى هدفا توله : • لمنت وانتا بن أنه له يكن سرح ٥ سان صبوبال 8 ، مان الاسباء الصحيحة تغيب من ذاكوتي تبايا ، و

فقد كان هؤلاء المساكين جبيعا بخشون أن يغضبوا ،جلس الشيوخ . ولما لم يكن بوسمنا أن نصعد إلى سطح السفينة . بسبب الحظر المغروض ، فقد بتيت في جددولي - وهبت بالتحقيق من هناك - موجها اسئلتي بصوت مرتفع ، وإلى كل اللاهين تباعا ، وقد صغت هذه الاسئلة بحيث تستدعي لحابات في صالحهم ، ولقد حاولت أن أحمل بانيزيل على أن يسمالهم وأن يعد التقرير بننسه ، وهو أمر كان من مهامه سـ في الواقع _ أكثر مما كان من مهامي . ولكنه لم يشمأ أن يو أفق على ذلك اطلاقا ، ولم ينبس بكلمة واحدة ، بل أنه كاد يأس أن يوقع التثرير بعد أن وتعته أنا ، ، على أن هذه الخطة _ المنطوعة على شيء من الجراة _ كانت موفقة للغاية - فافرج عن السفينة تبل أن يصل جواب الوزير بوقت طويل . واراد الرمان أن يقدم لى هدية ، فقلت له وأنا أدقى كتفه ، دون أن أبدى استباء : « كابتن أوليغبيه ، أنظن أن رجلاً لا بتقاضى الفرنسيين رسم الجوازات ... وهو حق مقرر له ... يرضى أن ينقاضاهم ثمن حماية الملك ٢ ١٠٠ ورغب الربان في ان اتناول الفداء معه على سطح السنينة _ على الاقل _ نقبلت مصطحبا سكرتي السفارة الأسبانية ؛ المدعو « كاربو » - وكان رجلا ذكيا بالغ اللطف ، غدا بعد ذلك سكرتير! للسفارة الاسبانية في باريس. وقائما بالأعمال نبيما . . وقد كنت مرتبطا معه بروابط من الود: ثبائل ثلك التي كاتت بين سفيرينا!

وفرضت عليها تحفظات بلغ من تسونها أن أحدا _ سرى الربان ــ لم يكن يملك أن بصعد إليها أو أن يعادرها دون إذن. ولجا الربان إلى المخير ، الذي صرفه في جفاء ، فلجا إلى القنصل ، ولكنه قال له إن مسألته ام تكن مسألة تجارية ، وانه لا يملك التدخل . وإذ لم يدر الرجل ما يتعله بعد ذلك ، جاءني ماوضحت للسبد دي مونتيچي ان عليه أن بسمح لي بأن أرضع مذكرة إلى مجلس الشيوخ ، ولست أذكر ما إذا كان قد أذن ليء ولا ما إذا كثبت تد قديت المفكرة ، وإنما اذكر نبايا أن المساعى التي بذلتها لم تنته إلى شيء ، وظل التحفظ قائما ، علجت إلى عبل حازم قدر له النجاح ، إذ أوردت بيانا عن هذه المسألة في رسالة إلى السيد دى " موريبا " • وإن لتبت عناء كد ا في إنفاع السيد دي مونتيجي بان يجيز هذا البيان ، وكنت اعسرف ن رسائلنا كانت تفتح في البندقية _ برغم أنها لم نكن تستحق هذا العناء _ إذ كنت أبلك الدليل على ذلك ، فبثلا في الفترات التي اعندت أن أجدها متقولة بالنص في الصحيفة الرسمية . . وهو لون من عدم الأمانة حاولت عبثا أن أحمل السفير على أن يحتج عليه . وكانت غايتي من الحديث عن هذا الحادث الملكم في الرسالة ، هي أن استغل مضول سلطات البندتية ، لكي أرهبهم وأحملهم على أن يطلق وا سراح السفيفة . . غان الربان كان مسوقاً إلى الافلاس قبل أن يصدر رد البلاط عن هذه المسالة . لو أنه أضطر لانتظار هذا الود . . بل أنتي أعدمت على حراء آهر، إذ زرت السفينة الأستجوب الملاحين ، واصطحبت الراهب « بائیزیل » - کاتم اسرار القنصل - الذی لم بات إلا کارها .

وأحضر لي " روسيلو » هذا السند ، ورجاني أن أحاول عمل أى شيء بصدده ، بالإجراءات السليمة . وكنت اعرف _ كها كان يعرف هو الآخر ... أن المادة التي كانت متبعسة لدى نبلاء البئدتية ، هي ألا يدفع وا قط أية ديون تحملوها في الخارج، يا داموا قد عادوا إلى وطنهم . غاذا بذل أي سعى لتسرهم على الدمع ، أرهقوا الدائن التعس بالارجاء الطويل المتكرر ، وبالنفقات ، حتى تثبط عزيمته ، ولا يلبث أن يعدل _ ق النهاية _ عن المطالبة ، أو يقبل أية تسوية ضئيلة ! ، ورجوت السيد لوبلون أن يتحدث إلى " جانيتو " فاعترف هذا بالورقة: ولكنه أبي أن يدفع ميمتها . وبعد كفاح طويل ، وعده بأن يدفع ثلاثة " سبكانات " . فلما حمل إليه لوبلون السند . لم تكن السيكانات الثلاثة حاضرة ، غلم يكن ثهة بد من الانتظار . ، وقي خلال هذه الميلة ، دب الخلاف ميني وبين السمير ، مخرجت مِنْ خُدْمِقَهُ ، وقد تركت أوراق السفارة في أثم نظام ، ولكن سند " روسيلو " لم يوجد بينها قط . واكد لي السيد لوبلون أنه كان قد رده إلى ، وكنت أعرف أنه من النبل يحيث لا يرقي اليه الشك ، ولكنني عجزت عن تذكر ما جرى لهذا السند . ولما كان جانبتو قد أقر بالدين - فقد رجوت السيد لويلون أن يحاول الحصول منه على السبكانات الثلاثة في مقابل ابصال . أو أن يستدرجه إلى تجديد السند بنسخة اخرى منه ، ولكن # جانبتو » رفض الأمرين ، إذ علم يضياع السند . . فعرضت على روسيلو السيكانات الثلاثة _ من جيبي الخاص _ ك يان السند ، ولكنه أبي أن يأخذها ، إ حرى من - رق ممر مع الدائن الباريسي ، الذي اعطائي المائي بالتر والدائن

الذائية _ كيف ادخل قدرا كانبا من الغظام والانتماه على كل هذه المسائل الدقيقة ، حتى لا أغدو مستغفلا ، عَأَدَ بم الغير على حساب مصالحي ! . . ولكن أنفه الاخطاء في منصب _ كذاك الذي كنت أشغله ... لا تبر دون تبعات ، ومن ثم نقد كنت استنزف كل انتباهي في الجهد لتفادي أية اخطاء مضادة لعملي.

ولقد كنت _ في كل ما يتعلق بواجبي الرئيسي منظما إلى اتمى درجات النظام ، ودقيقا إلى القصى درجات الدقة . وغيما عدا بضعة اخطاء اضطرني التعجل الغرط إلى ارتكايه أن صوغ الشفرة ـ وقد اشتكي منها معاونو السيد اميلو ذات هرة _ لم باخذ على السغيم ، أو أي أمرى: سواه ، أهمالا في اداء ای واجب بن واجباتی ، وهو أمر كان جدير! باللاحظـة بالنسبة لرجل تديد الإهمال وشديد التهور مثلي . . بيد أنثى كنت اغفل واهبل في تصرفي في المسائل الخاصة الني كنت آخذها على عائقي _ احبانا _ فكان حب الانصاف بجعلني أتحمل دائما اللوم من تلقاء نفسي ، قبل أن يفكر أي امرى، في أن بشكو منه ا . . ولن أذكر حافي هذا المجال حادث حادث واحد ، كان له اثر في رحيلي عن البندتية ، وقدر لي أن أشمر بآثارہ _ بعد ذلك _ في باريس !

ذلك أن طاهينا ــ وكان يدعى « روسيلو » ــ أحضر بن مرنسا سندا تديما بهائتي مرنك ، كان أحد صناء الشعر المستعار ... من أصدقائه ... قد تسليه من نبيل شيدتي يدعي « جانيتو ناني ۾ 6 في مقابل تلنسوات بن الشعر المستعار .

الناجحة - أعول كثيرا على أن أبلغ أميها منصبا طبيا غيما بعد . والواقع أنه لم تكن ثمة مسوى غكرة واحدة عنى لمدى الجبيع ، أبتداء من السغير الذى كان راضيا عن خدماتى رضاء علما ، غلم يشك منها قعل ، وما جاء كل الفضيب الذى الذي ثار فيما بعد - إلا عن أننى حين الغيت شكاياتى لا تلقى أذنا سامعة ، طلبت إعنائى من العمل ، وكان كل سفراء الملك ووزرائه - الذين كنا على تراسل معنم - يهنئونه على كفاءة سكرتبره ، وهو ما كان يجب أن يثير اعتزازه ، ولكنه احدث اثرا عكسيا في رأسه السيء النثير ، وكانت بين هذه النهائى، واحدة بالذات ، تلقاها في ظرف حرج ، غلم يغتفرها لى قط .

وذلك أنه كان تلبل المقدرة على متاومة ما بضابقه ، حتى أنه في يوم السبت ذاته وهو يوم ارسال كل الرسائل تقريبا لم يكن لبنوى على الصبر عن الخروج ربنها ينتهى العمل ، وإنها كان يستحثنى باستمرار متعجلا رسائل الملك والوزراء ، لموتعها في عجلة ، نم يوع إلى حيث لم اكن ادرى ، تاركا معظم الرسائل الأخرى بدور، توقيع ، جما كان يضطرنى حساسلما الأخرى بدور، توقيع ، جما كان يضطرنى حساسلما تقدر تعالى المسائل الأخرى بدور، توقيع ، جما كان يضطرنى تعالية بخدمة تشرات الأحمار ، أما حين تكون هناك مسائل متعلقة بخدمة الملك ، فقد كانت الضرورة قدعو إلى توقيع الرسائل ، فكنت أقولى توقيعها بنقسى ، وقد فعلت ذلك بصدد رسالة هلمة كنا قد تسلمناها من السيد « فانسان » ، القسائم بأعمال الملك و المنينا ، وكان ذلك في الوقت الذل حربية المناهم بأم الموقية الناس و المنينا ، وكان ذلك في الوقت الذل حربية المناهم بأم الم توقيع المناهم بأم الموقية الناس و المنينا ، وكان ذلك في الوقت الذل حربية المناهم بأم الم توقيع المناهم بأم المناهل ، وكان ذلك في الوقت الذل حربية المناهم بأم المناهل ، وكان ذلك في الوقت الذل حربية المناهد المناهل ، وكان ذلك في الوقت الذل حربية المناهد المناهل ، وكان ذلك في الوقت الذل حربية المناهد المناهد المناهد على المناهد ا

المستمار ؟ طالب يسنده أو يدينه كابلا ، إذ علم ما حيث ، غما الذي كنت أخس به سفى سورة غيظى سقى متابل العنور على هذا المسند اللعين ؟! . و و و معت المانتي غرتك من مالى ، في وقت كنت غيه في اشد الضيق المالي . و هكذا كن خسياع الوثيثة سببا في حصول الدائن على دينه كاملا ، في حين انه لو كان قد تسنى سلسوء حظه سالمئور على السند ، لوجد عناء في انتزاع العشرة « أيكو » (١) الموعودة من حساحت السعادة جانينو ناتي !

ولقد جعلتنى المتدرة — التى استشعرتها في تفسى — على اداء عملى ، مفعها باليل إليه ، وغبها عدا صحبنى لصديتى لا كاريو » ، وللفاضل « التوفا » — الذى لن البث ان اتحدث عنه — وغيها عدا بعض الوان المترويح البريئة — التى نبثلت في التردد على حاجة سان بارك وعلى المسرح — ربعض زبارات كنا نقوم بها سوبا في اغلب الأحيان ، قيما عدا ذلك ، كانت عملى لم يكن شاقا اكثر مها ينبغى ، لا سيها ازاء المون الذى عملى لم يكن شاقا اكثر مها ينبغى ، لا سيها ازاء المون الذى كنت القاه من الراهب دى « بينى » ، إلا أن مراسلاتنا كانت كثيرة جدا ، كما اننا في غترة حرب ، ومن ثم غلم تكن تعوزنى الشيواغل ، بل كنت اقضى شطرا كبيرا من النيار في العمل الشيواغل ، بل كنت اقضى شطرا كبيرا من النيار في العمل سفين » كانة الإيام — كما أننى كنت أعمل ، في أيام البريد ، إلى منتصف الليل احيانا - وكنت اكرس بتية الوقت قدراسة المينة منتصف الليل احيانا - وكنت اكرس بتية الوقت قدراسة المينة المينا على ضوء البحاية التي شرعت في ممارستها ، والتي كنت — على ضوء البحاية التي شرعت في ممارستها ، والتي كنت — على ضوء البحاية التي شرعت في ممارستها ، والتي كنت — على ضوء البحاية التي شرعت في ممارستها ، والتي كنت — على ضوء البحاية المحديد البحدية المينة و البحدية المينا في المينا المينا والتي كنت — على ضوء البحدية المينا المينا المينا المينا المينا والتي كنت — على ضوء البحدية المينا المينا المينا المينا المينا المينا المينا المينا المينا والتي كنت — على ضوء البحدية المينا المي

⁽١) المشرة ايكو تعادل في قيبتها السيكاتات التلائة .

الغرنسى ينباً بمواعيد رحيل هؤلاء الرسل ، ليتمكن من الكتابة إلى زميله إذا رأى داعيا لذلك ، وكان هـذا الاخطار يصدر قبل الرحيل بيوم أو ائتين ، ولكن السيد دى مونتيجى لم يكن يلقى اعتبارا كانيا : ومن ثم غند كانوا يكتفون باخطاره تبـل رحيل البريد بسماعة أو ائتين ، لمجرد مراعاة الشكليات !.. وكان هذا يضطرنى _ فى كثير من الرادت _ إلى أن أعد الرسالة فى غياب السفير . وكان السيد دى كاستيلان يذكرنى حد فى غياب السفير . وكان السيد دى كاستيلان يذكرنى حد فى رده _ بعبارة التكريم : وكذلك كان السيد دى جونفيى _ فى جنوا _ ينعل ، فكان كل تعبير عن حسن رايها فى شخصى ، حيبا لخلافات جديدة . .

* * *

واعترف بأننى لم احاول أن اتصاشى فرصة التعريف بنفسى ولكننى لم أكن أسعى إلى ذلك في غير المناسبات اللائقة. وكان يبدو لى أن الانصاف يبيح لى - إذ أحسن الخدية - أن الحمي في الجزاء الطبيعي الخديات الطبية ، ألا وهو التقدير من أولئك الذين كانوا يملكون تقديرها وينح الجسزاء عنها . ولئك أن أقول ما إذا كانت دقتى في أداء مهامي كانت في نظر السفير - مبيا حشروعا للشكوى والاحتجاج ، ولكن في نظر السفير - مبيا حشروعا للشكوى كانت هي الشكوى كانت هي الشكوى كانت هي الشكوى كانت هي الشكوى المناب عوى المناب كوى الوحيدة التي اعتاد أن برددها إلى يوم غراقنا !

وكانت داره - التى لم يكن يحسن إدارتها اطلاقا - مليثة بالسخلة : كان الفرنسيون يلقون حاك المراب المانة العليما . والمدن تها من نها ، كان كانت للإيطاليين المكانة العليما . والمدن قيا من نها ، كان

بنقبقره الذي لا ينسى ، والذي كان اروع عمل عسمكرى في القرن كله ، وكان حديث أوربا ، وكان النبة الذي بسنا ، هم أن رجلا – أرسل إليفا المميد غائسان أوصسك – كان فست غادر (فيينا) ، معتزما المرور بالبندقية ، تاصدا مستخيا – إلى (أبروتسى) ليعمل على إثار الفساس عند انتسراب الفيسويين ، وفظرا لفياب السيد دى مونتيجي – الذي لم بكن ليهتم بشيء – غانفي أرسلت إلى السيد المركيز * ديلوبيتال » ليهتم بشيء – غانفي أرسلت إلى المسيد المركيز * ديلوبيتال » هذا النبة الذي كان في وقته المفاسب ، حتى ليحتمل أن يكون قل « بوربون » مدينين إلى جان جاك المغبون بنضل الابقاء على مملكة نابولى !

وإذ شكر المركيز ديلوبيتال زميله - كما كان بنيفى امتدح له سكرتيره (١) والخدمات التي اداها للتضية المستركة
عاذا الكونت دي مونتيجى - الذي كان جديرا بأن يلوم نقب
على إهماله في هذه المسالة - يخال أنه يلمح لوما خسلال هذه
التهنئة ، محدثني عفها في استباء . وكنت قد اقدمت على أن
المعل مع الكونت دى كاستبلان - السئير الغرنسي في
القسطنطينية - ما نعلته مع المركيز ديلوبيتال ، وإن كان النبا
اقل اهمية . وإذ لم تكن ثمة وسسيلة لإرسسال البريد إلى
القسطنطينية سوى الرسل الذين اعتساد مجلس الشيوخ أن
القسطنطينية سوى الرسل الذين اعتساد مجلس الشيوخ أن

⁽۱) أي « جان جاك روسو ؛ تقسه -

⁽٢) * البايل » : نقب سفير البندية في التسمانطينية

المستخدمون الصالحون الذين الحقسوا بخذ وقت طوبل بخدمة السفارة ، يطردون في غير ما إنصاف، وكان من هؤلاء المستشار الأول للسغير ، الذي شغل المركز نفسه في عود سلَّفه الكونت دى نرولاى ، والذى كان يدعى - على ما اعتقد - الكونت « بياتي » ، او ما يقرب من هذا الاسم . . أما المستثمار الثاني - وكان السيد دى مونتيجي هو الذي اختاره بنفسه - فكان شمتیا من (مانتوی) ، یدعی ت دومینیك غیتالی » ، وقد عهد إليه السفير بشئون داره ، فاستطاع بالثبلق وبالشبح الخسيس أن بكتسب ثقته ويغدو أثيرا له لا مما أضر بمن كان قد ظل بالدار من امناء قلائل ، وبالسكرتير الذي كان على رأسيم ... وعين الرجل الشريف أمينه ، تثير دائماً قلق اللئام ، وقد كان هذا محده كاقبا لأن يحمل هذا الرجل بكرهني ، بيد أن كراهيته كانت ترجع _ كذلك _ إلى سبب آخر ضاعف مفهسا إلى حد كبير . ولا بد لي من أن أبدى هذا السبيه ، ولكم أن نديتوني إذا كنت يخطئا !

ذلك أنه كان للسغير _ وفقا لتقليد راسم منذ أمد طويل _ مقصورة في كل من المسارح الخمسة ، وكان يعين ــ على مائدة القداء ، في كل يوم _ المسرح الذي يعتزم الذهاب إليه ، فكنت أنا الذي يليه في الاختيار ؛ على أن ياخذ المستشارون المقصورات الأهرى ، وكثت آخذ ب عند انصرافي بهنتاج المقصورة الني

اخترتها - ففي ذات يوم ، لم يكن فيتالى - الذي كان يحتفظ بالمفائيح ــ موجودا ، فعهدت إلى ساع كان في خدمني ، بأن يحضر لي مقتاحي في دار عينتها له ، ولكن فيتالي لم يرسل المنتاح ، بل تال إنه قد تصرف في شانه . ومما زاد من غيظي ، ان الساعي أدلي بهذا النبأ أمام اللا - غلبا كان المساء ، هاول فيتالى أن يتقدم ببضع كلمات يعتذر بها 6 ولكنني لم انصت إليه ، بل قلت له : ﴿ تعال عُدا أينا السيد ﴿ مُعَلِّيا فِي نَصَى الساعة ، وفي نفس الدار التي تلقيت أنا الاهائة فبها ، وأهام الناس الذين شهدوها . . والا - فسوف أطالب بعد غد _ و مهما يكن ما يحدث ـ بأن يغادر أحدنا هذه السفارة! " . وافحيته لهجتي الحاسمة - فجاء إلى الدار في الساعة المعددة ، واعتذر علائية ، في صفار يليق به ولكنه راح يرسم خطته على مهل . وبينما كان يبدى لي احتراما بالغا ، راح بعمل على شـــاكلة الإيطاليين (١) ومع أنه لم يستطع أن يحمل السفير على غصلي، إلا أنه اضطرني إلى أن أستثيل من تلقاء نفسى !

ومن المحقق أن مثل هذا الوغد لم يكن أهلا لأن يعرفني ، ولكثه عرف عنى ما كان يحدم أغراضه ، ، عرف أننى كنت من الطيبة واللين بحيث احتمل المظالم غير المقصودة . والني بن الكبرياء بحيث لا أحتبل الاهانات المتعبدة ، وأننى أحب

⁽١) يتمد الدسر في الخفاء ، والتبنية وما الما

التواضع والوقار في المناسبات الملائمة ، وانني لم أكن اقلل حرصا على ما ينبغي لي بن تكريم ، منى على اداء ما هو واحب على منه للغير . . وهذا ما استغله ووفق بفضله إلى منابقتني . ققد قلب السفارة رأسا على عقب ، وازال بنها ما كنت قد بذلته لصون الأصول ، وترتيب المراكز ، والدقة ، والنظام . والبيت إذا خَلا مِن امراةً ، احتاج إلى قواعد للنظام أتسى بقليلُ مما بحتاج إليه سمواه ، في سبيل النمكين للاحتشام من أن يسوده مقترنا بالكرامة والوقار ، أما هذا الرجل ، غانه سرعان ما جعل من دارنا مباءة للف للاعة والفجور ، ووكرا للأنذال والفاسقين ، وخلع منصب المستثمار الثاني (١) على تواد (١ مثله ، كان بمثلك دارا للدعارة (٢) في اكروا دي مالت _ صلب بالطة ب مكان هذان اللنيمان في ونام تام ، وعلى وتاحة تعادل مجورهما ا. . . فلم يعد في الدار ركن واحد يليق برجل شريف ، نيما عدا غرغة السفير وحدها . . بل إن هـــذه أيضا لم تكن كما يتبغى !

ولما كان صاحب السعادة قد اعتاد الايشاول عشاء غط . فقد كانت تبد لفا _ المستشارين وأنا _ ماندة خاصة في الماء،

يجلس إليها الراهب دي بيني والسعاة كذلك . وكان المسوء حربا بأن يلقى في أحقر الحانات خدمة أكرم ، وادوات للمائدة انظف ، وطعاما أحسن مما كان يقدم إليمًا إذ ذاك ! . . فما كذا لتحظى بغير شبهعة واحدة صغيرة سوداء ، ومسحاف من القصدير ، وشبوكات من الحديد ، ولقد كنت خليقا بان اتحمل ما كان يدور في السر ، لولا أنني حرمت من جندولي ، غاصبحت الوحيد _ بين كرئيري السخراء _ الذي يضطر إلى ان بستأجر حندولا أو أن يسير على تدميه . ولم يكن يرانقني سـ إذا ما أوقدت إلى مجلس الشيوخ - سوى خدر صاحب السعادة السغير (١١ . وإلى جانب هذا ، كان كل ما يحدث في السفارة لا بخنى على أهل الدينة ، غقد كان كل موظفي السفم يرفعون عتائرهم بتلك الأنباء . وكان " دومينيك " _ السبب الأوحد في كل هذا _ هو أكثرهم إمعانا في رمّع صيوته ! . . نقد كان يعلم أن المعاملة غير الكربمة التي كنا تلقاها . انها كانت نبستى أكثر مبا تبس سواى ، وكنت الوحيد ... بن موظفى الدار _ الذي يتورع عن الكلام خارجيا ، ولكنني كنت ارفع صوتى بالشكوى للسفير . . لا مما كان بحرى قصيب ، بل ينه هو نفسه كذلك إذ كان - بغضل التحريض الخني من

⁽۱) اذ أنه جاف الكونب بياني في متصب الأمين الأول.

⁽٢) في الأسال الفرنسي Maq . . . paM

qui tenait b ... public re

⁽١) كان المألوف أن يبراغق سكرتير الم حاجب رنيم الدرجة ومستتاء .

هكذا كان الرجل الذى راح يكرهنى ، لمجرد اننى كنت اخدمه بلهانة ، ولعله كان صادرا فى ذلك عن تفكير مشابه لنفس التفكير الذى حمله على التصرفات السائنة الذكر!

ولقد كنت احتمل صامرا تصرفانه المهيئة ، وقسسوته . وسبوء معاملته وطالما ظللت اراها صادرة عن الطباع التي جبل عليها ، دون أن أحسبها صادرة عن كراهية . ولكنني لم أكد أثبين أن الخطة كانت مرسومة لحرماني من الاعتبار الذي كنت استحقه بغضل خدماني المسادقة ، حتى عقدت العزم على ان أستقيل من منصبي . وكان أول دليل تلقينه على سوء نيته - هو ذاك الذي هدت بمناسعة مادية كان عليه أن يتيمها للمبيد الدوق دي موديني واسرته ، عنسدما حلوا بالبندتية . نقد أنبائي بأنه لن يكون لي محسل في تلك المادية . فأجبته مستاء _ ولكن في غير غضب _ بأننى تــد اعتدت أن أحظى بشرف تناول الغداء على مائدة السنفير يومنا ، فاذا أبدى المبيد الدوق دى موديتي - عند مجيئه - اننى بجب أن أغيب عن المائدة : غمن اللائق بكرامة صاحب السمادة (السفير) ، ومن الواجب على ، الا انصاع لهذه الرقبة . غقال في حدة : الماذا ؟! . . ايطالب سكرنيري - وهو لم يبلغ مرتبة المستثمار - أن يتفاول الغداء مع عاهل ، في حين أن مسمقشاري لن يحضرا المادية أ! » . فاجبت : ﴿ حَدِيدُ مِ عِنْ اللَّهُ وَ مُعَالِدُ اللَّهُ وَ مُعَالِدُ اللَّهُ وَ مُعَالِدُ الذي شرعتني سعادتك به ، يرمع بقلس سيليا

مستشماره الخبيث سه يوجه إلى في كل يوم إهسانة حسديدة . ولما كنت مضطرا إلى الانفاق عن سعة لكى اظهر في مستوى اقرائى ، وفي مظهر يليق بمنصبى ، فاننى لم استطع أن أدخر « سو » واحدا بن مخصصاتى ، وكنت إذا ما طلبت بن السفي نقودا ، راح يحدثنى عن تقديره وثقته ، وكان هسذا كاف لان يملا جببى ولأن بمدنى بكل حاجاتى !

茶 茶 张

وانتهى هذان الشيقيان(۱) إلى ان عبثا برأس سيدهما الذى لم يكن سليم التفكير اصلا ، فقاداه إلى الإفلاس عن طريق استدراجه باستمرار إلى شراء سلع زائفة كانا يقنعانه بانها نحف اثرية ، كها حهلاه على أن يستأجر قصرا — في برينتا ، باجر يعادل ضعف قبيته ، واقتسما الفرق مع المالك ، وكانت الفرف مبعلنة بالقيشاني ، ومزدانة بأعيدة واركان من أجسل أنواع الرخام ، ونقا للطراز الذي كان شائما في البلاد ، ولقد عهد السيد دى مونتيجي إلى تفطية كل هذه الزخارف ، بالواج عبد السيد دى مونتيجي إلى تفطية كل هذه الزخارف ، بالواج من خشب الصفوير ، متعللا بحجة عجيبة ، هي أن هذا هسو الذي كان متبعا في الدور الباريسية ! . . ولحجة آخرى كيذه . كان هو السفير الوحيد ساق البندقية — الذي جرد ساعاة سسفارته من السيوف ، وخدهه الخصوصين من العصى . .

المعتاران الأنظائيات =

07

إليه بأن يكتب إلى السيد دي موريباً تقريراً عن مسالة الربان أوليغييه ، لم يذكرني فيه البتة ، مع انفي كنت الرحيد الذي تدخل في المسألة . . بل انه أنكر على شرف التحقيق الرسمي الذي قمت به ... والذي أرسل إلى السيد دي موريبا نسخة منه ــ وعزاد إلى باتيزيل ، الذي لم ينيس ببنت شفة . علقد اراد أن يغيظني وأن يرضى صاهب المطوة لديه ، دون أن يستغنى عنى برغم ذلك ، إذ شـــعر بأنه لم يكن ليعثر على خليقة لى ، بنفس السهولة ألتي عثر بها على خليفة للسيد دي نولو - سلنى - الذي كان قد أشاع في الخارج فكرة صحيحة عقه !.. ولم بكن له غنى عن سكرتير يعرف اللفهة الإيطالية: نظرا لمرامسلاته مع مجلس الشيوم . . لم يكن في غني عن كرتير قادر على أن يكتب كل رسائله ، ويدبر كل أبوره . دون تدخل منه ٠٠ سكرتير يجمع بين المقدرة على أن يخدمه بامانة ، والهوان الذي يجعله بروق للسيدين المستثمارين المدللين ! . . ومن ثم فقد أراد أن بسيتبتيني وأن يكيدني في آن واحد ، بأن بمسكني بعيدا عن وطني وعن وطنيه ، دون ما نقود تمكنني من العودة - ولعله كان جسديرا بأن ينجح لو أنه سعى إلى ذلك ببزيد من الحكمة ، ولكن غيتالي كان يرى آراء أخرى . وكان يبفي حملي على الرحيل . وقد وفق في غايته . فها أن تبيقت أنثى كنت أ - حصود و و ف است كإن ينظر إلى خدماتي وكانها جرائم مسدة ميا ببيدهد لي. . إلى درجة تجمل لى الأولوية حتى على مستشاريك ، أو أولئك الذين يقال عنهم انهم مستشاروك ، ومن ثم فان لي حق الحضور في مناسبات ليس لهم أن يحضروها . وأنت لا تجهل أن التتاليد الرسمية ، والمرف المتبع من زمن أبعد من أن يذكر ، تحتم على ... في اليوم الذي تحضر فيه التشريعات الرسهية ... ان اتبعك في ثياب التشريفة ؟ وأن احظى بحضــور مآدب قصر « سان مارك » معك ، ولست أدرى كيف لا يجوز للشيخمي الذي يطس في مادية عامة مع " الدوج " (١) ومحلس شيو-البندتية ، أن يجلس مع السيد الدوق دي موديتم بالذات . إلى مائدة واحدة ١١ ه . ومع أن حجتى كانت غوق كل رد : إلا أن السغير لم يسلم بها . غير أنفا لم نجد غرصة لتجديد النزاع. إذ أن السيد الدوق دي موديثي لم بأت للقداء على مائدته تط !

ومنذ ذلك الحين لم يكف المستير عن مضابئتي ، وعن امتيان حقوقي ، مفتصبا الامنيازات السيبطة التي نتعلق بمنصبى ، فكان بجردني منها ليظعيا على عسريزه ميتالي . واني لواثق من أنه لو استطاع أن يجرؤ على إيقاده ـ بدلامني - إلى مجلس الشيوخ ، لفعل ، وكان بستخدم الراهب دي بينى عادة ، لكتابة خطاباته الخاصة في حجرة مكتبه ، فعيست

⁽¹⁾ لتب كان يطلق على وليس الدولة في البندتية .

ولكتي إزاء هذا التهديد حرودت أن الغضب والعن م قد تهلكاتي عدوري ، فاندغمت إلى الباب ، وبعد أن دفعت المزلاج الذي يوصده من الداخل ، عدت إليه وقلت في لهجــة رهبيــة : « لا يا سيدي الكوثبة ، إن يتدخل أتباعك في هذه المسألة؛ فتكرم بشبویتها فیما بیننا ! » . وهدا نصرفی و مظهری من سورته في الحال ، وتجلت الدهشمة والروع على اسماريره . غلما رأيته قد تخلى من هياجه ، ودعته بكليات موجزة ، ثم ذهبت ــ دون أن أنتظر منه جوابا _ فغتمت الباب ، وخرجت ، فاجتزت الحجرة اللحقة ببكتيه في ثبات ، ويستبط أثناعه الذين تينبوا كعادتهم ، والذبن أعنقد أنهم كانوا أكثر استمدادا لمناصرتي منهم لمناصرته . وبدون أن أعود إلى غرفتي ، هبطت السلم ، وغادرت التصر ، غلم الحه بعد ذلك تط!

وذهبت لنورى إلى السيد لوبلون ، النبئه بها حدث ، غلم ببد دهشه كثيرة ، إذ كان يعسرف الرجل ، وإنما استبقائي للغداء ، وكان هذا الغداء ـ برغم التعجل في إعداده ـ بهيجاء وقد حضره كل القرنسيين ذوى المكانة ، الذبن كانوا في المندقية. ولم يكن بيتهم فرد واحد في صف السفير ، نقد روى التنصل حكايتي على الجاعة ، وما أن ألموا بها حتى صاحوا جبيعا في وقت وأهد ، ولكن في غير صالح صاهب السعادة ، ولم يكن هذا قد سوی حسابی ، ولا اعطلی سی ، و هند . و ما کانس كل مواردي لا تتجاوز بضع قطع أن بين اللهو لل بيابية و وحدثني

واننى لم يعد لي أن أطمع - طالما ظللت معه - في غير المضابقات في الداخل ، وعدم الانصاف في الضارج .. وأن الأذي الذي كان يحاول أن بلحقه مي قد يفوق في الضرر ما قد أكسبه من رضائه إذا أنا بتيت في خدمته ، نظرا لما كان قد اجتلبه على المنسلة من سخط عام . . با أن تبيئت كل هذا - حتى قررت أن أستأذنه في أن يمنيني من العبل ، منسحا له الوقت كي يحصل لنفسه على سكرتير ، على أنه ظل سادرا في بسلكه ، دون أن يجيب بدعم أو لا . غلما رأيت أن الأمور لم تتصن . وانه لم يتجه إلى البحث عن سكرتير آخر ، كتبت إلى أخيه . مغصلا كالمة البواعث ، راجيا إياه أن يحمل أخاه على تسريحي، مضيفا إلى ذلك أنفى أن أمكث في منصبى على أبة حال ! . . . وانتظرت طوبلا ، دون أن أتلقى جوابا ، وكنت قد بدأت أشعر بحيرة بالغة ، عندما تسلم السفير - أخيرا - رسالة من أخيه. ولا بد أنها كانت شديدة اللهجة ، إذ أننى لم أره _ برغم أنه كان مرضة لأعنف نوبات الغضب _ في مثل الهياج الذي رايته نيه إذ ذاك . وبعد سيل من السباب المقدع، لم يعد يدري ما بقول، غاتهمني بأنني بعت أسرار الشمرة . واحدت اضحك ، ثم سالته في لهجة ساخرة عما إذا كان يظن أن في البندةية باسرها مغنلا واهدا يرضى بأن يدفع " ايكو " واهدا من أجلها . وجعله عدًا الجواب يستشيط حنقا ، نهم بأن بدعو أتباعه لكي بلقوا بي من النافذة ، كما قال ، وكنت حتى تلك اللحظة محتفظا بجدوئي ،

كثيراً بعد ذلك الحين . أما القرضان اللذان تحدثت منهما ، فقد سددتهما كالملين بمجرد أن تيسر لي ذلك .

ولا يجوز أن تنرك البندقية دون كلمة عن ملاهي هـــذه المدينة الشبهيرة . أو .. على الأقل .. عن القسط النسئيل منها، الذي غدر ليي ان أنعم به أثناء مقابي هناك . ولقد رويت كيف التي _ في شبابي _ كنت بقلا في السعى إلى بلذات هذه المرحلة مِن السين ، أو _ على الأقل _ المتع التي توصف بأنبا ملذات . ولم أغير من مسلكي هذا في البندةية ، ولكن مشاغلي ــ التي كانت كنيلة بان نمنعني من أى تغير - جعلت اسباب النسلية العسيطة ، التي كنت استبيحها ، اكثر امتاعا ، وكاتت اولي هذه الأسباب والطفها هي مصاهبة الأكثاء من الناس : السادة لوطون ، ودي سيان سير ، وكاريو ، والتونا ، وسيد نور لائي(١) نسبت _ لشدة أسنى _ اسمه ، ولكني لا أسنطيع أن اذكر لطُّهُه دُونَ أَنْ تَتَأْثُرُ تُعْمِي ، ولقد أُوتِي ــ دُونَ كُلُّ مِنْ عُرَفْتُ من الرجال _ أقرب التلوب شبها بتلبي . ولقد ارتبطنا كذلك باثنين أو ثلاثة بن الإنجليز، وأسبعي الذكاء والمعرفة، مشغوفين مثلَّنا بِالموسيقي ، وكانت ليؤلاء السادة جبيعا زوجات ، او صديقات ، أو عشيقات ، وكن جبيعها _ تقريبا _ نسساء موهوبات ، تمزف الموسيقي ويدور الرقص في ببوتين . وكان

في حيرة من أمر سنقرى . وإذا بكل الجيوب تثقتم لي ، فأخذت عشرين « سيكان » من السيد لويلون ، ومثلها من السيد دى سان سير ، الذي كثت وثيق الصلة به ، وكان يلى التنصل في المكانة من قلبي . ثم شكرت الباتين ، وبتيت ــ إلى أن تدر لى الرحيل _ مقيما لدى رئيس ديوان القنصلية ، لكى اثبت للراي العام أن الأمة لم تكن بششركة في مظالم السفير ، ولقد اهاج هذا ان راتني موضع تكريم في محلتي ، بينها كان هسو _ برغم مركزه كسقير _ مئبوذا ، ففقد حجاه تماما ، وأخذ يتصرف كالمخبول . وبلغ من غفلته أن قدم إلى مجلس الشيوخ مذكرة لاعتقالي ، غلما انباني بذلك الراهب دي بيني ، تررت أن أبقى اسبوعين آخرين؛ بدلا من أن أبادر إلى الرحيل في البوء التالي ، كما كلت أعنزم ، وقد درس تصرفي ملقى الترارا ، كها غدوت موضع تقدير عام . ولم تتنازل الرئاسة هني بالرد على مذكرة السمير الرعفاء ، كما الباتثي ... عن طريق القلصل ... بأن لى أن أبقى في البندقية ما شبك ، دون أن أزعج نفسى بتصرفات رجل أهبق !. وبن ثم واصلت زباراتي لأصدقائي ، وذهبت لاودع السفير الاسبائي ـ الذي أحسن استقبالي ـ والكينت دى فينوكيينى ، وزير تابلي ، الذي لم أجده فكتبت إليه وإذا يه يرد بخطاب من الطف الخطابات ، وما ليثت أن رحلت ــ في النهاية _ غير مخلف ورائي أبة ديون ، برغم ضائقتي ، سوى القرضين اللذين ذكرتهما من قبل ، وسوى خمسين « ايكو » کنت مدینا بها لتاحر بدعی «موراندی» 4 وقد تکنل « کاربو » بدقعها إليه ، وإن لم اردها إليه قط ، بالرقم من أنفا نقاطت

١١٠ الفورلان الله وطلق على ابناء منصفة الوجول، ٤ الذا يام، الله - الان - في التيمساء وهزه كفر في المعالية الراجات الراجات الماها المنافعة ا

77

'ستغراق ، وأية نشوة تلك التى استشعرتها حين ننحت أذنى وعينى في آن واحد ! . . كانت أول فكرة وانتنى هى أننى كنت في الفردوس ! . . كانت تلك المقطوعة الرائعة ، التي لا أزال أذكرها ، والتي لن أنساها ما حييت ، تبدأ هكذا !

المنحوذت على الجهيلة . . التي اثارت أعماتي ١١١٠ .

ورغبت فى أن أحصل على لحن هذه القطعة ، وقد خلفرت به و واحتفظت به زمنا طويلا ، ولكنه لم يكن على الورق فى روعته التي كان بها فى ذاكرتى ، كانت الأنغام واحدة ، ومع ذلك غإن اللحن لم يكن واحدا ، لم يكن من سبيل إلى أداء اللحن بالروعة السماوية التي كان يتردد بها فى رأسى ، والتي كان يؤدى بها فى الواتع عندما ايتظنى :

اما الموسيتى التى تعتبر — فى رابى — اسمى من موسيتى الأوبرا ، والتى لا مثيل لها فى إيطاليا او فى بتيسة العالم ، فهى موسيتى « الاسكوله » . . و « الاسكوله » بيوت خبرية انشئت لتعليم الفتيات الصغيرات الملائى لا موارد لهن ، واللائى تعدهن الجمهورية بعسد ذلك ، إما للزواج ، وإما للالتحاق بالادبرة . وللموسيتى المكانة الأولى بين المواهب التى تنمى فى هؤلاء والمتيات الصغيرات . فقى يوم الأحد من كل اسبوع ، وفى كنيسة للفتيات الصغيرات . فقى يوم الأحد من كل اسبوع ، وفى كنيسة كل من هذه « الاسكولات » الأربع ، تؤدى خلال تداسات الغروب مقطوعات (١) بشترك فيها عدد كبير من المنشدات وعدد كبير من المنشدات وعدد كبير من العازفات ، ويقوم بتأليفها وتلصيفيا وإدارة ادائها الكور

لعب الميسر بدور هناك أيضًا ، ولكن في الطيل النادر ، إذ أن التسلية - الميسر - عقيمة ، فالقامرة ليست تسلية إلا الوائك الذين يستبد بهم الضحر : ٠٠ وكنت قد حملت معي من باريس، التحامل الذي خلقه الشعور التومي شد الوسيتي الإيطالية . ولكنني كنت قد أوتيت من الطبيعة ذلك الإدراك المرهف الذي لا يمكن الله هذا التحامل أن يصمد أمامه . فسرعان ما سرى إلى نفسى ذلك الشغف الذي توحيه الموسيقي الإيطالية إلى أولئك الذين يبلكون القدرة على الحكم الصحيح بصددها . وإذ سبعت «الباركارول»(١) تبينت أنني لماسيم قبل ذلك غناء!... وسرعان ما أولعت بالأوبرا ولعا جنونبا - حتى أنني كنت حين اضيق بالثرثيرة والأكل واللعب في المقصورات ــ في الوقت الذي لم اكن اهفو مبه إلا إلى الانصات _ أتسلل في كثم من الأحيان من رفاتي ، لأذهب إلى ناهية آخرى من الدار . وهناك كنت اجلس وحيدا في متصورة مغلقة ، واسلم نفسى للذة الاستبتاع بالأداء ، برغم طوله ، دون أن يزعجني شيء ، حتى نهسابة السهرة . وفي ذات يوم ، استسلبت للنوم ـ في مسرح سان كريزوستوم - فاستفرقت فيه بدرجة لم أنعم بها قط في فراشي، ولم تقو الالحان الصالحية ، الرائعة ، على إيقاظي ، ولكن - . من لي بمن يصف الشعور العذب الذي احدثه في نفسي النغم الناعم والغناء الملائكي اللذان ايقظاني للم وأبة بتظة و وأي

اغانى نونية الجندول -

السهل إرضاء شوقك . فإتنى من المشرفين على المؤسسة ، وكم أود أن أدعوك إلى وجبة خفيفة (١) معين ! » .

ولم أتركه يرتاح حتى بر بوعده . وإذ دخلت التاعة التي ضبعت هؤلاء الحبيلات اللائي طال شوقي إليهن ، استشعرت رجفة عاشقة لم أعهدها من قبل . وقدم السيد لوبلون إلى هؤلاء المغنيات الشبهيرات ، اللائي كانت اسماؤهن واصواتين هي كل ما عرفته عنهن : « تعالى يا صوفي ! » . ، انها بشسة الخلقة ! . . « تعالى يا كاتينا ! ١ . . إنها ذات مين واحدة! . . " تعالى يا بثينا ! » . . كان الجدرى يشوه وجهها ! . . لم تكد توجد بينهن واحدة تخلو من عيب ظاهر . . وضحك القاسي من المقاحاة العنيفة التي صدادةتني . . على أنه كانت بينهن انتتان أو ثلاث يبدون متبولات الشكل ! . ، ولم يكن ينقن الغداء إلا مجتمعات (في كورس) ، فتولاني الأسي ، وفي اثناء الوجبة الخنيفة ، رحنا تداعبين شاذا المرح ينيض بهن ، وإذا الدبابة لا تخلو من بعض آيات البهاء التي نبينت وجودها غيون . فظت لنفسى : ما كن ليقوين على مثل هذا الغناء الرائع ، ما لم بكن قد أوتبن أرواها سامية .. وكن كذلك مُعلا . والخيرا ، تغير رأيى غبهن إلى درجة أنتى انصرفت وأنا شبه متيم بهؤلاء الدميمات ! . . وجرؤت _ في عناء _ على العودة إلى حضور قداسين ، وقد تبينت ما طهانني . وقد ظللت أجد غناءهن عذباً ، وارى أن أصواتهن كانت تنا ينم وجور الهر بيا

الموسيقيين الإيطاليين . . وهي تؤدى في المتصورات ذات المواجز المستوعة من الخشب المشابك (المشق كجدران المنابر). ويقتصر اداؤها على الفتيات اللائي لا تبلغ أكبر واحدة منهن العشرين من عمرها . . وليس يوسعى أن أتصور شيئًا ألذ وأعذب واكثر تأثيرا في النفس من هذه الموسيقي ، قان دسلمه النن ، وعدوية الفناء ، وجمال الاصوات ودعة الاداء . . كل ما في هذه الحفلات الموسيقية البهيجة ، بساهم في خلق انطباع لا ينسب قطما إلى « جودة الأسلوب » ، ولكنى أرناب في أن ثبة تلما بشريا في مناهة منه : . . ولم ينخل كاريو وإياى قط عن حضور هذه التداسات في كنيسة = المنديكتاني = ، ولم نكن الوهيدين في ذلك ، فقد كانت الكنيسة دائبا نغص بالبواة . . بل ان مطلى الأوبرا النسيم كانوا يذهبون لينبوا ذوقتهم الغناس مسترشدين بهذه النهاذج الرائعة . وكان الشيء الذي يدغعني إلى التنوط ، يتمثل في تلك الجدران الخشبية اللمينة ، التي لم تكن تسمح بمرور شيء سوى الأصوات ، والتي كانت تحجب عنى الملائكة اللائي قد اوتين _ ولابد _ حسالا يليق سهسده الأصوات ! . . ولم يكن لي من حديث إلا عن هذا الموضوع : وقد تحدثت فيه يوما ؛ في دار السيد لوبلون ؛ فقال : " إذا كنت شديد الشوق إلى أن نرى هؤلاء الفتيات الصغيرات . نبن

www.dvd.for مسيع الأوجبة بين الفداء وا درا

 ⁽۱) المتطوعات التصودة «Wote's» وهي متعلود مراعتية عالية دينية ، تغلم من التحاليم اللانيئية الخاصة بالطقوس الدينية .

حتى أنفى كنت أصر - ما دبت أسمع غنساءهن - على أن أتصورهن جميلات ٤ بالرغم مما كانت تصر عليه عيناي ا

والموسيقى -- فى إيطاليا -- لا تكاد تتكلف شيئا يذكر ، ومن ثم مان حرمان النفس منها -- إذا كان لدى المرء ميل إليها -- لا بكاد يستحق العفاء الذى يبذل فى سبيل ذلك ، وقد استأجرت معزما ، وكفت فى مقابل الا يكو » واحد ، اسستقدم إلى دارى أربعة أو حُست من عازفى الموسيقى الفنسائية ، اندرب معهم أربعة أو حُست من عازفى الموسيقى الفنسائية ، اندرب معهم المعظم قدر من أعجابي فى « الأوبرا » . وكنت أجرب كذلك عزف بعض الألحان الفنائية التى ضمتها « عرائس الشسسر على اللطاف »(۱) ولقد سالنى استاذ الموسيقى الابقاعية فى الاسان جان كريسومستوم القطعتين منها -- إلها لأنه أعجاب بهما حقا ، ولها لأنه أراد أن يتملقني -- فسرئى أن اسمعها تؤديان على أيدى غرقته الرائعة ، وأن تؤدى رقصاتهما الصغيرة ، أ بتينا » أيدى غرقته الرائعة ، وأن تؤدى رقصاتهما الصغيرة ، أ بتينا » وهى غناة جميلة لطيفة ، كان يرعاها السباني من إصدقائها يدى غراده . وهى غناة جميلة لطيفة ، كثيرا ما تضينا السهرات فى داره .

米米米

أما عن النسآء ، غليس لرجل أن يعرض عنهن في مدينة كالبندتية !.. وقد بقسال لى آ « اليس لديك ما تعترف به في هذا الصدد ؟ « .. بلى آ عان لدى ما يقال نعلا ، وانى لمقدم على هذا الاعتسراف بنفس الصراحة التى اتبعتها في كال

LOGIOO WYCOCLOGIONI

(آ) « الأوبن ا الذي كأن التوسين ا المالكية والمالكية المالكية والمالكية المالكية ال



وقدم السعد فوبلون الى هؤلاء المقتبات الشبهم ات ، الملائي كانت أسماؤهن وأصواتهن هي كل ما عرفته عثون ،

اعترافاتم الأخرى . . ولقد كنت دائما أنفر من البغايا ، بيد أنه لم يكن لدى سواهن في البندقية ، إذ كان محرما على ولـوج معظم البيوت في المديئة ، من جراء منصبى ، ولقد كانت فتيات السيد لوبلون جد لطيفات ، ولكن التقرب اليهن كان الهـرا عسيرا ١ كما أن احترامي لأبيهن وأمين كان أعظم من أن يسول لى مجرد التفكير في اشتهائين !

ولقد كنت خليقا بأن أميل كل الميل إلى ثماية تدعى الأنسمة دى « كاتاليو » - كانت ابنة مندوب ملك بروسيا - ولكن كاريو كان يهواها ، حتى أنه كان يسمى إلى الزواج منها . . ولتسد كان ميسور الحال ، في حين أنثى لم اكن أملك شيئا . . كان مرتبه مائة « لوى » ، أما أنا غلم أكن أنشاضي سموى مائة « بيســتول » - وبغض النظر عن أننى ما كنت لأستبيح أن اسطو على صيد صديقي ٤ قائي كنت أدرك أن ليس لرجل خالي الوفاض أن يقدم على التقرب إلى الحسان ، إينها يكن . . ولو كان في البندقية ! . . ولم أكن قد غقدت عادتي المشلوبة ، وأعنى بها استبدال الحاجات التي أصبو إليبا ، ولما كثت جد مشغول إلى درجة لا تدع لي سبيلا إلى الشعور اللح بالحاجات التي يخلقها الجمو المحيط بي ، قائني عشت في همذه المدينة عاما نتريباً ، وأنا محتفظ بها كان لي ٥٠٠ في باريس _ من طير وحكمة . . كما تركتها بعد ثمانية عشر شهرا دون أن أقسرب الجنس اللطيف فيما عدا مسرتين ، وبسبب المناسسبتين غير الماديتين اللتين سأذكرهما ميما يلي:

ولقد أتاح لمي أولاهما السيد الشريف غيتالي (١) ، بعسد انقضاء فترة على الاعتذار الذي أحبرته على أن يقدمه لي في أكبل صيغة رسمية ، نقد دار الحديث حول الماندة عن ملاهي البندقية 6 غاخذ السادة يعتبون على عدم اكتراثي باشد هذه الملاهي حرارة ، ويطنبون في إطراء رقة الفواني البندقيات ، ماثلين أن ليس في العالم من يضارعهن . ومال دومينيك إنني خليق بأن أتمرف إلى أبدعهن طراء وأنه يرجو أن يقدمني إليهاء وأننى سلطرب لمعرنتها ، وانطلقت اضحك لهذا الاقتراح المحرج ، ماذا بالكونت بياني _ وكان كهلا وقورا _ يتول في صراحة لم أكن اتوقعها من إيطالي ، إنه يؤمن بأنني أعقل من ان أدع عدوي يقودني إلى دار غانبة. والواقع اللي له استشمار ميلا ، ولا تأثرت بإغراء ، ولكنني انتهبت بالرغم من ذلك ... وبدائع من إحدى النزوات المتناقضة التي لم اكن املك أن أفهيبا - إلى أن تركت عدوى يتودني ، على النتيض من الله ميولي ، وقلبي ، وعقلي ، بل وإرادني . . كنت منسامًا له لجرد الضعف والخجل من ابداء عدم الثقة به ، أو بلسان تلك البلاد :

(۲) Per non Parer Troppe Coglione « البادوانا » (٣) التي ذهبا إليها ذأت وجه لا باس بحسنه بل إنه كان جبيلًا ، ولكن جماله لم يكن من الطراز الذي بروق لي.

⁽۱) واضع أن ﴿ ووسو ق يسخو من ﴿ قَيْنَالَي ﴾ اذْ يصعه بأنه شريك...

١٢ القائية : أو الموسس -

غلقد ذكرت أن الكايتن أولينييه - الريان - قد دعانى إلى الفداء على ظهر سفينة ، وأننى أصطحبت سكرتير السسفارة الاسبانية . وكنت أتوقع أن تحيينا المدافع ، غاذا البحسارة يستقبلوننا مصطفين، ولكن قطعة واحدة من الذخية لم تشمل، مما غاظتي كثيرا ، بسبب كاريو ، الذي رأيته مستاء . والواقع أن التحيد بطلتات المدافع - على السفن التجارية - كانت تؤدى لاناس لا يعادلوننا مقاما بالتأكيد ، كما أنفي كنت أخالني جديرا بشيء من التمييز من الريان ، ولم أسسقطع أن أخفى ما كان بغسي ، نقد كان ذلك أمرا مستحيلا دائما ، ومع أن الفداء كان بديعا ، وقد أدار أولينييه الانخاب في إكرام رائع ، عانني بدات المدية وأنا منحرف المسؤاج ، ومن ثم فقد الكات قليلا

وعند احتساء النخب الأول " توقعت تصفيقا على الأقل ، ولكن شينا من هذا لم يحدث ، وضحك كاريو - الذي قسرا ما في خاطري - إذ رآني أغمغم كالطفل ، وفي ثلث الغداء ، رايت جدولا يقترب ، وإذا الربان يقول لي " العبري ! . هذ حذرك يا سيدي غيا هو ذا المدو ! " فسالته عما كان يعني ، وإذ ذاك أجاب بدعابة ، ورسا الجندول بجوار السفيغة ، قرايت فئاة باهرة الجمال ، بالغة الرشاقة ، في ثياب مغرية ، تفادره ، وفي ثلاث قفزات كانت في الغرقة ، ورايتها سستقر المجواري ، قبل أن أقطن إلى أن ثمة مكان عدد عد أن المتناه بقدر ما كانت رشيقة ، مسمولة في المتحرين بريد المناه المتناه بغير السند على الآكثر ! . . ولم تكن تتكلم بغير السند المناه على الآكثر ! . . ولم تكن تتكلم بغير السند المناه المتناه المتناه المتناه المناه المتناه المناه المتناه المتناه

وتركني دومينيك في دارها ، غارسات في طلب بعض المثلوجات (آيس كريم) ، وسائتها أن تغنى لى ، ثم تهيأت _ بعد نصف مماعة _ للانصراف ، تاركا على المنضدة « دوكا ١١٨) ، ولكنها في عزة نفس غريبة _ أبت إطلاقا أن تقبل المبلخ دون أن تكون هد أدت ما يقابله . . وفي غباء ـ لا يقل غرابة ـ أرضيت عزة نفسها ا . . وعدت إلى القصر وأما موقن من أنفي أصبت بمرض خبيث ، حتى ان اول ما فعلت هو أن ارسلت في طلب طبيب لأطلب منه بعض الأدوية . وليس ثمة ما يعادل الغم الذي عانيته طوال ثلاثة اشهر ، دون ما علة حقيقية ، ودون ظهور أية علامة تبرره . قبا كنت لاتصور أن من المكن مفادرة أحضان موسس دون ما ضرر : ١٠٠ بل إن الطبيب نفسه تجشم كل عناء يمكن تصوره ، لكي يطبئنني ، فلم يوغق إلا إلى التفاعي بأنني كنت مخلوقا على نبط خاص ، لا يجعلني أصاب بالعدوى بسهولة . ومع اثنى قد اكون الل من أي رجل آخر تعرضا لهذا الخطر ، إلا أن عدم تأثر صحتى البتة من هذه الثاحية بالذات ، بيدو لى دليلا على أن الطبيب كان مصيباً ! . . على أن هذا الراي لم بجعلني متهورا قط ، وإذ كنت قد أوتيت معلا هده الميزة الطبيعية لا مَان في وسمى إن أقول أنثى لم أسىء استغلالها !

* * *

اما مغامرتي الآخري ، نمع انها كانت مع عَانية كذلك ، إلا انها كانت من نوع جد مختلف ، سواء في أصلها أو في نتائجها .

 ⁽۱) عبلة دُهبِية كانت تبيتها تثراوح بين ١٦ و ١٦ فرنكا ٠

ان أذهب غاصرت جندولها ، لأنها كانت راغية في استخدام حندولى ، غصدعت ! . . وأمرتنى بأن أغادر مكانى ، وأن أرجو لا كاريو لا بأن يحل نيه محلى ، لانها كانت تريد أن تتحدث إليه غفمات ! . . وتحدثا طويلا ، في صوت جد خفينس ، فتركتهما يفعلان . وتادتنى ، فخفنت إليها ، غقالت لى : « استجع يفعلان . ونادتنى ، فخفنت إليها ، غقالت لى : « استجع يا جانيتو . . است أريد البتة أن أكون محبوبة على الطريقة الفرنسية ، إذ ليس من ورائها طائل في الواقسع . ، ففي أول لحظة تشمعر فيها بالضجر ، لك أن تبضى عنى ، ولكن ، لا تمكث لعن بين بين . . إننى أنذرك ! » .

ودُهينا بعد الغداء لشاهدة مستم الزجاج في ١ مورانو) ٠ غايتاعت كثيرا بن التحف الصغيرة ، التي تركتنا ندمم ثبنها في غير كلفة . . ولكنها كانت - في كل مكان - تجود بما يفوق بكثير كل ما انفقلا . وكان من الواضح ــ من الاستخفاف الذي كانت شمثر مه نقودها ٤ وتحبلنا على أن نبعثر نقودنا ـــ أنها لم تكن نغيم للمال وزنا . . واعتقد انها عندما كانت تطلب اجرا لنفسها، لم تكن تصدر في طلبها عن جشع بقدر ما كانت تصدر عن زهو . نقد كانت تطرب للأجر الذي يدفع في مقابل المنع التي تجود بها! وفي المساء ، دُمينا إلى دارها ، وغيما كنا تتحدث ، لحت مسدسين على منضدة الزينة ، فعلت لها وأنا أنناول أحدهما : « آه ! آه ! . . هاكم مصيدة للذباب من نوع جديد . . هل من سبيل إلى معرقة فهم تستخدم ؟ . . إثنى أعسرف أن لديث أسلحة أخرى ، أقوى فتكا من هذا ! ٥٠٠ وبعد بضع مداعيات بن هذا التبيل ، قالت لنا في غرون أردن در ادجا نندة ١٠ مند، ا أتكرم على أولئك الذين لا أحبهم لأسائك القاني الماه الهن الضحر

لهجئها وحدها كاغية لأن تدير رأسي . وفيها كانت تأكل ونتكلم، أخذت ترويتني ، ثم تفرست في لحظة ، وما لبثت أن صاحت : « يا للمذراء الطبية ! . . آه ! ما اطول الوقت الذي انقضى يا عزيزي بريمون دون أن أراك ! » . . وأرنبت في أحضائي، والصقت فمها بقمي ، واحتضنتني حتى كادت تزهق أثقاسي لم. . وراحت عيناها الواسعتان السوداوان - على غرار العيون الشرقية ــ ترميان قلبي بشواظ من لبب - ومع أن المفاجـــاذ احدثت ثيثًا من الاضمطراب في البداية ، إلا أن غسريوتي الشهوية سرعان ما تملكتني _ بالرغم من الحضور _ إلى درجة أن الناتئة ننسها أضطرت إلى أن تكبح جماحي ، إذ أنتى نهلت ، أو بالاحسرى جننت : .. غلما راتني قد بلغت الدرجة التي كانت ترجوها ، خففت من عناتها : ولكنها لم تخفف من فورة عواطفها . . حتى إذا راق لها أن تبدى لنا السبب الحقيقي او الزائف لهذا النزق قالت لنا انثى كثت أشبه السيد دي بريمون ، مدير جمرك توسكاني - إلى درجة بصعب جعها التهييز بيننا . . وأنها كانت _ ولا نزال _ متبعة بردا السيد دي بريبون ، وأنها كانت قد هجرته لحياتتها . . وأنها قد اختارتني بديلا عنه ، عشاءت أن تهواني ، لأن هذا كان بروق. لها ، وأن من الواجب _ للسبب ذاته ! _ أن أحبيا ، طالما ظل هذا بلائمها ، غاذا ما هدرتني نحأة ، وجب أن أحتملها مابرا ، كما كان يفعل عزيزها بريمون ! ٠٠٠ واستولت على كما لو اننى كنت ملك يمينها ، فعهدت إلى بتفاريها ، ومروحتها، وحزامها ، وقلنسوتها ، وراحت تأمرني بأن أذهب إلى هنا أو هناك ، وأن أمعل هذا أو ذاك ، وأنا أطبعها !.. ومالت لي

وحواس إنسان غان بمثل تلك المتعة المحلوة !.. آه ! ليننى عرفت كيف اتفوتها في أتم كمالها للحظة واحدة ، على الاقل !.. لقد تفوتتها حقا ، ولكن دون ما اغتتان ، إذ أننى أفسدت كل الملذات .. تتلتها وأنا غير حافل ، كما ينبغى أن يقال . لا ، أن الطبيعة لم تخلقنى قط للاستمتاع ، وإنها بشت في راسى الفاسد سم هذه السعادة التي لا سبيل إلى وصفها ، والتي غرست في قلبي شهوة الشوق إليها !

张张米

وإذا كان في حياتي ظرف واحد يعبر تمام التعبير عن فطرتي ، فهو هذا الذي اوشك أن أرويه . أن التوة التي اذكر بها - في هذه اللحظة - الغاية المنشودة من كتابي ، لتجعلني اطرح عنى الحياء الكاذب الذي يمنعني من أن احتتها ، فعليك أيها الراغب في معرفة دخيلة قلب إنسان - أيا كنت أنت - أن تتجلد إذ تترا الصفحتين أو الثلاث التالية ، فسوف نعرف فبها جان جائل روسو معرفة تامة !

لقد كنت الج غرغة الغانية ؛ وكاننى الج معبدا للحب والجمال . . وكنت أخال اننى أبصر القداسة في شخصبا ؛ غما كنت لاعتقد أن بوسعى أن أحظى بالانتعالات التي البهتنيها ما لم أحترمها واقدرها . ولم أكد أعرف حذلال محاولات التقارب والتآلف الأولى حنعم مفاتنها وعناقها ، حتى تولاتي الخوف من أن أنقد ثمارها مقدما ، قما منا التقارب و فجاة ، أحسست الخوف من أن أنقد ثمارها مقدما ، قما منا المنافعا ، وفجاة ، أحسست والتعارب والمتالفة تسرى في عروض المنافعة المنافع

الذى يسببونه لى ، وليس هناك ما هو اعدل من هذا !.. على أننى وإن احتملت عتاقهم ، غلست أحب إطلاقا أن أحتسل إهاناتهم ، ولن أخطى، إصابة أول رجل ينتقص من شانى!».

وعند انصر افي ، أتفقنا على الموعد الذي أواغييا فيه ، في اليوم التالى . . ولم أدعها تنتظر ٤ ووجدتها في " ثوب الخلوة ١١٥١) ٠٠٠ وهو ثوب مكشوف ا أكثر من أن يوسف بأنه خليع ، غير معروف إلا في الدول الجنوبية ، ولن أمتع نفسي بوصفه ، برغم أننى أذكره تماما ! . . كل ما ساتوله هو أن كميه وننحة عنقه كانت مطرزة بخيط حريري ، مزدان بكرات مسغيرة في لون الورد . وقد بدأ لى أن هذا كان يضاعف من تورد بشرتها الرائعة الجمال . وقد تبينت فيما بعد أن هـــذا الزي كان من الستحدثات الرائجة في (البندقية !) وافه كان ذا منتبر جيد فاتن ، حتى انني لأعجب من أنه لم ينتقل قط إلى غرنسا . ولم تكن لدى أدنى عكرة عن الغواية التي كانت في انتظاري ... لقد تحدثت عن مدام دى « لارناج » ، وانا في تلك النشيبوات التي تنتاني إليها ذكراها في بعض الأحيان ، ولكن . . نشيد ما كانت عجوزا ، ودميمة ، وباردة الحس ، إذا تيست بحستي « جولييتا » ! . . ولا تحاولوا أن تنصورو! مناتن ومحاسن هذه الفتاة الساهرة ؛ فلسوف تظلون بعيدين كل البعد عن الحقيقة ! . . إن عذارى الأديرة اتل نضرة ، وحسان الحريم أمّل حيوية ، وحوريات الجنة أمّل جاذبية ! . . أبدا ما حظى علب منذ زباراتی لبیت البغی « البادوانا » ... نقد وسوست لنفسی بالخوف من آنئی لم اکن فی صحة تجملنی املا لها ؛ واقتنمت کل الاقتناع بأن یقینی من هذا لم یکن زائفا !

ولقد أهاجتني هذه الخواطر _ التي جاءت في حينها المناسب _ إلى الدرجة التي أبكتني ، أما 8 جوليينا » _ التي كان هذا المنظر جديدا عليها ولا ريب ، في مثل تلك الظِّروف _ غقد بهتت لحظة ، ولكنها بعد أن نهشت في ارجاء الحجرة ، ومرت الأسى التهوسي لم يكن من النفور في شيء . ولم يكن عسيرا عليها ان تبرئني منه ، وأن تبحو الحياء الطفيف ، ولكنثي إذ هبهت بأن انطرح متمالكا على هذا النحر الذي بدا وكانه كان يسمح - للمرة الأولى - ليد رجل وقمه بأن يمساه ، لمحت أنها لم تؤت سوى علمة ثدى واحدة ، وضربت جبهتي براحتي : وتفرست ، مُحْيل إلى أنني أرى أن هذه الجلهة لم تكن على غــرار الاخرى في الشكل ، وإذا بي انقب في ذهني عن تعليل لوجود حلمة شوهاء ، ولما رحت أقلب الفكر ، اقتنعت بأن لهذه الظاهمرة علاقة بعيب طبيعي واضح . . وتجلى لي _ كوضح النهار _ اننى لم اكن احتضن بين ذراعي اجمل حـــناء كان بوسمى أن اتصورها ، وإنما كنت أضم نوعا بن المسنع . كنت أضم نفاية الطبيعة ، والرجال ، والحب . وذهبت في غبائي إلى حد أن أحدثها عن هــذا العيب ، عُتلقت الأمر _ في البداية _ على محمل الدعابة ، وقالت في مرحم وغطت اشر. و من كنب بأن تمبتني هيالها ؛ ولكنها حين را _ _____ على التي المأهو علم

فجلست وأنا أرى نفسى موشكا على الاقباء - ورجت أبكى كالطفل!

ترى منذا الذي يستطيع أن يحدس سبب دموعي وما كان يجرى في راسي في هذه اللحظة ؟. . كنت أقول لنفسي : ١٠ إن هذه الصناء التي اجدها ي متناولي هي اروع نتاج الطبيعة والحب . . مالروح والجسد في أكمل آبياتهما . . وإنها لطيبـــة وكريمة كما أنها جميلة وبديعة .. وخليق بالعظماء والأمراء أن يكونوا عبيدا لها ، كما يجدر بصولجانات الملك أن تكون عند قديبها . . وبع ذلك ، مها هي ذي تعسة ، تجوب الطرقات . في خدمة كل إنسان ، ، لقد نفض أحد ربابقة السخن النصارات بديه منها ، مُجاءِت والقت بنفسها على رأسي . . على أنا الذي كانت تعرف أنه لا يملك نسيما من أنا الذي لم يكن يوسعها أن تمرف مضائله ، ولا كانت هذه الفضائل شيئا يذكر في نظرها ! .. ان ثبة شيئا يجل عن الادراك ، في هــذا ، غابا أن علبي بخدمني ويزيغ حواسي ويجعلني مطية مومس لا تيمة لها - وإما ان ثمة عيها خفيسا لا ادريه ، يهدم مفعول مفاتفها ، ويحبلها قميئة في نظر أولئك الذين كانوا خليقين _ لولا دلك _ بأن يتناحروا في سبيل الظفر بها » . . وشرعت أبحث عن هـــذا العيب في استغراق عجيب ، دون أن يخطر لي البئة أن ثلثسف والعهر نصيبا في ذلك . قإن نضرة بشرتها ، وإشراق محياها: واستانها التي كان بياضها يبهر البشرة وحلاوة أنشاسها عوالجو العام المحيط بشخصها والموحى بالنظافة - . كل هذا محا هذه الفكرة تماما من ذهتي . وإذ كنت لا أزال في شك من حالي ...

V٩

V٨

إلى (غلورنسا). وإذا كنت لم اشعر بمدى حبى لها عندما كانت إخفائها ٤ إذ بها تتضرح خجلا _ في النهاية _ فتعتدل - وتــوي بين ذراعي ، غقد شعرت به في قسوة إذ غقسدتها ! . . ولم ثيابها ء، ثم سارت _ دون أن تنبس بكلهة واحدة _ فطست يغارتني قط ندمي المهتساج ٠٠ ولقد استطعت أن أتعزى عن لدى نافذة مخدعها ، ورغبت في أن أجلس إلى جوارها ، تقدها ... وهي التي كانت موقورة اللطف وموف ورة الفتنة في مفادرت مكانها وجلست على أريكة ، ثم نهضت بعد لحظة عيني ــ ولكني اعترف بائش لم استطع البتة أن أهون على نفسي وتمشت في الحجرة وهي تزغر ، وقالت في ليجة تاسية ، مهيئة: الفكرة التي راودتني بن أنها لم تحمل معها عني سوى ذكرى « جانيتو » ٠٠ دع النساء ، وادرس العلوم الرياضية ١ ! مهيئة زرية!

هائان هما قصناي الوحيدتان 4 فان الشهور الثهائية مثم التي تضيئها في البندتية لم تخلف لي مزيدا أرويه ، اللهم إلا غراما لم يتجاوز أن يكون مجرد ٠٠ مشروع ؛ فلقد كان «كاربو» مشمعومًا بالفساء ، وقد سئم الذهاب دائما إلى دور فتيات كن على علاقات بسواد، نسباورته نزود أن تكون له بدوره عشيتة. ولما كنا لا نعترق ، فقد التترح على مشروعا لم يكن نادر المثال في البندتية : أن نتتني فيها بيننا عشيقة ! ٠٠ ولقد وافقت على فلك ، وبنى أن بجد غائية تطمئن إليها .. وبحث كثيرا ، حتى أهندي إلى مناة صغيرة ، ميما بين الحادية عشرة والثانية عشرة من العبر ، كانت أمها الخسيسة تسعى لكي تبيعها ، وشاهدناها معها ، فاهتز علني إشفاها إذ رأيت تلك الطفلة . . كانت شعر اء، وادعة كالحمل ، لا بطن من يراها أنها إيطالية ، وكانت تفتات المعيشة في (البندقية) زهيدة ، فأعطينا الأم يعض المال ، وتكثلنًا بأن نعول النتاة ، وكال نها صوت رخم ، موهبناه معزفا صغيرا ، واستأجرنا لها مدرسا الناتب الثناء . الى نهي

وتبل أن أبرحها ، سالتها موعدا آخر كي القساها في اليوم التالى ، غارجاته إلى اليوم الثالث ، واردغت ــ وهي تبسم ابتسامة ساخرة مدانني ولا بديحاجة إلى الاستجمام وتضبت هذا الوقت متوعك المزاج ، ملى: التلب بمغاتفيا وحسنها . شاعرا بحماقتي ، لانما نقسى ، متحسرا على اللحظات التي اسات استغلالها ... والتي كان في يدي ، أنا وحدى ، أن أجعلها أهذب لحظات حياتي - مترقبا بالسد الوان نفاد الصبر اللحظات التي أستطيع قيها أن أهوض ما فاتنى . . ولكنني ظللت _ مع ذلك _ قلقا بالرغم من نفسى ، لا أدرى كيف أونق بين مفاتن هذه الفتاة الرائمة ، وبين محشى حالها ، ، وهرعت ، بل طرت إلى دارها في الموعد المحدد ، ولست ادرى اكانت هذه الزيارة خليقة بأن تضاعف من إرضاء طباعها الحادة ١٠٠ كان غرورها -- على الأقل - قمينا بأن يجد في الزيارة عملا يتبلقه ، ومن ثم رحت أستمتع _ سلفا _ بغيطة ما كنت أعتزمه من أن أربيا ، بكل الوسائل ؛ أننى كنت أعرف كيف أصلح أخطائي ، ولكنها أعفتني من هذا العناء ، مَان نوتي الجندول ــ الذي أوغدته إلى دارها ، عندما رسونا _ عاد إلى بنبأ رحيلها في اليوم السابق وقعت بعد ذلك بقليل ، غلم تدعنى اساهم فى هذا العمل الطيب، ولم يعد لى من نصيب فى هذه المسألة اللهم إلا ميول تلبى . . نلتعد الآن إلى رحلتى :

كان أول ما عكرت فيه بعد مفادرتي دار السيد دي مونثيجي، هو أن أعود إلى (جنب ١ ، أملا في أن تؤدي بعض الظروف السعيدة إلى إزاحة العقبات وتمكيني من الانضمام إلى « ماما » المسكينة (١) . ولكن الضجة التي احدثها شجاري مع السفير، وحماقته التي حملته على الكتابة عن ذلك إلى البلاط ، جعلتاني اقرر الذهاب إلى البلاط بنفسى لأقدم حساباً عن مسلكي ، ولارقع شكواي ضد هذا الرجل المجنون ، وكتبت إلى السيد دى « تبيل » _ التائم بالشـــئون الخارجية مؤقتا ، عقب وغاذ السيد «المبلو» _ عن قراره ، ثم بارحت البندةية في اعتاب رسالتی مباشرة ، فاتخذت طریتی مارا ببیرجامی ، و (کومی)، و (دومو دوسولو) - وعبرت مير أسيبيلون) ، وفي (سيون)، ابدى لى السيد دى «شينيون» - القائم بأعمال غرنسا - الف مظهر من مظاهر الود . وكذلك ممل السيد ديلا كلوزير ، في (جنبف) . وهناك ، جددت النعارف مع السيد دي جوفكور ، الذي اضطررت لأن اتقبل منه بعض المسال ، واجتزت (نيون) دون أن أرى أبي ، ولم يكن هذا العمل ليعفيني من الم قاس اختلج به غوادي ، ولكني لم أكن أملك أن أحمل نفسي على أن أظهر أمام زوجة أبي ، بعد ما أصابتي من سوء الطالع ، إذ كنت

> Looloo www.dvd4arab.com

(۱) یتصد بدام دی تاران طبعا در

لها وسيلة للعيش وكان كل هذا لا يكاد يكلف كلا منا عطمتين من غنة « السيكان » في الشهر ، وقد كان كنيالا بأن يوغر علينا نفقات أهرى . ولكنه كان بمثابة البدر الذي لن يؤون حماده إلا بعد أبد طويل ، إذ لم يكن ثمة بد من أن تنتظر حتى تنضج الفتاة ! . . على انفا كنا عاتمين بأن فتردد على الدار١١) ، منقضى أمسياتنا في لعب وثرثرة بريئين مع هذه الصبية ، فننعم بلهو قد يكون أنسب وأفضل مما كنا نحظى به لو انفا نلنا منها وطرا . . وكم هو صحيح أن أشد ما يجذبنا إلى النساء لا بهت إلى الفسق بقدر ما يبت إلى لون خاص من المتعة يستهد من الاقامة بالقرب منهن . . ولقد تعلق تلبي بالصغيرة « الجولينا » في شمغه جنسوني ، ولكن هدذا الميل كان أبويا ! . . ولم يكن لشهواتي اثر يذكر في ذلك ، هبتدر ما اخد حبى بنمو ، راح احتمال السماح ليده الشهوات بأن تكون ذات سلطان عليه يتضاءل . . وكنت أشعر بانني خليق بأن أستبشع أن أمس هذه الفتاة _ إذا ما ادركت سن البلوغ _ كما لو أن هذا العمل كان مُلحشبة مردُولة ! . . وكنت أرى مشاعر كاربو الطيب تتخذ عين الإنجاء ، دون أن يفطن . . كنا قد دبرنا لأنتسنا ــ دون أن نتكبد عناه التفكير في الأمر - منعا لا نقل عذوبة عن تلك التي كنا قد فكرنا غيها من قبل ، وإن اختلفت منها ، واني لوائق من أننا كنا زاعمين بأن نظل حاميين للفتاذ ، لا منسدين لها ، مبما كان يحتمل أن يصير إليه جمالها إذا ما كبرت ، على أن نكبتي (٢)

⁽١) كاتت الصبية تتيم مع امها ، ويتكفل روسو وصديته منفثاتها .

⁽١) يتصد خلافه مع السفير ومباريحته البندتية .

موقناً من أنها ستلتى الذنب على دون أن تسمع تولى . ولقد لامنى «دوغيار» الكتبي _ وكان صديقا حميما لأبي _ على هذا الخطأ لوما شديدا ، فذكرت له السبب . ولكي تصلح الخطأ . استأجرت محفة ورحلنا معا إلى (نيون) ، فهبطنا في فندق . وانطلق «دوفيار» بحثا عن ابي ، الذي لم يلبث أن جاء مهمرعا عاجتضنني ٠٠ وتثاولنا العشاء معا ، وبعد أن قضينا سهرة كانت جد ممتعة لغؤادي ، عدت في صباح البوم التالي إلى إ جنبف إ مع دوفيار ، الذي ظللت دائما أذكر له بالعرفان .. ما بذله من قضل في هذه الناسبة!

ولم يكن طريق (ليون) هو اقصر الطرق لغايتي ، ولكتني رغبت في أن أمر بالمدينة ، لأتحرى عن حيلة خسيسة من حيل السيد دى مونتيجى ، إذ أننى كنت قد اجتلبت من باريسي صندوقاً صغيراً ضم صديرية وشيت حوامها بالذهب ، وبضعة ازواج مناساور الاقمصة المزركشة، وسنة ازواج منالجوارب الحريرية البيضاء ، ولا شيء اكثر من ذلك. واستجابة لاقتراح عرضه على السيد دي مونتيجي نفسه ، ضممت عذا الصندوق - أو بالأحرى ، هدفه العلبة - إلى مناعه . ولكنه في كثب . حساب الصيدلي - الذي أراد حملي على تبوله في مقابل مرتبي، والذي كتبه هو بيده _ ذكر أن هذه العلبة ، التي أسماها «طردا» ، كانت نزن أهد عشر منظارا ، وتقاضاني لذلك عن نقلها أجرا هائلا، واستطعت التحقق _ بغضل السيد يوى ديلانورا، الذي أوصاه بي السيد روجان ذاله - من مجلات

حمارك ليون ومارسيليا ٤ ان «الطرد» المزعوم لم يكن بزن سوى خبسة وارمعين رطلا ، وأن أجر النقل لم يدمع إلا عن هـــذا الوزن ، وقد أضنت هذا البيان الرسمي إلى ذكريات السيد دى مونتيجي . وعدت إلى باريس مزودا بهذه الوثائق ويكثير بن ابثالها ٤ وانا بثليف على استغلالها . ولقد صادفت - خلال هذه الطريق الطويلة - مفامرات صغيرة في (كومي أ) باقليم (نالبه) ، وفي بقاع آخري ، ولقد رأيت ــ فيما رأيت ــ جزر ابورومیه) التی کانت جدیرة بأن توصف ، ولکن الوقت کان يمر سراعا ، وكان الجواسيس يضيقون على النطاق ، ومن ثم فقد كنت بضطرا إلى أن أنجز حلق سرعة وباسوا حال حرجلة كانت تتطلب سيعة من الوقت والطهانينة ٤ الأمسر الذي كان يعوزني . وإذا قدر للمثابة أن ترعاني وأن تتيح لي _ أخير ا _ أياما أكثر سكينة وطمانينة ، غلسوف اخصص هذه الأبام إعادة صوغ همدا المؤلف _ إن استطعت _ أو لأضيف إليه جزءا مكبلا ، اشمر بأنه ممتاج إليه كل الاحتياج(١) .

وكان ضجيج قصتى قد سبقنى ، نها أن وصلت إلى باريس هتى النيت كل امرىء ــ سواء من الرسميين او من العلمة ــ قد استثكر حماقات السفير ، وبالرغم من هذا ، وبالرغم من صبحة الرأى العام في البندتية ، وبالرغم من الأدلة غيم المدحوضة التي قدمتها ، فإنتي لم استطع أن أظفر بالانصاف! ٠٠٠ بل إن الأمر لم يقتصر على أنني لم أغز بإرضاء ولا بتعويض،

⁽أ) عقب فروضوه على ذلك بقوله 🐩

النُعِرِ قَ الْعَاطِلَةِ . ولقد غَاظني هذا ؛ حتى أنتي كتبت إليها ــ بعد ببارحتى دارها _ خطابا لعله أشد وأعنف خطاب كتبته في حياتي ، ولم أذهب إلى دارها بعد ذلك قط! ، ، ولقد أكرم الأب كاشيل وغادتي ، ولكنني لحت - خلال تهلقه الجــزويتي --أنه كان يتبع في أمانة مبدأ من أعظم مبادىء المجتمع . . ذلك هو: التضمية دائما بالأضعف من أجل خاطر الاتوى ! ٠٠ ولكن شبعوري المتأجج بعدالة مضيني ، وكبريائي المطرية ، لم يدعاني اطبق هذا التحيز صابرا . فكففت عن زيارة الآب كاستيل ، وبالثالي زيارة الحبرويتيين الذين لم أكن أعصرف من بينهم سواه ! . . وإلى جاتب هذا ، غان روح الجور والدس لدى زملائه ، كانت تختك عن صلاح الأب هيميه الطيب ، مما جعلني اشمر بتقور من اجتماعهم ، حتى انفى ــ منذ ذلك الحين ــ لم أر أحدا منهم ، اللهم إلا الآب بيرنبيه ، الذي قابلته مرنبن أو ثلاثا لدى السيد دوبان ، إذ كان يعمل معه بكل ما في وسمعه على تغنيد آراء مونتسكيو!

نلنختتم ــ إلى غير رجعة ــ ما بقى لدى من قول عن السيد دى مونتيجى ! . . لقد كنت اقول له ــ فى منازعاتنــا ــ إنه لا يليق به أن يستخدم ــ كرتيرا ، وإنما الآليق به أن يستخدم ــ لا يليق به أن يستخدم ــ احد كتبة المحامين ، ولقد احذ برايى هــذا ، والــستخدم ــ كخليفة لى ــ كاتب محام حقا ، خلم يلبث أن سرق منه ، فى اقل من عام ، عشرين الف أو ثلاثين الف ليبرة ، ولقد فصله وزيه فى السجن ، وغصل مستشاريه أن محمد من المسيح والتشجير ، وتشاجر فى كل مكان ، المناز التشجير ، وتشاجر فى كل مكان ، المناز ا

وإنها تركت _ غوق هذا _ تحت رحمة السخير ، نيما بتعلق بمرتنى ١ وذلك لمحرد أتنى لم أكن غرنسيا . غلم يكن لي الحق في أن استجير بالدولة ، ومن ثم نقد كانت المالة شخصية . لا تخص سواقا نحن الاثنين لل ، . كان كل امرىء بقرني على أنثى أهنت وأوذيت وتكبت ، وعلى أن السفير كان معتوها ، عاسيا ، ظالما ، وأن المسالة كلها كانت عاراً باتبا له ، ولكن -ماذا بعد كل هذا ؟! . . لقد كان هو السقير ، أما أنا علم أكن سوى السكرتي . . وكان النظام الصالح - او ما بطلق عليه هذا الاسم _ يقتضى الا أنال أي انصاف ، غلم أنل شيئا منه ! . . ولتد خيل إلى أننى بالشكايات المستمرة ، وبإظهار هذا الأحمق أمام الملا بها كان يستحق أن يظهر به ، قد استطيم أن أضطرهم إلى أن يطلبوا إلى أن أعقل لسائي ، وهو عين ما كنت ارتقبه ؛ إذ أننى كنت قد صممت على الا اطبع حتى اظفر بالأنصاف ، بيد أنه لم يكن ثمة وزير للخارجية إذ ذاك . ولقد تركت أصرخ ، بل اثنى لتبت تشجيعا على ذلك ، ووجدت من ردد صراحى ، ولكن التضية ظلت دائما عند هذا الحد ، حتى سنبت ... في النهاية ... أن أظل دواما على حق دون أن أنال إنصافا ، نشطت عزيمتي ، وبقبت على حالى !

وكان الشخص الوحيد الذى اساء استقبالى ، والذى كان الناس إصفاء لشكاتى ، هى السيدة دى بوزيشال ، فقد كانت لفرط اعتزازها بالامتيازات المترتبة على الجاه ومسمو المكانة ، لا تملك أن تفهم أن من المكن لسفير أن يسىء إلى سكرتيره ، وقد كان مسلكها في استقبالي مطابقا ليدة

الخادم يربأ بننسه أن يتلقاه ، وانتهى _ بفضل حماقاته _ إلى أن استدعى ، وفصل من منصبه وأقصى إلى الريف! . . وكان من الواضح أن مسألتي لم نكن منسية بين المسائل التي وجه إليه اللوم بشنانها في البسلاط . وعلى اية حال ، فقد أوند إلى - بعد قليمل من اعتزاله العمل - وكيل اعماله كي يسوى حسابي ويدفع لي نقودي ، التي كنت في حاجة ماسة إلبها ، إذ كانت ديوني في (البندتية) ، ديون شرف _ إذا حاز أن نسبها كذلك يوما ــ وكانت تثقل تلبي يالهم ، فانتهــزت الفرصـــة لتسديدها ، بما في ذلك سند « جانيتو ناني » . ومن ثم أخذت ما قدم لي ، ودفعت كل ديوني ، ومع أن هذا خلفني معدما _ كبا كلت من قبل _ إلا أننى نخففت من عبء كان قد أصبح اثتل من أن احتمله ، ومنذ ذلك الحين لم أسمع كلمة عن السيد دى موئتيجي حتى موته ، الذي علمت به من صوت الشمب (١) ٠٠ غليرهم الله هذا الرجل المسكين ! . . لقد كان في صلاحيته لمهنة السفير لا يفضلني في صالحيني _ في صحباي _ لمينة المحاماة(٢) ، على أنه كان في يده ... هو وحده ... أن بسلك مسلكا شريقا في الاستعانة بي ، وإن يكنل سرعة ارتتائي إلى المنصب الذي كان الكونت دي جونون قد رسم لي الطريق إليه - في صباي - والذي استطعت بالاعتماد على نفسي نقط ان أصل إليه في سن بتقدية!

ولقد خلفت عدالة شكاياتي ، وعدم جدواها ، بذور السخط في نقسى على نظمنا المدنية الحمقساء ، التي تضحي بغضلها المصلحة العامة والعدالة الحقة ، لغير ما مصلحة واضحة أعرفها . بل إنها لتهدم فعلا كل نظام ومصلحة ، ولا تؤدي إلا إلى أن تخلع شرعية السلطة العامة على ما ينال الضعيف من ظلم ، وما يبديه القوى من جور : . . ولم يمنع هذه البذور من أن تنبو إذ ذاك _ كما ترعرعت فيما بعد _ سوى المرين : أولهما أن المسالة كانت شخصية لا تتعلق بسواي ، والمملحة الشخصية _ التي لم تؤد تط إلى أي شيء عظيم أو نبيل _ لا يبكن أن تنتزع بن قلبي قط تلك الخنقات التدسية التي لا يمكن لغير أنقى حب للعدالة والجمال أن يشرها فيه . . أما الثاني فهو سبحر الصداقة الذي سبكب على غضبي شعورا ناعبا خنف بن حدثه وهدا بن سورته . إذ كنت تد تعرفت في البندقية على شخص من ابناء منطقة خليم ابسكاي) ، كان صديقا لصديقي كاريو ، وكان جديرا بصداقة كل رجل شريف . وكان هذا الشاب اللطيف _ الذي أوني كل المواهب وكافة الفضائل _ قد شرع في جولة في ربوع إيطالها ، لينمي في نفسه الميل إلى المنون الجميلة . وإذ خيل إليه أنه لم يعد ثمة مزيد بحصله ، هم بالعودة إلى وطنه مباشرة ، فأهبرته بأن الفنون لبست سوى مجرد تسلية لعبقرى مثله خلق لكي ينمي العلوم ، وأشرت عليه بأن يرحل إلى بأريس ، ميقضي ميها سنة أشهر في سبيل ذلك.

⁽١) يتصد الصحافة ،

⁽١) فكن روسو في الكراسة الأولى من اعتراقاته أن أباد كان بريده على أن يكون محامياً ، ولكنه لم يقلم في غنرة التدريب. -

وقد مسدقتي وأخذ بنصوح نجروش نانه عمل إلى باريس . . وكان في انتظاري عند مدن المها . . وكان

ولقد تزوج هذا الشاب عقب أسمناره ، ومات في ربعان الشيباب ، مخلقا الطفالا ، وانى لأومن - ايمانى بوجودى - بأن زوجيه كانت المرأة الأولى ، والوحيدة ، التي أذاتته ملاذ الحب ! . . ولقد كان في ظاهره تقيا كأي أسبائي آخر ، أما في باطئه مكانب تتواه كتتوى الملائكة . وفيها عداى ، كان هــو الشخص المتسلم الوحيد الذي رايته في حياتي ، فما سأل الهرءا عن آرائه الدبنية ، وما كان ليعنيه كثيرا أن يكون صديقه يهوديا ، أو بروتسـ ثانتيا ١ أو تركيا(١) ! ، أو متعبدا ، أو زنديقا ، ما دام هذا الصديق أمينا شريفا - وبقدر ما كان عنيدا ، جامد الرأس إزاء آراء ضئيلة الأهميسة ، غانه كان يتراجع بمجرد أن يتحول الجدل إلى الدين ، أو حتى إلى الأخلاق ، وكان ببسك لسانه ؛ أو يكتفي بأن يقول : « لسبت مسئولا إلا عن ننسى ! » . ومن الأمور التي تجل عن التصديق ، أن ينسني الجمع بين سمو روحي كهذا وعقل يعني بادق التفصيلات . نقد كان يقسم يومه بالساعات ويحدد ــ مقدما ــ استخدام كل ساعة ، بل كل ربع ساعة وكل دقيقة ا ويتبع هذا التقسيم بدقة بالغة ، إلى درجة أنه كان _ إذا دقت الساعة وهو في منتصف إحدى العبارات _ يغلق الكتاب دون أن يتم العبارة! . . وكان ببن كل هذه الاشمام - التي اعتاد أن يقسم إليها يومه _ ما هو مخصص للدرس ، وما هو للتأمل ، وما هـو الحديث : وما هو العبادة ، وماهو المراءة مؤلفات « لوك » ، وما هو لغلاوة التسابيح ، وما هو الزيار ان ؛ با هو الموسيقي:

مسكنه اكثر اتساعا من حاجته ، غمرض على ان اتساطره إياه ، وقبلت . وقد وجدنه ملينا بالتحمس لنروع المعرفة العلبسا . ولم يكن من شيء يسمو على توى إدراكه ، غكان يسستوعب ويهضم كل شيء يسموعة تدعو إلى العجب . ولكم شكر لى ان هديته إلى هذا الغذاء لعتله الذي كان يتحرق ظما إلى المعرفة ، دون أن يدرى كنه هذا الغلما ومبعثه ! . . أية كنوز غنيسة بالاتوار والفضائل وجدنها في هسده النفس التوية ! . . لقد شعرت بانه الصحديق الذي كنت أصبو إليه ، غفدونا وثبتى المللة ، ولم تكن مشاربنا واحدة اغكنا دائما في جدال . . يلم نكن ننفق قط على أمر واحصد الإذ كان كل منا عنيسدا . ومع نلك غقد كنا لا نطبق غراقا . ومع اننا كنا نتعارض دون انتطاع . إلا أن كلا منا لم يكن يتمنى أن يكون الآخر غير الذي كانه !

كان « ايناسيو ابهانويل دى النونا » من اولئك الأغسراد النادرين ، الذين لا تنجيهم سوى اسبانيا ، وقلها تستأثر بهم من أجل مجدها الخاص . ولم تكن له تلك النعرات القسومية العينية ، المألوغة لدى قومه ، كها أن فكرة الثأر كانت بن البعد عن ذهنه بهثل ما كانت الرغبة فيه بعيدة عن تلبه . وكان اسمى نفسا بن أن يحقد ة وكثيرا ما سمعته يقول في هسدوه مفرط ، إنه ليس في وسع الإنسان الغاني أن ينال منه . وكان ميالا إلى النساء في غير لين أو ضعف ، فكان يلاعب النساء وكانين أطفال صغار . . وكان يليو مع عشيتات أصدقائه ، ولكني لم أر له يوما عشيقة قط ، ولا عرفته بشتهي أن تكون ولكني لم أر له يوما عشيقة قط ، ولا عرفته بشتهي أن تكون مجالا له واحدة . كانت نيران الفضيلة المتأججة في قلبه لا تدع مجالا تحط الواعج الشهوة آ

وما هو للرسم . . ولم يكن لأى لهو ، او اى اغراء ، او اية مجاملة مجال للتدخل في هذا النظام ، اللهم إلا إذا كان واحبا لا بد بن أدائه ! . . وعندما أعطاني بيان تقسيمه الوقت _ عسى أن أتبعه _ طفقت اضحك ، حتى انتهيت بدموع الاعجاب ! . . ولم يكن يئتل على الغير اطلاقا ، ولا يحتمل أن يثقل عليه الغير ، وكان حازما مع أولئك الذين كانوا يحاولون مضايقته في أدب ، وكان هار المزاج ، ولكن في غير عبوس . مُكثيراً ما رأيته منفعلاً ؛ ولكني لم ارد قط مغضباً . ولم يكن شة ما يفوق مرحه وبشائسته ، وكان ينصت إلى الفكاهة ويحب ان بتفكه ، وكان في ذلك لامع البديهة ، أوتى موهمة في قصائد الهجاء . فاذا ما استثاره احد ، انقلب صارحًا ساخيا ، حنى لسبع صوته على بعد . . ولكن الابتسامة كانت نرى على أساريره ، أثناء صياحه ، وكان - في فمرة انفعاله - يطلق بعض الملح ميحمل الجميع على الضحك . ولم يكن بدين الجسم: كما أنه لم يؤت سيماء الأسبانيين . . كانت بشرته بيضاء ، وخداه مبتلئين عوشمره بنيا غائما ، يكاد بقرب من الصفرة ، وكذلك كان طويل القوام ، متين البنيان 3 ذا جسد جدير بان یاوی روحه!

هذا الشخص الذى أونى ثلبا بشبه راسه حكمة وعتلا ، كان على بصرة بالناس ، وقد كان صديتا لى . . وهذا كل ما أقول لن هو ليس من اصدتائى . ولقد توثقت صلتنا ، حتى لتد فكرنا فى أن نقضى عمرينا معا ، غاذهب ـ بعد سنوات ـ إلى (اسكويشيا) لأعيش معسه فى ضيعته . ولقد دبرت جميع

اجزاء هذا المشروع - غيما بيننا - في اليوم السباق على رحيله. ولم يعد ينتصنا سوى ذلك الذى لا يملكه الإنسان لنفسه في مشروعاته ، مهما يحسن تدبيرها - ، فلقسد قدر للاحداث بعد فلك - وأعنى مصائبي ، وزواجه ، وموته في النهاية - ان تفرق بيننا إلى الأبد! . . وما أجدر المرء بأن يقول إنه لا نجاح إلا للخطط السوداء التي يدبرها اللئام ، ، اما المشروعات البريئة التي يدبرها الطيبون ، فانها لا تكاد تتحقق قط!

* * *

ولما كنت قد تفوقت مناعب العبل في خدمة الغير ، نقد عقدت العزم على الا اعسرض نفسى لذلك مرة أخسرى ، ذلك ائني رايت أن خططي الطبوحة التي أغرتني الظروف بتدبيرها كائت تنتلب راسا على عقب بهجرد مولدها 6 وثبطت رفيتي في العودة إلى مهنة بدأتها بمثل هذا النجاح ، ولكنني ــ رغــم ذلك _ ماردت منها ٠٠ ومن ثم مقد الليت على نفسى الا التحق ثانية بحدمة احد ، وأن أظل مستقلا ، فأستغل مواهبي التي كثت تد بدأت _ أخرا _ أقدر مداها ، والتي كثت _ حتى ذلك الحين ـ لا انظر إليها إلا في تواضح . لذلك استأنفت العمل في « الأوبر أ » التي كثب قد أنصر ثبت عنها نظر أ لرحيلي الى (البندتية) ، ولكي أغرغ إليها في أتمى هـدوء ممكن ــ عتب رحيل « الثونا B ، فقد عدت إلى الإقامة في فندتي القديم _ « سان كينتان » _ الذي كان مقم في هي منصرل ، يبعد قليلا عن (لوكسمبورج) أ هيكان نظلته كل ملامة _ النبكيني بن العمل في هدوء لم بين البسكن البتائي في شدار ؟

(سائت أنوريه) الصاخب ، وهناك وجدت في انتظاري السلوى الحقيقة التي أذاقتنيها السماء في شقوتي ، والتي كان لها وحدها غضل تهكيني من أن أتحمل تلك الشقوة ، ولم تكن هذه السلوى معرفة عابرة ، ومن ثم غلا بدلي من الإقدام على بعض الاسهاب في بيان الطريقة التي نشات بغضلها .

فلقد أوتينا في النف دق مضيفة جديدة بن إورليان) المتارت للعناية بالفسيل فناة من بلدها عبها بين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين بن عمرها اكانت تتناول الطعام معنا اشائها في ذلك شأن المضيفة . وكانت هدده الفتاة للسماة تبريز لافاسير – بن اسرة طبية - فقد كان والدها مراقب العملة في أورليان الوكانت أمها تاجرة . وكان الأبوان عثيرى العيال ، ولما كفت دار سك النقود عد في أورليان – عن العمل العمل وجد الآب نفسه على قارعة الطريق ، بلا عمل . في حين أن الأم أفلست ، وتخبطت في أعمالها ، وانتهت إلى المنظى عن تجارتها المنجوب وابنتها التي اخذت عن تجول ثلاثتهم من عملها !

وعندما رابت هذه الفتاة على المائدة للمرة الأولى ، اخدت بمسلكها المحتشم ، وزادتنى دهشة تتاراتها الوثابة اللطيغة ، التي بدت لعينى _ إذ ذاك _ تادرة المثال ، وكانت الثلة التي تجتمع حول المائدة نضم _ إلى جانب السيد دى بوتغون _ عدة من التساوسة الايرلنديين والجسكوتيين ، وبعض أغراد آخرين على شاكلتهم ، وكانت مضيفتنا نفسها زعيمة الغوضى في حياتنا ، في حين أننى كنت الوحيد الذي اعتاد أن يتكلم وأن

ينصرف في وشار واحتشام ، ولقد عاكسوا الفتاة المسكينة ، نتوليت الدفاع عنها ، فاذا بالساخرين ينتلبون على ، ولو الني لم احس يميل طبيعي نحو الفتاة المسكينة ، لكان الشسعور بالاشغاق ، بل والمعارضة ، كفيلا بان يخلق هذا الميل الفقسد كنت أعجب بالاحتشام في الاقوال والأغسال ، لا سيما لدى الجنس الآخر ، ومن ثم غدوت جهارا نصير الفتاة ، ورأبت أنها قد تاثرت بعطفي ، وأن نظرانها أخذت تطفح بعرفان لم نكن تجرؤ على البوح به ، مما كان يزيدني لباقة وطلاقة لسان!

ولقد كانت شديدة الفجل ، وكذلك كنت أنا ، وسرعان ما نمت الرابطة التي لاح أن هذا التشابه في الطباع كان خليقا بان بعوقها ! . . واهاج ذلك مضيفة الفندق _ إذ لاحثلقه _ فاذا بعوقها ! . . واهاج ذلك مضيفة الفندق _ إذ لاحثلقه _ فاذا لها سواى نصير في الدار ، ومن ثم فانها كانت ترمقني في أسى لها سواى نصير في الدار ، ومن ثم فانها كانت ترمقني في أسى تجاوب قلبيا وتشابه طباعنا أن أحدثا الرهما المعتاد ! . . فقد خبل للفتاة أنها رأت في شخصى رجلا شريفا ، ولم تكن مخطئة في ذلك . . ولقد خبل إلى أنني أرى فيها فتاة مرهفة الحس ، في ذلك . . ولقد أنباتها _ بغذ البداية _ بانتي لن أهجرها قط في لان أتزوجها إطلاقا ! . . وكان الحب ، والاحترام ، والإخلاص الصادق هم رسل فوزى ، وذلك لان قلبيا كان رقيقا ، أينا ، المسادق هم رسل فوزى ، وذلك لان قلبيا كان رقيقا ، أينا ،

ولقد أدى خوفها من أن أسته الله أهميد أسيد ما كانت

معتقد اننى انشده ، إلى تأخير هنائي أكثر من أي شيء آخر . في غير ملذاتي ـ قد خطوت خطوات كثيرة في تدعيم هنائي . ورابت أنها كانت مضطربة مرتبكة تبل أن تسليني ننسسها ١ كان لا مد لي من عاطفة محتدية تحتل محل طبوحي الخابي ، مشوقة إلى أن تمكنني من أفهمها، دون أن تجرؤ على الأيضاح غتملاً فؤادى - وقصارى القول أنفى كنت بحاجة إلى خايفة بنفسها . وإذ كنت بعيدا عن أن أحديس السبب الحقيقي لماما ، ، ولما كنت مضطرا إلى ألا أعساود العيشي معها تلط ، لحرجها ، فانفي عزوته إلى بسب حسد خاطيء ، وحسد مهين مُقد بات من المحتوم أن أبحث عمن تعيش مع تلميذها ١ وعمن لشخصها وأخالتها . فقد اعتقدت أنها كانت تربى إلى أن أجد لديها من البساطة ورقة القلب ما كانت تجده لدى . وكان تنبهني إلى أن صحتى قد تتعرض للأخطار ، وأوقعني هذا في لا بدلي من نعيم الحياة الخاصة والفة المعاشرة ، لتعوضني عن كثير من الحيرة ، التي لم تصدني عنها ، ولكنها سببت هنائي المبئة اللامعة التي كنت قد نبذتها . . كنت إذا ما خلوت بنفسي أياما عديدة . وإذ عر على كل منا أن يفهم الآخر ، فإن احاديثنا وحيدا ٤ اشتمر بقلبي خاويا ٤ لا يمكن أن يملأه سوى مخلوق في هذا الصدد كانت الفارا واحاجي تدعو إلى اكثر من الضحك، آخر . . وكان القدر قد حرمتي من تلك التي خلقتني الطبيعة من حتى لقد كانت الفتاة موشكة أن تظنني معتوها ، كما أنني كنت أجلها ، أو أتصانى عنها على الأقل ، ومن ذلك الحين ظللت لا أكاد أغرف لنفسى رأيا فيها ، وأخيرا تصارحنا ، واعترفت وحيداً ٤ إذ انتي لم أعرف في حياتي تط وسطا بين كل شيء أو لى موهى باكية مرائة وحيدة تعرضت لها وهي ثغادر مرحلة لا شيء(١) ، ولقد وجدت في تبريز العوض الذي كنت بحاجة الطفولة؛ وكانت ثبرة جبلها ودهاء الشخص الذي اغواها. إليه ، فعدت بغضاها سعيدا بقدر ها سهجت تطورات وما أن فهمتها حتى مسحت في اغتباط : ٩ البكارة ! . . جميل أن الأحداث ! ترتجي في باريس ، وفي سن العشرين 1, . آه ! با تريري - انتي لجد سعيد بأن أحظى بك حكيمة سليمة ، ولا أجد قيك ما لم اكن الشيدة ! € .

ورغبت _ في البداية _ في أن أشكل ذهنها ، غبدت في ذلك جهودي ، إذ ظل ذهنها كما صاغته الطبيعة ، ولم يكن للثقافة والتعليم تأثير عليه ، ولست أخجل إطلاقًا من أن أعترب بانها لم تتعلم البتة كيف تجيد القراءة ، وإن لم يكن ثمة بأس بكتابتها. وعندما انتقلت للسكني في شارع (نيف ديه بيتي شاب) ،

ولم أكن اسمى في البداية لغير العبث ، ولكنتم ما لبثت أن تبينت أنثى وجدت أكثر من ذلك ، وأننى أوتيت زميلة ! . . غان قليلا من الألفة مع هذه الفتاة الرائعة ، وقليلا من التسابل في موهنى ، جملاني اشعر اننى - في الوقت الذي لم اكن أنكر نيه

(١٦) بزيد أن بقولُ أنَّه أفتاد أن ينالُ مَرْكِهِمْ أَنْ إِلَيْهِا أَنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ T GHEFT كانت هناك ــ أمام نوافذي في فندق بونشــارتران ــ ساعة اضطررت إلى أن أتضى أكثر من شمير في تدريب تيريز على تعرف الوقت عليها . ومع ذلك فانهما لا تكاد ــ حتى الآن ــ تحفق ذلك . ولم تستطع يوما أن تذكر أشبهر السنة الاثنى عشر بترتبيها الطبيعي) كما أنها لم تعرف رقما وأحدا) برغم كل العقاء الذي تجشبته كي أعلمها الأرقام ، فهي لا تستطيع أن نعد النقود ، أو أن تحسب ثبن أى شيء . . أما الكثبات التي تستخدمها في الكلام ، مكثيراً با تكون نقسائض با تريد قوله بالذات ! . . ولقد اعددت مرة عاموسها لتلك العبارات ، كي أسرى عن مدام « لوكسمبورج » ، مَإذا أخطاؤها تذيع في المجتمع الذي كنت أعيش فيه ، بيد أن هذه الفتاة كانت بستشارا رائعا في المناسبات العصبية ، برغم ضيق عتلها إلى هذا الحد، أو برغم غبائها إن تسئتم ! . . وكثيرا ما كانت ترى في المحن التي كنت أجدتي فيها - في سويسرا أو إنجلترا أو فرنسا - ما لم اكن أراه أنا نفسى ، فكانت تبحضني من النصح خير ما ينبغي ان أتبع ، وكانت تنتزعني من اخطار كنت اندفع إلبها كالأعمى ٠٠ وفي حضور أرقى السيدات ، وفي محضر العظها، والأبراء ، كانت بشاعرها وآراؤها الجيدة وإجاباتها ومسلكها تنتزع لها التقدير العام ، وتجتلب من التهانيء - لطيف خصالها - ما كنت أشعر بصدقها!

والعاطفة _ في قرب المحبوب _ تغذى العقل كما تغذى الفؤاد ، فلا يعود نسبة داع للبحث عن الأفسكار في أي مكان آخر : . ، ولقد عشب مع تبريز في خراها كنت الملبقة بأن الميشي



ورغبت _ في البداية _ ان اشكل ذهفها ، مبددت في ذلك جهودي ال ظل دهنها كيا صاغته الطبيعة ، ولم بكن للثقافة والنعلم تأثير عليه .

غيه مع اجهل عبقرية في الكون . ولقد حاولت امها — التي كانت تفخر بأنها تربت في الماضي مع المركيزة دي مونبيبو — ان تدعى رجاحة العقل ، ورغبت في ان تتكفل بتوجيه عقل ابنتها ما مسندت بحيلها بساطة تعاشرنا ، ودغعني الغيظ من هسذه المضايقة إلى ان اتفلب — بعض الشيء — على الحياء الاحمق الذي لم لكن أجرؤ معه على الظهور مع تبريز أمام الملاء فاصبحنا نقوم معا بنزهات قصيرة في الريف ، حيث كنا تتناول وجبات بسيطة كانت تلذ لي ، ولقد تبينت أنها كانت صادقة في حبها إياى ، فضاعف هذا من حناني ، ولقد عوضتني هذه الالفة التاعمة عن كل شيء ، ولم يعد المستقبل يشغلني ، أو بالأحرى ائته أصبح لا بشغلني إلا كامتداد للحاضر ، إذ أنتي لم اعسد الستهي سوى ان أطبئن إلى بقاء هذا الحاضر !

وادت هذه العلاقة إلى ان اصبحت كل الملاهى الأخسرى نفايات عقيمة ، غلم أعد أغادر مسكنى إلا لاذهب إلى تريز « وبات مسكنها مقرى نقريبا ، ولقد صارت هذه الدباة المنعزلة عظيمة النفع لعملى ، حتى أن « الأوبرا ق التى كنت عاكما على تأليفها ، اكتبلت حكلها وموسبقى حفى أقل من ثلاثة أشهر ولم تبق سوى بعض الحان تكبيلة وبعض ألحان لتصحب المناظر ، وقد ضايقتى هذا كثيرا ، غعرضت على « غيليدور ق أن يتولاه في مقابل نصبيه من الربح ، فجاء مرتين ، وأضاف بعض الحشو إلى الفصل المناص بالشاعر « أوفيد » ، ولكنه لم يستطع أن ينصرة ، إلى هذا العمل حد الذي كان بتطلب مثابرة واكملت عملى بنفسى .

وإذ اكتبلت « أوبراي » ، آن لي أن أحصل من وراثها بعض الدخل؛ وكان هذا _ في حد ذاته _ « أوبرا » أخرى ، أشد عناء ! . . غليس من سبيل إلى بلوغ غاية في باريس ، إذا كان آلمرء يعيش في عزلة ، ولقد مُكرت في أن أستعين بالسيد ديلابوبلينيي ، الذي تديني إليه جوفكور في داره ١١ عند عودتي بن جنيف ، وكان السيد ديلابوبلينيم هو نصر (١) رامو ، إذ كانت السيدة ديلا بوبلينيير تلميذة هذا المتواضعة ، التفانية في الطاعة ، ومن ثم نقد كان « رامو » هو المطر والصحو(٢) في عذا المنزل ، كما ينبغي أن يقال ! . . ولقد ظننت أنه قد يفتبط بأن يساند عملا من ابتكار احد ثلاميذه ، مرغبت في أن أربه وللي ، ولكنه ابي أن يراه ، قائلًا إنه لم يكن يستطيع أن يترا مقطوعات ٤ إذ أن هذا كان يتعبه كل التعب . وعقب البوطينيير على ذلك بأن في الوسع حمله على الإصغاء ، وعرض أن يجمع موسبتين لاداء بعض القطع ، ولم أكن أرجو أفضل من هذا ... ووافق @ رامو » وهو يزمجر ، ودون أن يكف عن أن يردد أن الالحان التي يضمها رجل لم ينشا في جو موسيقي ، وإنما تعلم الموسيقي بنفسه دون ما عون ٤ لابد وأن تكون شيئاً بديما ١٠٠ واسرعت انسخ أدوار حبس أو ست من أحسن المعطوعات ،

⁽١) النصير المقصود هنا ، هو الرجل أو الجاد والمال ، الذي يرعى اديبا أو قنانا وبيدل له يد المعون ·

 ⁽٣) تعبير لمرتسي بمناه أن يكون الثمض ذا حظوة ومكانة ، بحيث يغضب أهل البيت لغضبه ويسرون لسروره ، لم يتالله أن النمس الدارج عندنا أحقال من أن شخصا هو د الكل في الكل * .
 من أن شخصا هو د الكل في الكل * .

« ريشيليو » لم يكف عن الصياح والتصفيق . وفي نهاية أغنية جماعية _ في الغمل الخاص بتاسي _ نهض وجاءشي فصامحتي مَّاثُلا ؟ « هذا هو اللحن الذي يشجى ؛ يا سيد روسو! ... ما سمعت قط أجبل منه ، وإني لأود أن أقدم هذه الثعثة في غرسای ! ١ ، ولم تنبس السيدة دي بويلينير ... التي كانت حاضرة _ بكلمة واحدة · أما « رامو » ، قبالرغم من أنه دعم، ؛ إلا أنه لم يشأ أن يحضر .

وفي اليوم التالي ، استقبلتني مدام بوبلينيير - في غرفة زينتها - أستتبالا شديد الجفوة ، وتعبدت أن تحط أمامي من شمأن مؤلفي ، وقالت لي إنه بالرغم من أن بعض الوميض الزائف قد بهر السيد دي « ريشيليو » ، إلا أنه قد ثاب إلى نقسه « ونصحتني بالا أعول كثيرا على أوبراي ! . . واقبل السيد الدوق بعد قليل ، متحدث إلى بلبجة تخالف ذلك تماما ، إذ اطرى مواهيي ، وبدا مصرا على أن يعمل على عرض مؤلقي على مشتهد من الملك . وقال : " ليس هناك ما لا يمكن اجازته في البلاط ، سوى الفصل الخاص بتاس ، فعليك أن تكتب مُصلا غيره! " . وكانت هذه العبارة وحدها حافزا دفعتي إلى ان اذهب إلى داري ، فاحتبس نفسي ، وفي غضون ثلاثة أسابيع ، استطعت أن أضع فصللا يحل محل فصل « تأس » ٤ وكان موضوعه اهيسيود(١) يتلقى الالهام من إحدى عرائس خياله».

وتهيأ لى اثنا عشر من العازنين ، بينما تولى الغناد البرت ، وبيرا ، والأنسة بوردونيه ، وما أن بدأ لهن الاغتتاح ، حتى رمي « رامو » _ باطنابه في ألمديح _ إلى الإيحاء بأن اللحن ما كان ليمكن أن يكون من تأليفي . ولم يدع مقطوعة تبر دون أن يبدى أمارات البرم ونفاد الصبر . ولكنه لم يلبث أن عجز عن تمالك نفسه عند سماع أغنية بصوت « كونترتينور » ــ كان أداؤها قويا محكما ، والموسيقي المساحية لها رائعة _ فخاطبني في خشونة ذهل لها الجميع مستنكرين ، واعلن أن جزءا مها سمع كان من عمل رجل اعلى في القن عمره ، في حين أن الباتي من عمل جاهل لم يكن على إلمام بالموسيتي ذاتها ! . . ومن الصحيح أن وؤلفي كان غير متناسق وعلى غير تناعدة ، ومن ثم فقد كان رابيع القيمة في بعض أجزاله ، وعقيها في بعض آخر ، ثبان العمل الذي يقوم به كل أمرىء لا يرقى بنفسه إلا بمعونة بعض ومضات من العبقرية ١ دون ما سند من العلم ١٠ وزعم ١٠ رامو ١٠ انه لم یکن بری فی شخصی سوی سارق صغیر ، لم یؤت آیة موهبة ولا أي ذوق ! . . ولكن العازمين ، ورب الدار ـ بوجه خاص حدلم بشباركوه رأيه ، ولقد سمع السيد دى «رشيليو» الذي كان بكثر إذ ذاك من زبارة رب الدار ، والمبيدة دي. بوبليئيير ، كما هو معسروف سابعديث مؤلقي ، نرغب في أن يسمع « الأوبرا » بأكبلها ، معتزما أن يعبل على عرضها في البلاط إذا راقت له ، ومن ثم مثلت « الأوبر! » ـ بكامل ما كانت تتطلب من مغنيين وموسيقيين _ على نفقة اللك ، في دار السيد بونيفال ، الموكل بالحفلات الملكية . وقام « فرانكير ، بالإخراج ٠٠ ولقد كانت النتيجة مدهشة ، حتى أن السيد الدوق دي

⁽¹⁾ ميسبود : كان شاعرا أغريتها تناول الحياة بالبحث والتحليس : محاولا أن يضع دستورا أخلاقيا يكنلُ المجبة ، بسيا يقد هم أ الله م - أن العدد ٥٥ - سيرته وملخصا لاعظم رمسال السراية الماليان .

على ان اقوم بالمهمة . . ولكى احسن تبين ما ينبغى عمله ، ارسل إلى كلا من الشعر والوسيقى على حدة . ولم أشأ _ قبل كل شيء _ ان أمس الفاظ المسرحية دون موافقة المؤلف ، فكتبت إليه فى هذا الصدد ، رسالة جد أمينة ومحترمة _ فى الوقت ذاته _ وفقا لما كان يتطلبه الظرف . وها هو ذا رده ، الذى يوجد الاصل الخطى له ، فى ملف الأوراق « ا » ، رقم (ا) :

۱ ۱۰ دیسمبر سنة ۱۷۶۵

« إنك لنجمع يا سيدي بين موهبتين كاننا ... حتى اليوم ... منتصلتين دائما . وهما سببان كانيان لحملي على أن أقدرك وان اسعى إلى ان احبك ، وإننى لني هم من أجلك ، إذ تستخدم هائين الموهبتين في عبل قبر جدير بهما كل الجدارة ، ممنذ بضعة أشبر ، طلب إلى السيد الدوق دى ريشيليو _ طلبا جازما _ أن أعد ، في لمع البصر ، مسودة صغيرة غير دنيقة ، لبضمة بناظر نامهة وناقصة ، تنبشي مع أغسان ورقصسات لا تلائمها إطلاقاً . وقد صدعت برغبته بحذافيرها ، ورحت أعبل في سرعة غائقة؛ ودون ما إجادة ، ثم أرسلت هذه المسودة التعمية إلى السيد الدوق دي ريشيليو ، وأنا مونن من أنه لن بستخبيها ، ومن الني لن اضطر إلى تصحيحها ، ولحسن الحظ أثها بين يديك ، قلك أن تفعل بها كل ما تشاء ، إذ أننى قــد التصينها تماما عن ذهني . ولست ارتباب في الله سننتج كلُّ الأخطاء التي لابد بن أن تكون قدر اللَّتُ أَبِّلَي في العجل اللَّف التصميم البريط ، واتك قد ملأت في ١٩٩٥ ١٠ ١٠

واهتدیت إلى طریقة خفیة مكنتی من آن ادس فی هذا الفصل شسطا من ناریخ مواهبی وقصة الغیرة التی راق لرامو أن بكرم بها هذه المواهب . ولقد كان فی هذا الفصل الجدید سمو اقل جبروتا واكثر تمسكا وإحكاما مما كان فی العصل الذی كان بدور حول " تاس " . وكفلك كانت الموسیقی اروع وارتی ، ولو آن الفصلین الآخرین كانا معادلین لهذا ، لقدر للاویرا أن تمرض بعجاح . بید أن مشروعا آخر عرض لی – فیما كنت اتوم بصقل الفصل وتفتیحه – فارجات اداء هذه المسجمة ا

من سنة ١٧٤٥ إلى سنة ١٧٤٧

أمبت في المرساى) — في الشياء ألذى اعتب بمركة دى فونتينو — حفلات كثيرة ، كان بينها عدة أوبرات عرضت في بممرح الـ « بيتيت ايكورى » ، وكان بين هذه بسرحية غيلتي ، ولمن بين هذه بسرحية غيلتي ، ولمن كانت تحمل اسم « أميرة ناغار » ، والتي نظـم راصو بوسييةاها ، وقد عدلت وبدل اسمها إلى العياد رامي » ، وقد تطلب تغيير الموضوع عدة تحويرات في الاغاني والرقصات التي كانت في « الدراما » السابقة ، سواء من حبث التركيب الشعرى او التركيب الموسيقي ، واستدعى هذا البحث عن شخص يؤدى أو التركيب الموسيقي ، واستدعى هذا البحث عن شخص يؤدى (اللورين) ، وكذلك كان رامو ، وكانا منهمكين مما في أوبرا « معبد المجد » (١) ، علم بكن في وسمهما أن يعنيا بالتحويرات التشودة ، ومن ثم غإن السيد دى ريشبليو تذكرني ، وعرض

« وإني لاذكر أن من السهوات التي تنم عن طيش ، أنني الله الله المسلم في هدده المناظر - التي تربط بين الأغاثي والرقصات _ كيف تنتقل الأميرة مجأة من سجن إلى حديقة او قصر ، وإذ لم يكن الشخص الذي أقام الحفلات لتكريبها سماهرا ، وإنها كان سيدا أسيانيا ، لذلك يبدو لي أنه لا ينبغي أن ندع للسحر مجالا . فأرجو أن تتكرم يا سيدى باعادة النظر في هذا الجزء الذي لا أحتفظ له باكثر بن مكرة مهتزة . وانظر ما إذا كان من الضروري أن نفتح أبواب السجن ، وأن تنقل البيرتنا بن هذا السجن إلى تصر جبيل مذهب ومصقول ، يعسد بن اجلها . ، إنني لاعرف نبام المرفة أن الأمر كله زرى الغامة؛ وانه ليس مها يلبق بأي كائن مفكر أن يحمل هذه التفاهات على محمل الجد ، ولكن ، . بما أن علينا الا نسب بي من الأشياء إلا أتل ما يستطاع ، فمن الواجب أن نبذل من العقدل قددر المستطاع ولو كان ذلك في أوبرا غنائية راتصة رديئة .

« إننى ادع لك وللسيد بالو كل شيء ١ واعتقد أنني لن البث أن أتشرف بأن القدم لك آيات شكرى عما قريب ، وبأن أؤكد لك يا سيدى ؛ إلى أي بدى يشرعني أن أكون . . . ألخ » .

ولا يعدين المرء لما في هذا الخطاب من أدب جم _ إذا قيس بخطامات فولتي نصف المهذبة التي كتبها لي بعد ذلك الحين -فقد كان يظنني ذا حظوة كبرة لدى السيد دي ريشيليو ، فحمله الرياء المرن على أن يبدى كثيرا من الاعتبار للواقد الجديد على البلاط ، ريثها يزداد معرفة بعدى مكانته!

وإذ حصلت من السيد دي مولتي هذا السلطان ، وأعميت من كل اعتبار لرامو ــ الذي لم يكن له من هدف سوى الإساءة إلى _ غانقي عكنت على العمل _ ولم ينقض شهران حتى كانت مهمتي قد أنجزت ، ولم يكن الشمر سوى مهمة بسيطة ، إذ كان هم الأوحد هو أن أتفادي أن يكون تباين الأسلوب ملحوظاء وبن حقى أن أعتقد أثنى قد ونقت ، أبا بهبتى ــ في الناحية الموسيقية ... فقد تطلبت مزيدا من الوقت والجيد ، فضلا عن انتي اضطررت إلى أن أؤلف عدة قطع للبقدمات ، منها اللحن الانتتاهى ، وكل الحان الإلتاء الغنائي(١) التي تكلفت بها مُوجِدتها بالغة الصعوبة ، إذ كنت مضطرا إلى أن اربط نغمات سيمغونية وصوتية متبايئة الطبقات ، بقليل من السطور ــ في كثير من الأحيان _ وبوساطة انغام سريعة جدا ، ذلك لأننى عقدت عزمي على ألا أغم أو أعدل لحنا وأحدا ، حتى لا يتهيني راءو بإنساد الحانه الأصلية ، ولقد وفقت في هـــذا الالتاء الغنائي . مكانت النبرات واضحة ، مليئة بالتوة ، رائعة في تناسق نفهاتها ، بوجه خاص . ولقد ادى التنكير في هذين النحو _ إلى رمع روحي المعنوبة ، وبوسعى أن أتول إنني في هذا العمل الذي لم يكن لي من ورائه حمد ولا مجد ؛ والذي لم يكن متدورا للراي العام ذائه أن يعلم بفضلي فيه ـ حافظت دائيا على مثلي ومستواي !

⁽١) المباليات التي تلقي بالفناء ، دول أن تكون شورا ورو. www.dvc larg.com

السيدة ديلا يوبلينيم السيطلب إلى المتتاهية " أوبراى "

الكبرى ، ليضعها في مكان تلك التي وضعتها ، وغطنت _ لحسن

الحظ _ إلى الحيلة ، فرفضت ، ولم يكن قد بقى على موعد

تقديم المسرحية الأخرى اكثر من خمسة أيام أو سنة ، علم يكن

لديه وقت لتاليف اغتناهية ٤ واضطر إلى أن ينرك تلك التي كنت

قد وضعتها من قبل . . وكانت على النسق الإيطالي ، ومن نوع

كان جديدا نمام الجدة على قرنسا - في ذلك الوقت ، ومع ذلك

غانه لقى استساغة ، وسمعت من السيد دى « فالساليت »

_ رئيس ديوان الملك ، وزوج ابقة السيد موسار ، وكان قريبا

وصديقا لي ... أن هواة الفن أبدوا كل الرضى عن بؤلفي ، وأن

الراى العام لم يستطع أن يفرق بينه وبين إنتاج رامو . غير أن

هذا اتخذ من الإجراءات - بالتواطؤ مع السيدة ديلا موبلينيير -

ما يحول دون معرفته انني قد ساهمت في تلك القطعة ، عطى

الكتب (١) التي توزع على النظارة ، والتي تثبت غبيا دائما أسماء

(١) يتصد الكتاب الذي يششل على برمايج المحللة وبوجز المبتولية ، و...ا

ولقد أجريت التجارب على الممرحية _ بالشكل الذي نقصتها إليه من مسرح « الأوبرا » الكبير . ووجدتني الوحيد الحاضر بن المؤلفين الثلاثة . فقد كان فولتير متفييا ، في حين أن رامو لم يحضر ، أو لعله تعبد أن يتوارى . وكانت كلمات المناجاة(١) الأولى متمية بالأسى وهذا مطلعها:

« الا أيها الموت تعال 1 فاختم تعاسات حياتي ! » .

وكنت مضطرا إلى أن أضع موسيقي نتمشي معها ، ومع ذلك عان هذه الغائجة هي التي خصتها السيدة ديلا يوبلينيم متقدها، إذ الهبتني _ في تحامل _ بأنني وضعت لحنا حنائزيا ، وبدأ السيد دي ريشبليو بأن يسأل _ في إنصاف _ عمن كتب كلمات المناحاة؛ فاطلعته على المُحلوط الذي كان قد أرسله إلى؛ والذي اثبت انها من وضع فولتير . قتال : " أن المضلى، _ في هذه الحال ... هو غولتم وحده " ، وظل كل ما غملت معرضا ... خلال التجربة ... لاستهجان السيدة ديلا توبلينير ؛ ولانصاف السيد دى ريشيليو . على أننى ما ليثت أن تبينت أن التحامل كان شديد الوطاة ، فقد أشير على بتنتيج عدة أشياء في مؤلفي -كان لابد من استثمارة السيد رامو بشائها - وأكريني أن تكون هذه هي النتيجة ، بدلا من الاطراء الذي كنت أرنتبه ، والذي كنت جديرا به يقينا ، معدت إلى بيتي بقلب مئتل . . وسقطت مريضًا ، وقد هدني الإعباء ، وراح الأسي يتبشني . . وظللت سئة أسابيع لا أتوى على الخروج!

يذكر أن حدًا الكتاب لم يحمل أسم مؤلف الحرار ، ولا مؤلف الوسيقي . واثبة أويد غنط أسم * القال * مؤلف * البالية » ، وقد عرصت النطيعة في ا توساي ا في ٢٢ ديسيون مستة ١٧٤٥ - أي بعد سبعة أيام فتط بن أليوم الذي كنيه فيه و تولنير الروسالته - وقد ذكر ﴿ روسو ؟ - في الفنرة السابقة _ ان (وليو) طلب المتطحية ؟ عرائس أحلام الشعراء ٥ تبل حذا العرض بحمسة ابلم : مكانه أنجز التعديلات في حوالي يومين الم

صديتا صدوقا للسيد ديلا بويلينيم — كان قد بذل قصارى وسعه ليصده عن الزواج من هذه المراة التى كان يعرفها تهام المعرفة ، والتى حرصت — بعد الزواج — على أن تولى كل جنيفى كراهية لا سبيل إلى مغالبتها ، واردف جوغكور قائلا : « ومع أن لابويلينيم يكن لك ودا — أنا موقن منه — إلا أنه ليس لك أن تعتهد على مؤازرته ، فيو مدله في هوى زوجته ، وهي تكرهك . . وانها لخبيثة ، ماكرة . . ولن يكون لك شان في هذا المنزل » . وادركت ما كان يرمى إليه !

米米米

المؤلفین ، لم یذکر سوی اسم فولتیر . و آثر رامو إغفال اسمه علی آن یری اسمی مقترفا به !

وما أن تمكنت من مفادرة دارى ، حتى رغبت في زبارة السيد دى ريشيليو . ولكن الفرصة كانت قد غاتتنى ، إذ آنه كان قد رحل إلى (دنكرك) ، حيث كان عليه أن يشرف على رحيل الحملة التي كانت موجهة إلى ايقوسيا ا اسكتلندا) ، ولما عاده علت لنفسى — لابرر كسلى — إن المفاسية قد انقضت ، وبها اننى لم أعد أراه منذ ذلك الحين ، فقد الشمت على نفسى التكريم الذي كان مؤلفى يستحقه . . التكريم الذي كان جديرا بأن يدره على . ومن ثم فإن وقتى ، وعملى ، وحزنى اا ومرضى يدره على . ومن ثم فإن وقتى ، وعملى ، وحزنى اا ومرضى والنقود التي كلفئيها . . كل هذا تكدته دون أن يعود على با سوال واحد ، بل ودون أي تعويض . ومع ذلك فقد اعتدت دائما أن أرى أن السيد دى ريشيليو كان مبالا بطبعه نحوى ، وكان يحسن الظن بمواهبى ، ولكن نحسى والسيدة ديلا بوملينير حالا دون كل نتيجة لحسن طويته !

وما استطعت قد أن أغم سر كراهية هذه المراة التي كنت أغصب نفسى على إرضائها ، والتي اعتدت أن أثابر على أن أبدى لها مجاملتي . ولقد شرح لى " جوفكور الأسباب ، فقال: « هناك ــ أولا ــ صداقتها لرامو ، الذي كان يحظى علنا برعايتها ، والذي لم يكن بحتهل أية منافسة . . وغوق ذلك ، كان ثمنة ذئب جوهري يصحك في نظرها : ولن تغتنره لك أبدا . . ذلك هو أنك جنيني ! » . . وهنا بين لي أن الراهب «هوبير " ــ الذي وغد هو الآخر من اجنيف ا ، والذي كان

ذلك لأنه بالرغم من أن « تيريز » كانت زاهدة في أية مصطحة شخصية ، إلى درجة لا يكاد يكون لها مثيل ، إلا أن أمها لم تكن على شباكلتها . نما أن رأت أحوالها نتحسن تليلا _ بفضل رعايتي _ حتى استدعت كل أسرتها لتشاطرها الفنيمة . فإذا بالأخوات ، والابناء ، والبنات ، والأهناد بفدون حبيما ، ما عدا ابنتها الكبرى ، التي كانت يتزوجة بن بدير عربات النتل في (انجير) . . واصبح كل ما أغمله من أجل تيريز ، يتحول بنضل أبها إلى هؤلاء النهمين . ولما لم أكن جشما ، ولا كنت بسنذلا الشبهوة مستعرة ، غانتي لم أرتكب أية حياتات ، بل إنتي في اغتياطي بان اعول ثيريز - في حباة لا بأس بها ، خالية من الترف، ولكنها في وقاء من الحاجة _ أقررتها على أن تسلم أمها كل ما كان بوسمها أن تكسبه من عملها . ولم أكن التنصر على ذلك . ، ولكنني استسلمت للقدر الذي كان يتعتبني . . ففي الوقت الذي كانت ليه « ماما » ضحية لأنذالها ؛ كانت تريز ضحية لاسرتها ، ولم يكن بوسمعي أن أمدم أي عون يعود بالنفم على ثلك التي كنت أتصد تلعبا في الحسالين ، ولقد كان بن العجيب أن صغرى بنات السيدة لوغاسم صوهى الوحيدة التي لم تحظ بمبداق من أهلها _ هي الوحيدة التي راجت تعول أباها وأبها .. وأن هذه السكيفة _ بعد أن ظلت طويلا تتلقى الصفعات من إخوتها والخواتها ، بل ومن أبناء هؤلاء ب أصبحت غريسة لغيبهم ، دون أن تملك لسر قائهم دغما يفوق ما كانت تملك من مقاومة لمشعاتهم من قبل . ولم يكن بين ابناء الحوتها سوى واحدة نقط ، تدعى « جوتون ليدوك » ، كانت على قدر من اللطف ورقة الطبع، برغم ما كان يفسدها من يند والأذرين الدروسهم.

ارتجف في لهنة هُجِلت منها في سريرتي ، وقلت لننسى في ازدراء: « وبعد ؟ ! ٠٠٠ أينساق جان جاك لسلطان المصلحة الخاصة والفضول إلى هذه الدرجة ؟ » . . ووضعت لغوري الرسالة على رق المدفاة . ثم خلعت ثيابي ، وأويت إلى غراشي في هدوء، مُحطِّيت بنوم يقوق ما اعتدت . . ثم صحوت في اليوم التالي متأخرا ، دون أن أعود إلى التنكير في الرسالة . وفيها كنت ارتدى ثيابي ، لحتها منضضتها في غير تعجل ، ووجدت ميها حوالة بالية ، وساورتني كثير من الأنكار السيارة _ في آن واحد ـ ولكن بوسعى أن أقسم أن أقواها جميما كانت ثلك التي تبهتني إلى انتصاري على نفسى . واستطيع أن انكر عشرين من أمثال هذه المناسبة في حياتي ، ولكني لا أجد وقتما لكي أروى كل شيء ، ولقد أرملت تسملا بسيطا من هذه النفيد إلى " ماما " وأنا أبكى حسرة على الأوقات السعيدة ، التي كنت فيها على استعداد لأن التي بكل شيء عند تدبيها ! . . كانت كل رسائلها توحي بضيقها . ولقد ارسلت لي اكولها من الوصفات والأسرار التي كاتت تزعم أن يوسعي أن أجمع بها ثروة لي ولها. ولقد كان مجرد التفكير في فاقتها بعصر قلبي ويضيق أفق عقلي. وكان القليل _ الذي أعندت أن ارسله إليها _ يفع في أيدي الأنذال الذين كانوا بحيطون بها ، دون أن تنتفع شيء منه . مُجعلني هذا أكره أن أشرك هؤلاء التعساء مُيها كانت تهس إليه حلمتي ، لا سيما بعد المحاولات غير المجدية التي بذلتها لانتزاع " ملما " من تبضائهم ، مما سيرد ذكره نيما بعد .

وانساب الوقت ، وأنسابت النقود معه . وكذا اثنين ، يل أربعة . ، بل انفا كنا سبعة أو ثمانية ، كما يحسن أن يقال . بل لم تكن بين الدارين أبة صلة ، وإنها كان " ثيربو " هسو الوحيد الذي اعتاد أن يتردد على هذه وتلك ، وقد وكل إليه أمر السمى إلى حملي على المودة إلى دار السيد دومان .

وكان السيد فرانكويي ماضيا _ في تلك الأثناء _ في دراسة التاريخ الطبيعي والكيبياء ، وقد أعد لنفسه غرقة للدراسة . وأظنه كان يطبع في عضوية محفل العلوم ، وكان يرغب - في سبيل ذلك ــ في أن يضع كتابا ، وقد خطر له أنني استطيع إن اكون ذا نفع في هذا الصدد ، وكان للسيدة دوبان سه ون ناحیتها _ رای مشابه فی شخصی ، کیا آنها کانت تفکر فی آن تؤلف كتابا . ومن ثم غقد ودا أن يستأجراني لأكون أشبه بسكرتير بتتاسمانه . وكان هذا هو الهدف من مساعي ثيريو . عطلبت - كعربون - أن يستخدم السيد دى فرانكويي نفوذه ونفوذ " جبليو " من أجل تجربة إخراج تمثيليتي في الأوبرا ، نوافق . وأجريت عدة تجارب لإخراج « عرائس الشعر اللطاف» في # المخزن »(١) في باديء الأمر ، ثم انتقلت التجارب إلى المسرح الكبير . وحضر التجربة الكبرى كثير من الناس ، وحظيت كثير من المقطوعات بتصفيق شديد . على أنفي شعرت أثناء الإداء الموسيقي _ الذي أساء « ريبيل » الاشراف عليه _ بأن هذه النبشلية لن تلتى تبولا ، بل إنها لن تكون معدة للعرض دون تعديلات كبيرة . وعلى هدذا غائني سحبتها دون ما إيضاح ، ودون أن أعرض ننسي لسماع رفضها ، ولكنني رأيت بجلاء ،

ولماً كنت كثيرا ما أراهم مجتمعين ، فقد أصبحت أطلق عليهم ما يطلقه بعضيم على بعض من القاب ، فأمّا أنادى ابنة الآح بيا ابنة أخى ، والمعهة بيا عمتى ، وأصبح التريقان ينادياننى بياعمى ، ومن هنا نشأ أسم « العمة » الذي أنادى به تربز باستمرار ، والذى يردده أصدقائى في بعضى الأحيان ، على سبيل المداعبة !

杂 米 茶

ومن المعتول أنفى لم أضيع لحظة واحدة _ في مثل هــذا الموقف _ دون أن أحاول أن انتزع نفسي منه ، وإذ حدست أن السيد دى ريشيليو قد نسيني ، ولم اعد آمل في شيء من ناحية البلاط ، بذلت بضع محاولات لقبول تتديم أوبراي في ماريس ، ولكنني صادفت عقبات كان تذليلها يتطلب وقتا ، في حين أن حاجتي كانت تزداد شدة يوما بعد يوم ، ولقد اشيم على بأن اقدم تمثيليتي الهزلية الصغيرة « نارسيس ٥ على مسرح الإيطاليين « اوزيتاليان » . فعبلت التمثيلية ، وظفرت بالتردد على المسرح دون بقابل ، مما سرني كثيرا . ولكن هذا كَانَ غَايِةً مِا فِي الْأَمِرِ إِذْ أَنْهُمَ لِمِ أُوفِقَ قَطْ إِلَى أَنِ أَحَمَلُهُمُ عَلَى إخراج المسرحية . حتى إذا ضقت بمداهنة المثلين الفكاهيين، انمرنت عنهم . ولجأت في النهاية إلى الحيلة الأخيرة التي بقيت لى ، والتي كان يجب أن تكون الوحيدة الجديرة بأن تتبع. فليها كنت أتردد على دار السيد ديلا بونلينير ، ظالت بعيدا عن دار السيد دوبان . ومع أن ربتي الدارين كانتا على بعض صلات القربي ، إلا انهما لم تكونا على وثام ، ولم تتزاورا قط .

⁽۱) القسم الذي كانت تحط عيه الناب المرحة والإورانيال .

كثيرة ، كما كنت أدفع إيجار بسكن آخر ، في الطرف الأقصى لباريس ، عند نهاية شارع (سان جاك) ، حيث كنت أذهب لتناول العشاء في كل مساء تتربيا ، مهما تكن حال الطقس . وسرعان ما ألفت عملي الجديد ، بل إنني بدأت أبيل إليسه فاهتهمت بالكيمياء ، وتلتيت دروسا عدة مع المسيد دي فرانكويي ، لدى السيد رويل ، ورحنا نسود أكداسا من الورق يها كنا نكتبه في هذا العلم ، سواء عن صواب أو عن خطا ، يرغم أننا لم نكد نلم بهيادته الأولية ! - ولقد دُهينا ... في سنة ١٧٤٧ _ لقضاء الخريف في (تورين) ، في ا شاتو دي شينونسو ١٠ القصر الملكي القائم على نهر الشير ، والذي شبده هنرى الثاني ين أجل ديانا دي بواتبير . . الذي لا تزال الحروف الأولى من اسمها ترى منتوشة هناك . وكان هذا النصر قد آل إلى السيد دوبان ، بوصفه المشرف العام على الأراضي الزراعية للبلك . ولقد استهدمنا كثيرا بالاعلمة في هذا المكان البديم ، وازددنا سهفة ، حتى اننى اصبحت بدينا كالرهبان! . . وتعبنا بقدر كبير من الموسيقي ، كما أنني النت عدة ثلاثيات غنائية (١) ، زاخرة مالتوة وبالتناسق النغمي ، وسوف أتحدث عنيا في « الملحق » اذا غدر لي أن اكتبه . كذلك كنا نتوم بنبثيل بعض المسرحيات الفكهة 3 واستطعت - في خبسة عشم يوما - أن اؤلف واحدة ، من ثلاثة نصول، أسميتها «الخطبة المتهور مّه(٢)»

ومن عدة بوادر ، أن التمثيلية ما كانت ستجاز - ولو كانت في الكهل حال . ذلك لأن السيد دى غرائكويى كان قد وعد حقا بأن يهيىء السبيل لتجربتها ، ولكنه لم يعد بأن يضين قبولها . وقد بر بوعده تهاما - ولقد كان يخيل إلى دائما - في هذه المناسبة وفي كثير غيرها - بأنه ومدام دوبان لم يكونا حريصين على أن يدعاني اكتسب شهرة محققة في المجتمع - ولعل ذلك كان راجعا إلى خوفها من أن يظن - عندما تظهر مؤلفاتها - كان راجعا إلى خوفها من أن يظن - عندما تظهر مؤلفاتها الهما قد شحذا مواهبها على محك مواهبي . ومع ذلك ؛ فإن السيدة دوبان كانت دائما مقتصدة في رأيها عن كفاعتي ، ومن ثم فإنها لم تستخدمني قط إلا لاكتب ما كانت تبليه على ، أو لاقوم لها بأبحاث علمية بحنة ، ومن ثم فإن هذا الظن - غيبا يعملي بها - قد يكون جائرا !

١٧٤٩ إلى سنة ١٧٤٧ من سنة ١٧٤٩

ادى هذا النشل الأخير إلى تثبيط عزيبتى تهاما ، نهجرت كل امل في الرقى والمجد ، ولم اعد انكر في مواهبى الحقيقية او الموهومة ، التي لم تعد على بطائل ، بل كرست وقتى وجيدى لكسب قوتى وقوت تيريزى ، بالشكل الذي راق لذائك اللذين تكلا بتيكيني من ذلك . ومن ثم غانني تفرغت تماما السسيدة دويان والسيد دى فرانكويى ، ولم يدغعنى هذا الى سمة من الميش موغورة . . فإن المرتب الذي تقاضيته في العالمين الأولين وكان ثمانهائة او تسعمائة فرنك مسؤويا سدكان لا يكاد يوفر لي هاجاتي الأولية ، إذ أنقى كفت مضطرا إلى الإقامة على متربة لي هجرا ، في حجرة مؤثثة ، بحي من الاهياء التي تتطلب نغقات

⁽١) تطلع غلالية يشهرك أن أدالها ثلاثة أشخاص ،

Engagement Téméraire III

وهى موجودة بين أوراتى ، ولا تبناز بغير مرحبا المغرط . وفضعت هناك بعض مؤلفات صفرة أخرى ، منها قصيدة بعنوان « درّب سيلفيا »(١) ، عن درب في المتزه الذى كان بهند على ضفاف نهر (الشير) ، على أن هذا لم يصرفنى عن دراساتى الكيمياوية ، ولا عن العمل الذى كنت أؤديه للسيدة دوبان .

وبينها كنت ازداد سهفة في شينونسو ، كانته تيريزي المسكينة تتضخم في باريس بشكل آخر ، حتى إذا عسدت ، وجدت « المؤلف » الذي كنت بداته ، قد تقدم بدرجة لم اكن أنصورها(۲) ، وقد دنع بي عذا سي نظرا الموشني سيالي هيرة بالغة ، لولا ان زملاء المائدة أمدوني بالحيلة الوهيدة التي كان بوسعها أن تخرجني من المائزة ، وهي من البيانات الدقيقة التي لا أملك أن أبوح بها في بساطة ، لاني قد اضطر سيانات الدقيقة اقدمت على أي إيضاح سيائي أن التمس لنسي المعاذير ، أو الدين أن ادبن نفسي ا وما أرائي راغبا في أن المعل هذا أو ذاك!

غفى اثناء إقامة « التوفا » فى باريس ، اعتدنا أن تتفاول وجباتنا على متربة من مسكننا ، بدلا من أن ناكل فى أحد المطاعم . فكنا تتردد على السيدة السيل ، بالقدري من ممر « الأوبرا » ، . وكانت زوجة حائلة ، تقدم اطعمة غير شبهية ،

ولكن مائدتها كانت تبلة الطاعمين ، نظرا لن كانوا يجتمعون حولها من رفاق طبيين موثوق بهم . عما كان لاى مجهول ان يلم المكان ، بل كان لا بد من أن يقدمه واحد ممن اعتادوا تفاول الطعام هناك . وكان « الكوماندور دى جرافيل » مين استقروا هناك . وهو شبخ ماجن ، موفور الظرف والذكاء ة ولكنه بذىء اللسان . وقد اجتذب حوله ثلة من الشباب الطائش الذكى ، تالفت من ضباط من فرق الحرس والفرسان . وكان « المكوماندور دى ثونان » حامى كل فتيات الاوبرا ، وقد اعتاد أن يحمل إلى المكان - في كل يوم - كافة أنباء هذا الوسط المعايث . أما السيدان « دوبليسى » - وكان «بكباشى» محالا على الاستيداع ، وشيخا طبيا حكيما - و « انسيليه »(۱) على الاستيداع ، وشيخا طبيا حكيما - و « انسيليه »(۱) - وكان من ضياط الفرسان - فقد فرضا قدرا من النظام على

 ⁽أ) لم يلبث المتصر أن الل المي مالك عدم هــذا الدرب الدي أذاع روسو كنونه 6 والذي كان يجتلب زوان برنك من الإجائب .

⁽٢) مِن المُعْبَوْمِ أنه يعنى أن علاقته بشرهر الْمُؤت جنيئة ب

⁽۱) عقب ع روسو ، على هذا بقوله : « الى عذا الانسبابه أهديت تبخيلية منعية من تأليفي ، بعنوان الاسرى العرب » ، وضعتها بعد الفكبات الني نزلت باللونسيين في بأغاريا وبوهيميا ، ولم أحرو اطلاقا على أن أعترف بها ، أو أن اهرفها ، وكان ذلك لسبب واحد ، هو أن الملك ، وغرنسا الا والفرنسيين، لم يحظوا لل فيها أحسب من بأغضل ولا أصدق من الاطراء الذي التبلت عليه على أن أهتوف بتنني مادح أمة كانت كل معادلها متعارضة مع مبادلي ، واذ كن أشد أسى أصالها فرنسا من الفرنسيين أنفسهم ، فقد خشيت أن تؤخذ على حدق الملكن والمجنن ، المرات المن المحافد ، الذي نكرت في الجزء الول من اعترافاتي و المجاورة المناسبة ، واقتى كنت المنصى من "دنت المناسبة و دود ذكر ذلك في الكراسة الخامسة) في المناسبة ود ذكر ذلك في الكراسة الخامسة) في وقت ورد ذكر ذلك في الكراسة الخامسة) في المناسبة ودود ذكر ذلك في الكراسة الخامسة) في المناسبة ودود ذكر ذلك في الكراسة الخامسة)

أدُهب التناول الطعام اديها في كثير من الأحيان ، عقب رحيل « التونا » - وهناك ، سمعت نيضا بن الحكايات المسلبة _ كما اقتبست تدريجيا المبادىء التي الغبتها مستثبة هناك _ دون القاييس الطقية ، والحبد للسماء ! . . غين أشراف اونوا ، إلى أزواج خدموا ، إلى نساء استخنتهن الفواية ، إلى اطفال ولدوا في الخفاء . . كل هذه كانت موضوعات عادية بالوغة هناك . وكان ذلك الذي يساهم أكثر من سواه ، في زيادة مدد سكان ملجا اللقطاء ، هو أكثر الناس نصيبا من الإعجاب ، ولقد أصابتني عدوي هذا كله ؛ غصفت طريقة تهكيري على نسق تلك التي رئيتها سائدة بين غوم ظرغاء ، ومغرطي الأدب بوجه علم ! . . وقلت لنفسى : « يا دام هذا هو المرف السائد في البلاد ، فللمرء أن يتبعه إذا ما اقام فيها »! . . وهذه هي الحيلة التي كنت انشدها ، فاعتزبت - في اغتباط -ان انتهجها ، دون ایة هواجس من ناحیتی او تردد . . وکل ما كان على أن أثغلب عليه ، هو مخاوف تبريز ، التي كابدت في حبلها على انتهاج الوسيلة الوهيدة لانتاذ شرقها ، كل ما في الدنيا من عناء ! ٠٠ ولقد انضبت لي أمها التي كانت تخشى التورط في طفل جديد ، وانصاعت تريز في النهاية ، فاختيرت مولدة (داية) حكيبة ، بأبونة ، تدعى الإنسة ◄ جوان ﴾ _ كانت تتيم عند (إرأس سان أوستاش) - لنعيد اليها بهذه الوديعة ، غلما آن الأوان ، نقلت تبريز ... بمعرفة امها _ إلى دار الآنسة جوان ، لنضع حملها ، وذهبت إلى هناك هدة مرات لازورها ، وهملت البها رمزا مزدوها نقشر على بطاقتين ، لتوضع إحداهم في شاب الطال على أن

هؤلاء الشبان . كذلك كان يتردد على المكان تجار ، وماليون ، ومتعهدون بتوريد الأعدية . . ولكتبم كاتوا مؤدبين ، امناء) من المبرزين في حرفتهم ومهنهم ، وكان السيد دي بيس والسبيد دى غوركاد بين عولاء الذين نسبت اسماءهم . وتصارى التول إن المرء كان برى هناك اناسا محترمين من جبيع الأنواع نيما عدا الرهبان وذوى الاوشحة(١) الذين لم يقع عليهم بصرى هناك إطلاقا ، مُثد كأن ثبة اتفاق على عدم تقديم أحد منهم. وكانت هذه المائدة ، على ازدهامها ، جد مرحة في غير صخبه، كثيرة الثرثرة في غم دفاءات . غما كان القائد (الكوماندور) الشيخ لينسى البتة _ بكل تصصه الماجنة _ الادب الذي الله في البلاط ، غلم تكن تخرج من عمه إطلاقا اية كلمة بذيئة لا تغتفرها له النساء . وكانت لهجته دستورا للمائدة كلها ؟ غكان كل أولئك الشبان يروون مغامراتهم الغرامية في كثير من التحرر والكياسة . ولم تكن تصص الفانيات لتغيب عن المائدة، إذ كان ثمة مورد لها جد تربب ، نقد كان المر الذي يفضى إلى دار السيدة لأسيل ؛ يؤدي كذلك إلى حانيت السيدة دوشيات، وهي تاجرة أزياء ذائعة الصيت ، كانت تستخدم _ إذ ذاك _ مُتيات موفورات الجمال ، اعتاد السادة اصحابنا أن يسعوا إلى مجاذبتين الحديث ، بعد الغداء ، وكان بوسعى أن أتسلى كما كان يفعل الآخرون ، لو انتي كنت أكثر جراة مما أنا . إذ أتنى لم أكن بحاجة إلى أكثر بن أن الج الحانوت ، كسا كانوا يفعلون ، ولكنني لم أجسر . أما السيدة لاسيل ، فقد ظللت

⁽١) بتصد المطبين ،

تودعه القابلة إ الداية } إدارة ملجأ اللقطاء ، بالطريقة المعهودة . . وفي العام التالى ، تكررت المضايقة ، وتكرر المعلاج ، فيها عدا الرمز الذي اغفل ! . . ولم يعد ثبة نفكر في الأمر بن ناحيتي لا ولم يكن ثبة انصياع بنوق انصياع الأم ، التي اطاعت وهي تنفيد . ولسوف تبدو تباعا كل التغييات التي ادت هذه الطريقة إلى غرضها على اسلوبي في التفكير * وعلى مصيري كذلك . أما الآن ، غلنلزم هذه المرطة الأولى ، إذ أن معقباتها للتي كانت من القسوة بقدر ما كانت متوارية غير ظاهرة لل نابث أن نضطرني إلى المودة إليها كثيرا .

* * *

ولسوف اذكر هنا واقعة أول تعارف ببنى وبين السيدة « ديبيناى » ، النى كثيرا ما سينردد اسمها فى هذه المذكرات. كان اسمها الآنسة ديب كلاغبل ، ثم تزوجت من السيد « دي بللبراد » ، الذى كان مديرا عاما فلاراضى الزراعية ، ولقد كانالزوج موسيقبا ، على شاكلة السيد دى فرانكوبى . كذلك كانت هى الأخرى موسيقية ، وقد خلق الولع بهذا الفن ودا عظيما بين هؤلاء ديبيناى ، تكنت أتناول الهشاء معها فى بعض الاحيان ، وكانت لطيفة ، نكبة ، موهوبة ، خليقة بأن بنشد المرء ودها حقا . على انها اوتيت صديقة — تدعى الأسهدة على انها اوتيت صديقة — تدعى الأسهدة على انها اوتيت صديقة — تدعى الأسهدة على انها وتيت مديقة — تدعى الأسهدة على انها وتيت مديقة — تدعى الأسهدة وي نظر كان الذي عليه المدين ، وكانت تماشر الشينالية دى نظر كان الذى



وحملت اليها رمزا مزدوجا نقش على بطافتين ، لتوضع احداهما ف نياب الطفل ، على ان نودعه القابلة (الدابة) ادارة ملجأ اللقطاء .

ولقد حاولت السيدة دي غراتكويي أن تفيد منى في أمور كثيرة، تقويلت برفض بات . . كما أن ألسيدة ديبيناي أرادت أن تحملنى _ ذات مرة _ رسالة إلى غرانكويى ، ظم تقابل برغض مشابه قصب ، بل إنني صارحتها كذلك بجلاء تام ، بأنها لم تكن محاجة إلى أكثر من أن تعرض على مثل هذا الأمر - مرة ماتية _ إذا شاءت أن نقصيني عن دارها إلى الأبد ! . . ومن الواجب أن أنصف السيدة ديبيناي ، نائبا كانت ابعد من أن تبدى استياء من مسلكي ، بل إنها تحدثت عنه إلى فرانكوبي بابلغ تقدير ! ولم يقل ترحيبيدا بي بعدد ، عما اعتادت أن تستقبلني به قبله . وهكذا استطعت أن أمضي موفقا وسلط الملاقات العاصفة ببن هؤلاء الاشخاص الثلاثة الذين كثت أمتهد عليهم في معاشى ــ إلى حد ما ــ والذين كنت اكن لهم صادق الميل . . واستطعت أن أحتفظ _ إلى النهاية _ بودهم، وتقديرهم ، وثنتهم ، إذ رحت أنصرف في رفق وبحابلة ، يرافقها _ دائما _ استقامة وحزم ، وبالرغم من غبائي وحماقتي ، فإن السيدة ديبيناي كانت تميل إلى ان تصطحبني إلى الحفلات اللاهية التي كانت تقام في (لاشيفريت) ، في قصر على فهر (سان دنيس ! ٠ من أملاك السيد دي بيلجر اد . وكان ثبة مسرح هناك . كثيرا ما أخرجت عليه مسرحيات . وقد عبد الى بأحد الأدوار : فظللت استذكره سنة أثمسهر _ دون انتطاع ــ وبع ذلك غاتني لم استفن عبن راح بهوس إلى بعباراته بن البداية إلى النباية ﴿ ﴿ وَ الْمُعَالِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعَالِمُ الْمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ لِمُعِلِمِ لِمُعِلْمُ الْمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمِعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمِعِلْمُ لِمِعِمِلْمُ لِمِعِلَمِي لِمِعِلْمُعِلِمُ لِمُعِلْمُ لِمِعِلْمُ لِمِعِمِلْمِ لِمِعِمِلْمِلْم التجربة ، لم يعرض على أي دؤر أن الما الماسا

لم يكن حسن السبعة ، وأعتقد أن صحبة هذبن الشخصين قد أساءت إلى السيدة ديبيناي ، التي حبتها الطبيعة يسجية غلابة ، وصفات رائعة تكفف بن ، أن تتوازن بع تزواتها . ولقد أوحى إليها السيد دي غرائكويي قسطا من الود الذي كان يكنه نحوى ، ومبارحتي بصلاته بها ، ولهذا البيب مانتي ما كنت لأتحدث عن هذه الصلات هنا ، لولا أنيا اصبحت معروفة إلى درجة أنها لم تعد خافية على السيد ديبيتاي !.. كذلك آثرني السيد دي فرانكويي باعترامات عجيبة من هذه السيدة ، لم تذكرها لي بنفسها إطلاقا ، ولم يخطر ببالها البقة أننى كنت على علم بها ، نانني لم أنتح نمي ... وإن أنتجه ... بالحديث في هذا الموضوع ، إليها أو إلى أي أمرىء آخر(١). ولقد أدت كل هذه الاعترافات ... بن كل بن الطرفين ... إلى الزج بي في موقف جد حرج 4 لا سيما إزاء السيدة دي مرافكويم ، 4 التي كانت تعرفني خبر معرفة ، غلم تفقد ثقتها بي بالرغم من نوثق صلاتي بغريبتها ، ولقد عمدت - بقدر ما كان بوسمى -إلى مواساة هذه المبيدة البائسة؛ التي لم يبادلها زوجها - دون ما شك - ما كانت توليه من حب ، وكنت أصفى إلى عولاء الثلاثة ، كل على حدة ، واصون أسرارهم باتصى وغاء ، دون أن يقدر قط لأى من ثلاثتيم أن ينتزع منى شيئا من أسرار الاثنين الأخرين ، ودون أن أخفى عن كل من المراتين ودى لغريمتها! . .

⁽١) لم تعد أعتراقات السيد دي قرانكوين لروسج سرأ خابيسا على أحد، مَانَ الْمُفَكِرُ أَتَ النِّي نَشْرَتَ مِاسِم تبييتُاي تبين لقا أنها أسبيت مِعددي مرض غيبته من زوجها . ، وأنها تثلث عذا الرش الى عشيتها ، الذي تدر له أن يموت به!

إذا كان قد وعدها بالزواج . أما أنا ، غلم أكن بحاجة إلى أن احدو حدوه ، إذ اننى لم أبدل مثل هذا الوعد إطلاقا !

ولقد اتصلت كذلك بالراهب دى « كوندبللاك » ، الذي لم بكن أغضل منى هالا في الأدب ، ولكنه كان مهينًا لأن يصير إلى ما أصبح اليوم عليه ، ولعلني كنت أول من أبصر كناءته ، وقدره هي قدره ، ولاح أنه كذلك ارتاح إلى ، وعندما احتبست ننسى في غرنتي بشارع (جان سان دنيس) ــ على متربة من «الأوبرا» - لاضعالفصل الذي ضمنته أوبراي عن «هيسيود»؛ اعتاد أن يفد في بمض الأحيان ، مُيتناول المُداء معي، وحيدين، وكنا ننقاسم النفقات - ولقد كان يعمل ــ إذ ذاك ــ في كتابه : « رسالة في أصل المعرفة البشرية »، الذي كان أول مؤلفاته . مَلْهَا مَرغَ مِنْهُ عَمِثْلَت الحيرة في العثور على كتبي يتكفل بنشره. إذ أن أصحاب المكتبات الباريسية يعالمون كل مبتدى، في صلف وجناء . وكان علم ما وراء الطبيعة غير شمائع - إذ ذاك - ومن ثم غانه لم يكن موردا لموضوع جــذاب - ولقد تحدثت إلى « ديدرو » عن « كونديللاك » ومؤلفه ، وحملته على أن يتعرف إليه ، ولقد خلقا لكي يتوافقا ، فسرعان ما تآلفا ، وأغسري « ديدرو » الكتبي «دوران» على أن يقبل مخطوط الراهب ، فتسلم هذا العالم الكبي بما وراء الطبيعة ، و مقابل كتابه الأول ، مائة «أيكو» ، وكان في هذا إلى المحتكريم مسكار من

وفي تعرفي بالسيدة ديبيناي ، حظيت كذلك بمعرفة الانسة دى ببلجراد ، التي لم تلبث أن أميحت كونتة هودينو . وكانت أول مرة رأيتها نبها ، في اليوم السابق على زواهها . وقد حدثتني طويلا(١) ، بتلك الآلفة الساهرة التي نطرت عليها . والفيقها مفرطة في اللطف ، ولكنني كنت أبعد من أن أرى أنه كان مقدرا لهذه الشابة أن تشكل هدف حباتي يوما ، وأن تجرنى - عن براءة ودون إدراك أو قصد - إلى الحضيض الذي أعيش فيه اليوم!

ومع أنثى لم أتحدث عن « ديدرو » منذ عودتي من البندتية. ولا عن صديقي السيد «روجان» " إلا انني لم أهمل أيا بتنها ، بل أن روابط الود أهدت نزداد نوننا بيني وبين الأول - بوجه خاص مد يوما بعد يوم . وكما أنني أوتيت «ثيريز»، نقد أوتي هو «نائيت» ، وكانت هذه ناحية أخرى من نواحي التقارب بيننا . ولكن الفارق كان في أن تبريزي ، وإن ماثلت ثانيته في حسن الشكل ، إلا أنها كانت أرق مزاجا والطف شخصية منها، وقد خلقت لترتبط برجل محترم ٠٠ أما فناته نكانت سليطة، «زفرة» اللسان ، لا تبدى أمام انظار الغير ما يخفى سوء التربية . ولقد نزوجها مد مع ذلك _ وكان هذا عملا طيبا مفه،

⁽¹⁾ استعمل أ روسو ، هذا تعبيرا غير شمسائع في القرنسية ، الثلك استميانا في الترجية * حدثتني ؟ بدلا من " تحدثت الى أو معي « أ

المحتمل أن يلقاهما لولاي ! . . ولما كنا نحن الثلاثة(١) نقيم في احياء متباعدة جدا ٤ نإننا كنا نجتمع مسرة في الأسبوع ، في (الباليه رويال | ، مَندَهب لتناول الغداء معا في نندق (البانبيه الماوري) . ولا بد أن هذه المادبة الصغيرة الاستبوعية كانت محببة إلى ديدرو كثيرا ، إذ أنه لم يتخلف عنها قط ، وهو الذي كان يختق دائبا في أن يذكر مواعيده الأخرى . ولقد رسمت -في ثلك اللقاءات ... خطة نشرة دورية تسمى « الساخر ١٢١٠، على أن تكتبها بالتعاقب ، ديدرو وأنا ، ولقد وضعت الخطوط الأولى للعدد الأول ، مادي هذا إلى أن اتعرف إلى «داليمبير»، الذي حدثه ديدرو عن النشرة ، غير أن أحداثا ... لم نكن منظورة ــ اعترضت طريقنا ، فظل المشروع عند هذا الحد .

وكان هذان المؤلفان(٣) تد اضطلعا بوضع «تاموس محيط»: قصد به _ في البداية _ ان يكون نظرا بترجبا لوسوعة « تشامبرز ال ، وقريب الشبه من « عاموس جبيس الطبي » الذي كان ديدرو قد غرغ بن ترجيته ، ولقد رغب ديدرو في ان يشركني في بعض اجزاء مشروعه الثاني ، فاندرج على ان اضطلع بالقسم الوسيقي، وقد تبلت، واديت ميمتي في عجلة،

وفي غير إجادة ، خلال الاشهر الثلاثة التي حددها لي ، كيا حددها لكانة المؤلفين الذين تدر لهم أن يشتركوا في هــذا المشروع . على انني كنت الوحيد الذي كان قد أكبل عبله في الموعد المعين ، فأسلبته مخطوطي ، الذي كنت تد عهيت بنسخه إلى أحد وصفاء السيد دي غرانكويي ، ويدعى ديبون، نكتبه بخط حسن ، ودنعت له في مقابل ذلك ــ من جيبي الخاص - عشر تعلم من فئة «الأيكو» ، لم يقدر لي قط أن استردها . إذ أن ديدرو كان قد وعدني ما باسم الناشرين -بقسط من الأرباح ، لم يعد إلى محادثتي بشائه مرة المرى ، ولا غائمته أنا بصدده :

ولقد تعطل مشروع « الموسوعة » هذا بسبب سجله . واجتلب عليه كتابه « أفكار فلسفية » بعض مضايقات لم تؤد الى نتيجة بها . ولكن الأمر اختلف بالنسبة إلى كتابه « رسالة عن العبيان » ، الذي لم يشتمل على ما بستحق النقد فيما عدا معض مسائل شخصية رات السيدة « دوبريه دى سان مارو» والسيد « ريومير » أن فيها ما يمسهما ، ومن ثم فقد سنجن ديدرو _ من اجلها _ في سجن (مانسين) ، ولن يصف شيء بدى التباريح التي أحدثتها في نفسي محنه صديقي . فاذا مضالي المكتلب _ الذي اعتاد دائما أن يضخم المحن _ بجمع في الزعاجه ، إذ خيل إلى أن ديدرو بقد بهكث هناك طبلة مهره، نكدت أجن لذلك ، وكتبت إلى السدودي بمهدورة السدها

⁽١) الراهب وديدرو وروسو -

Le Persi Fleur (5)

۲۱) دیدرو ودالیمی .

الكراسة الثامنة

سنة ١٧٤٩

خليق بى أن أقف تلبلا إذ انتهت الكراسة السبابقة . نهع الكراسة الحالبة ، ثبدأ أصول السلسلة الطويلة من المحن . التى المتى المي بى .

لم بغتني ــ اثناء ترددي على دارين من ألمع دور باريس ــ أن أعقد بعض صلات التعارف ، برغم قلة لباقتى ، فتعرفت - فيمن تعرفت إليهم لدى السيدة دوبان - إلى الامير الشاب وريث لمارة (ساكس جوتا !) وإلى مربية البارون دي تون؛ كما تعرفت لدى السيد ديلاً بوبليتير إلى السيد دي سيجاي ، صديق البارون دي تون ، وكان معرومًا في عالم الأدب بالنسخة البديعة التي كانت لديه من ديوان « روسيو »(١) . ولقد دعانا البارون - أقصد دعا السيد سبحاي وإباي - إلى قضاء يوم أو أثنين في (غونتفاي - سو - بوا) ، حيث كان الأمم بمثلك داراً ، غذهبنا . . وغيما كنا نهر بغانسين ، شـــعرت بقليم . يتمزق ، إذ رايت السجن . ولمح البارون آثار ذلك على وجهي. وعند العشباء ؛ تحدث الأمير عن سبحن « ديدرو » ، فعيد المارون _ ليحملني على الكلام _ إلى انتهام السحين بالنزق... وهو عين ما بدر منى في غلظتي إذ اتبريت للدماع عنه ! . ولقد اغتفر لى هذا الاندفاع ، باعتبارى رحلا أنساق لعاطفته

Looloo www.lvd4aresb.com

(Transition to pro-

(۱) الشاديّ جان بايتيست روسي .

إطلاق سراحه ، أو العبل على ان أحبس بعه ، ولم أتلق ردا ما عن خطابى ، إذ أنه كان جد بعيد عن المعتول ، غلم يحدث أثرا ، ولست أدعى لنفسى فخر أن يكون خطابى قد ساهم غيها حدث بعد ذلك ، من تخفيف متاعب السجن على ديدرو المسكين ، على أنه لو كان قد قدر لهذا الحبس أن يستمر فترة أخرى بنفس القسوة ، فلست أشك في أننى كنت أبوت كيدا فوت بيدا كان خطابى قد أحدث مفعولا يسيرا ، فاتنى لم أوله أهمية تذكر ، حتى أننى لم أتحدث عنه إلا لنفر قليل من النساس ، ولم اتحدث عنه إلى ديدرو نفسه أليتة !

نحو سديق تعس ، واتخذ الحديث وجهة أخرى . وكان ثهة انتان من الألمان اللحقين بخدمة الأميرة أحدهما بدعى الكابعيل 60 وهو رجل هم الذكاء - كان في ذلك الحين قسا راعبا للأمم ، وعَدا غيها بعد مربيا له ، خلفا للبارون . . أما الآخر ، فكان شابا يدعى السيد « جريم » * كان يتكنل بالقراءة للأمر - ريثها يتسنى له الحصول على منصب آخر . وكان تواضع ملبسه ينم عن شدة حاجته إلى ذلك -

ومنذ تلك الليلة ، بدأت بيني وبين كلبغيل رابطة لم تلبث أن تطورت إلى صداقة . أما صلتى بالسيد جريم ، غلم نصل إلى هذا الحد ببثل هذه السرعة ، إذ أنه لم يكن بحاول أن يظهر ، بل كان بعيدا كل البعد عن حب الظهور الذي خلعه عليه الثراء ميما بعد . . ولقد دار الحديث عند العداء - في اليوم التالي - عن الموسيقي ، غاجاد الخوض نبه - وقسد ابتهجت حين علبت أنه بحسن المساهبة على المعزف - مُعضيفا اليوم في موسيقي ؛ على ممزف الأمير ، ومنذ ذلك الحين بدأت تلك الصداقة التي كانت جد لطيفة في أولها ، وجد نكدة في آخرها ، والتي ساكثر من الحديث عنها فيها بعد .

وإذ عدنا إلى باريس ، علمت بالنبأ المفرح . . بأن دبدرو قد غادر « الزنزانة » ، وأنه منح قلعة ومثنزه (فانسين) كسجن له ... اعتمادا على وعد شرف بنه ... وسمح له بأن بستقبل اصدقاءه . ولكم شق على الا استطيع أن أهسرع إليه في التو ! . . فلقد تأخرت يومين أو غلاثة ، لدى السيدة دوبان ؟ بسبب واجبات لم يكن ثمة مفر منها .. وبعد ثلاثة أو أربعة

قرون من التلهف - طرت الأرتمي بين ذراعي مسديتي ١٠٠٠ ويا لها من لحظة جلت عن الوصف ! . . ولم أجده وحيدا ، بل كان معه 1 داليمبير » وأمين صندوق كنيسة « ممانت شابيل» وإذ دخلت ، لم أر في المكان سواه ، ولم المعل سيوى أن تغزت ، وأن مرخت ، ، والسنت وجبى بوجهه ، وضببته بشدة دون كلام سوى كلام دموعي وعبراتي ٠٠ كنت اختنق شوقا وطرما! . . وكانت أولى حركاته أن تخلص من عناتي، واستدار نجو رجل الكنيسية قائلا: • أترى با سيدى كيف يحبني أصدقائي ؟ ٣ . . وإذ كنت غارتا في انفعالاتي ٤ غائني لم أر من هذا المسلك سوى جانبه الطيب ، ولكنتي اذ المكر تبه احیانا _ بعد ذلك _ ارى ان هذا لم بكن خلیتا بان يكون أول ما يخطر ببالي لو أنثى كنت في بوقف ديدرو!

ووجدته متأثرا بسجنه أشد التأثر ، فلقد تركت «الزنزانة» طابعا فظيما على نفسه ، ومع أنه ارتاح إلى المثام في القلمة؛ وغدا حرا في التجول في مثاره لم تكن تحيط به اسوار ، إلا أنه كان محتاجا إلى صحبة أصدقائه ، كي لا يستسلم للافكار السوداء . ولما كنت الشخص الذي يعطف أشد العطف على آلامه _ يقينا _ فقد رأيت أنثى ولا بد _ كذلك _ الشخص الذي تسرى عنه رؤيته ، أكثر من أي شيء آخر ، وبالرغم من وجود بعض الشواغل العاجلة الملحة ، نقد رحت اتردد علمه بعد ذلك _ مرة كل يوبين _ وحيدا ، أو مع زوجته ، لأقضى معه منترة الأصبل .



وحاء الصيف في ذلك العام ــ ١٧٤٩ ــ شديد الحر -وكان ثمة غرسخان بين باريس وفانسين . ولما لم لكن في سعة تهكنني بن استئجار عربة ٤ مُقد اعتدت أن أنطاق في الساعة الثانية ـ من بعد الظهر ـ على قدمي ، إذا ما كنت وحيدا . . وكنت أغذ السير لأصل في أقرب وقت . . وكانت الأشجار القائمة على طول الطريق ، غير وارخة الاغتان ، على ما هو مألوف في تلك المنطقة ، فلم تكن تضفى على شبينا من الظــل تقريباً ، وكثيراً ما كنت أرنبي على الأرض ، وقد أرهقني الحر والشعب ، وعجزت عن المضي . ، ولكني احْققه من سرعــــة انطلاقي ، عبدت إلى اصطحاب أحد الكتب خلال الرحلة . وفي ذات يوم ، اصطحبت كتاب « تتويم فرنسا » ، وفيما كنت أقرأ أبان سيرى ، صادفت السؤال الذي طرحه المحفل العلمي لديجون ، ليكون موضوع مبار (١١٥) العام التالي : " هل ساعد تقدم العلوم والغنون على إنساد الأخلاق أو على نطيم ها ؟ ٥.

> وبها أن قرأت هذه الكلمات ، حتى نبثلت كومًا آخر ، وغدوت إنسانًا آخر ، ومع انني احتفظ بذكري حبة للأثر الذي أحدثه السؤال في نفسي ، إلا أن تفصيلات الواقعة غابت عن بالي مذ اودعتها إحدى رسائلي الأربع إلى السيد دي " ماليزيرب " . وهذه إحدى الظواهر العجيبة التي تتصف بها ذاكرتي ، والني

تستحق الذكر م غبى حين تسعفني لا تهضى في ذلك إلا طالسا كنت معتمدا عليها ، وما أن أسكب ما استودعتها إياه على الورق ، حتى تتخلى عنى . . وإذا ما كتبت شيئا مرة ، غاني لا أعود أذكره إطلامًا ؛ . • وترانعتني هذه الظاهرة ، حتى في الموسميتي . فقد كنت أعرف كثيرا من الأغاني عن ظهر قلب ، تبل أن أدرسها ، ولكنى لم أكد أحذق الغناء من " النوتة " و حتى عجزت عن استبقاء أبة اغتياة في ذاكرني ، وما ارائي استطبع اليوم أن أردد أغنية واحسدة بأكملها ، من كل الأغاني التي كنت أحيها !-

والذي أذكره بجلاء _ في هذه الناسبة _ هو النبي عنسديا بلغت (غانسين) كنت في حال من الانفعال نشبه بحر أن الحبي، والاحظ « ديدرو » ذلك ، فأنفسيت إليه بالسبب ، وتسرات عليه ق مناجاة غابريشيوس » (١)، التي كتبنها بالتاء الرصاص: تحت إحدى أشجار البلوط ، فشجعني على أن أنشر آرائي ، وأن أشترك في المباراة ، وقد كان هذا! ، ، ومنذ تلك اللحظة غدوت من الضائعين ، غلقد كان ما بقي من عمري ومن نعاساتي

Prosopopée de Fabricius (۱) و كان نايربد براس سديد

والنزاعة ، والنجرد من المستحة الذاتية . والماء تسمع واز الربط المرابطي نقرا سليم اللمة مهما يرتاع في مناصب الحكم . www.dvd4anth.com

⁽١) كانت مباراة سنوية يعتدها المحلل العلبي بديجون ، الأحسن وسالة تكتب في الموضوع الذي بطرحه للمسابقة. .

172

ورأيت آن استخدم السيدة لوفاسير كسكرتيرة ، فاسكنتها مع ابنتها وزوجها على متربة منى ، وكاتبت عى التى تأتى فى كل صباح لقوقد نارى وتؤدى الخدمات البسيطة التى احتاج إليها ، اقتصادا لأجر الخادم ، وعند وصولها ، كنت الملى عليها مسربرى ما أعددته فى الليل ، وقد أدى هذا النظمام الذي النعية زمنا طويلا _ إلى إنقاذ كثير بها كان معرضا للنسيان!.. حتى إذا فرغت من المقال ، عرضته على ديدرو ، الذي ابدى ارتباحا إليه ، واشار إلى بعض تعديلات ، على أن هذا الممل الأدبى الملى، بالحرارة والقوة ، كان يفتقد المنطف والترنيب المتعدد انها ، غير _ دون كل ما انساب من قلمى _ افسعنها فى المجة ، وافترها إلى التناسب والتناسق ، على أن غن الكتابة المستوعب دفعة واحدة ، مهما تكن الواهب التي غطر المرب

وأرسات هذا المتال ، دون أن أتحدث عنه إلى أحد ، اللهم إلا "جرس " ... فيها أظن ... إذ كنت قد بدأت ارتبط وإياه باعظم ود ، منذ النحق بخدمة الكونت دى قربيز ، وكان لديه معزف انخذناه ملتتى يجمعنا ، فكنت أتضى مع "جربم " حسوله كل لحظات فراغى، نغنى الالحان الإيطالية وأغانى ملاهى الجندول، دون انقطاع أو جلل من العباح حتى المساء ، أو ... بالأحرى ... من المساء إلى الصباح . وعندما كنت لا أوجد فى دار السبيدة دوبان ، فقد كان من المحقى أو أوجد فى دار السبيدة ومعه ... على الأقل ... سواء فى نزم الله في مدر التربي المناه الى مسرح ، الكربة المناه المناه المناه المناه الى مسرح ، الكربة المناه ال

نتيجة لا مناص منها لهذه اللحظة من لحظات الاختبال والمثلال(١)!

ونسابت مشاعرى إلى مستوى المسكارى - بسرعة تفوق التصور - غاذا بكل اهوائى الثانهة تختنق فى غورة الحقيقة والحرية والفضيلة ، وادعى من هذا إلى الدهشة ، أن هذه الفورة ظلت محندمة فى غؤادى طبلة أربع أو خيس سنوات الفورى 4 بدرجة لعلها لم نساور قلب أى بشر آخر !

واقبلت على العمل في إعداد هذا المقال ، بطريقة جد عجبية، اعتدت دانها ان انتهجها في كل مؤلفاتي الآخري تقريبا . عقد خصصتها بالساعات التي لم يكن النوم يواتيني فيها بالليل . وكنت استغرق في التفكي والما في غراشي منعض المبنين، واروح اقلب عباراتي في راسي ، وإعاود تقليبها في عناء لا بحكن تصور مه حتى إذا انتهبت إلى الرضاء عنها ، ولدعنها ذاكرتي إلى ان استطيع تسسطيرها على الورق ، ولكن الوقت الذي كان ينستغرقه نهوضي وارنداء تبابي ، كان ينسبعها على ، غإذا ما مكفت على ورقى ، لم بواغني شيء بها تظهنه في بالى تقريبا.

⁽۱) أضاف الروسو " ساق رسالة الى " ماليزيرب الا تفصيات بقيمة لهذه المناسبة ؛ أذ قال : الا وشعرت بدوار طاغ يستولى على رأمى ، يشبه نشوة السكران ، وبخفنان عنيف ، قلم آمد انطالك انقاسي وآما أسر ، ومن ثم ارتبيت على احدى اشجار الطريق ؛ وتضيت نصل قسانة في هذا الانتمال ؛ فلما أنت ابنت أن مدر صدارتي كان حفسلا باللموع ؛ دون أن أكون تحسد صعرت بانقي ذرفتها » .

كنت استبنع بحق دخوله بالمجان ، والذي لم يكن « جسربم » بحبه سلحبه سلط وأصبحت أتردد بعه على « الكوبيدي نرائسيز « ، الذي كان بولعا به ، وقصارى القول أن جاذبية قوبة رستني بهذا الشباب ، حتى أننى أصبحت لا أطبق بعدا عنه ، وحتى أن المهة المسكنة (۱) غدت موضع إهمال منى ؛ . . اقصد أننى اقالت بن زيارتى إياها الإذ أن عاطفتى لم قهن لحظة واحسدة خلال حيائى !

ولقد ادت استحالة تقسيم وقت غراغي الضئيل بين ميولي ، إلى أن تجددت لدى ، بقوة لا قبل لى بها ، الرغبة _ التي ساورتنی منذ وقت طویل - فی ان یکون لی ولتیریز مسکن واحد . ولكن العقبة التي تبثلت في عدد أفراد أسرتها ، وفي الحاجة إلى المال لشراء الأناث _ بوجــه خامن _ جعلتني اعسدل حتى ذلك لحين ، ثم سنحت لى غرصسة المحاولة ، مانتهزتها . . ذلك أن السيد دى مرانكويي والسيدة دويان شعرا تهاما بان مبلغا يتراوح بين ثمانهائة وتسممالة غرنك في العام . مبلغ غير كاف ، غرفعا من تلقاء نفسيهما مرتبى السسنوي إلى خبسين « لوى » . وغضلاً عن هذا ، غان السيدة دوبان لم تكد تسبع باننى كنت اسعى إلى نائيث مسكن خاص لى ، حتى ساعدتني ببعض نفحات من أجل هددا الغرض ، وبالإضافة إلى الأثاث الذي كان لدى " تيريز " بن قبل ، لَمِنا شيطُهُ ، واستأجرنا مسكنا صغيرا في مبنى « اللانجدوك » ، بشسارع

(جربئيل سائت اونوريه) ، لدى قوم طيبى السمعة جسدا ، ودبرنا معيشننا قدر المستطاع ، وأقمنا هناك في أمان وارتباح سبع سنوات . . إلى أن فزهت إلى « الارميناج " .

* * *

وكان والد تبريز كهلا طبيا ، مفرط الدعة ، يخاف زوجته كل الحُوف ، ومِن ثم مُقد أطلق عليها لقب € الملازم كريمبئيل ≤ (١١) الذي خلعه ١١ جريم ١١ بعد ذلك _ على سبيل الدعابة _ على النتها ، ولم تكن السيدة لوغالم تفتتر إلى حضور البديهة ، واقصد في أدب الخطاب ، بل إنها كانت تفخر بأدبها وبسلوكها اللائق بالمجتمع الراتي ، بيد أنها كانت ذات رياء غربب لم اكن اطبقه . وكانت نقدم لابنتها من النصح أسوأه ، وقد حاولت ان تحبلها على أن تخدعني ونبسكر بي ! . ، وكانت تداهن اصدقائي ــ كلا على حدة ــ وتجاول أن تتقرب إلى الواحد منهم على حساب الآخر ٠ أو على حسابي أنا ! . . وفيها عدا ذلك مَاتُها كَانَتُ أَمَا طَبِيةً ﴿ لَأَنَّهَا وَجِدْتُ أَنْ مِصَلَّحَتُهَا فِي أَنْ تَكُونَ كذلك . وكانت تنستر على الخطاء ابنتها ، لأنها كانت تفيد بن وراء ذلك ٠٠ هذه المرأة التي أغرقتها بمنابتي ورعابتي : وبالهدايا الصغيرة ، والتي كنت أنوق من قلبي إلى أن أحمل نفسى على حبها ، كانت _ بسبب استحالة تحاجى في هـــذا

الاسم الذي يطلق على دار للتنساء في باريسي في الشرائل المهاري الدير الدي

نهكث احيانا في جلستها هسده إلى منتصف الليل ، دون ان نفكر في شيء ودون أن نفطن إلى الوقت ما لم تنبهنا الأم العجوز إليه!

. ولكن لندع هذه التنصيلات التي قد تبدو عقيمة أو مضحكة، فلقد اعتدت أن السعر — وأن أصرح — دائما ، بأن الهناءة الحقة لا توصف !

ولقد حقيت _ في نفس تلك الفترة تتربيا _ يمنعة أخرى . كانت أكثر خشونة بن هذه م. وكانت آخر بتعة بن نوعها أندم عليها ، فلقد ذكرت أن « كليفيل » _ القس _ كان لطيفا ، ولم نكن علاقتي به نتل توثقا عن علاقتي بجريم ، حنى أصبحنا مثالفين ، وكانا يتناولان الطمام احيانا على مائدتي ، وكائت هذه الوجبات تتجاوز حدود البساطة بعض الشيء ، كما كانت تزيدها مرحا فكاهات كلبفيل وفكاته المهدفية ، والمداعبات الجرمانية من « جريم » الذي لم يكن بعد قد طلق العبث . . ولم تكن الشبهوة تتسلط على مآدينا الصغيرة ، بل كان المرح يملا مكانبا ، وقد شمعرنا بارتباح إلى اجتماعاتنا ، غلم نعد نطيق افتراقاء وكان كليفيل قد أثث مسكنا لغشاة صغيرة، لم تكف هن أن نهب نفسها لكل الناس ، لأنه لم يكن تسادرا على أن يكتلها وهده ! . . وفي ذات بساء . كنا نلج احد المقاهي ، وإذا بنًا تَجِدُ كُلِبُعُيلُ خَارِجًا مِنْهُ ﴿ فِي طُرِيقِهِ إِلَيْهَا لِينَاوِلُ الْعَشَاءِ ا معها ، غداعبناه ببعض الفكاهات ، التي انتتم لنفسه منها بلباتة ، إذ اضطرفا إلى أن نشماركا من المعمد ، نه ما يسخر منا بدوره ، وبدت في الفناة السائمة عد قالسد، . . مغرطة الدعة ، غير مدرية على مينتها الله كانت الما ها ديها

الصدد _ السبب الأول للتعب الذي كنت أعانيه في مسكني الصقير . وفيها عدا هذا ، غان بوسعى أن أقول إنني تذوقت _ خلال هذه السنوات الست أو السبع _ أكبل هذا، عائلي يسمح به الضعف البشري !

كان قلب تيريزي قلب ملاك ، وقد عززت حبانقا المشتركة حيثًا ، قاحَدْتًا نزداد إحساسا _ بوما بعد يوم _ بأن كلا بنا خلق للآخر . ولو قدر لمتمنا أن نوصف ، لكانت بساطنها داعبه للضحك ، سواء في ذلك نزهاتنا خارج المدينة وحيس ، حيث كنت أنفق _ بعظية _ ثمانية أو عشرة " سو » في إحدى المانات . . أو عشاؤنا البسيط في النافذة ، وقد جلسنا متقابلين على متعدين صغيرين ، فوق صندوق كان يشغل عرض فراغ النافذة . . فكانت هذه تستخدم _ بهذا الوضع _ كبائدة ، وكنا نستنشق الهواء الطلق ، وتشاهد ما هولنا . والمارة . . ومع انها كما في الطابق الرابع . إلا أنه كان في وسعنا أن نطل على الطريق ، وقمن تتناول الطعام ، ترى منذا الذي بستطيع أن يصف ، بل منذا الذي يستطيع أن بشعر بمناتن هذه الوجبات التي كانت تتالف _ في مجموعها _ من ربع رغيف من الخبر الخشين ، وبعض الكريز ، وتعلعة صغيرة بن الجين ، وتصف « سيتبيه » (١) من النبيذ كنا نشربه معا ؟ . . أبتها الصداقة -والثقة ، والألفة ، وراحة البال . . ما الذ مذاقك ! . لقد كنا

 ⁽۱) تصف لا السبتيه لا يعادل جزءا عثى ١٦ من الجانون -

وخرجت من شارع (ديه موانو) _ حيث كانت الغتاة تقيم _ وانا اشد استحياء بن القديس « بريو » ، حين بارح المسزل الذي أسكر فيه . ولقد كنت أنهال قصني بجلاء ، وأما أكتب تصنه! . . والحظت تيريز أن في الأمر شبينًا ، لا سبها والني كنت مرتبكا ١ وكثت أبدو سالخطا على نفسى . وقد تخفف من العبء ، بأن اعترقت لها بصراحة وإيجاز ، وكم أحسستت صنعا ، إذ أن يجريم » جاءها _ في الصباح التالي _ متشفيا، وروى لها ذنبي في مبالغة . ومنذ ذلك آلحين ، لم يكف تط عن أن يذكرها به في خبث وإفاظة . وكان هذا أشنع ذنوبه ، عقد كان من حتى _ إذ التهنقه على سرى طواعية ، وفي غير تحفظ - أن أتوقع منه الا يحملني على أن أنسدم يوما على هسده الثقة

أبدا لم أشعر بطبية تلب تيريزي ، كما شعرت بما في هدده المناسبة ، فقد أبدت من الذهول والاستنكار لنصرف " جربم " اكثر بما أيدت من الاستياء لعدم وقائي ، فلم أتجشم أكثر من ان تتبلت منها عنابا رقيقا مؤثرا ، لم المح خلاله أي اثر اسمحط أو شغينة ! . . لقد كانت سذاجة عقل هذه الفتساة الرائعة . تعادل طبية تليها ، وهذا جل ما يقال ! . . على أن ثمة مثالا لذلك ، جــديرا بالذكر ، يحضرني الآن . ، فلقد ذكرت لها أن كلبنيل كان تساء وراعيا دينيا لأمير (ساكس _ جوثا ١٠ وكان القس - في رابها - رجلا ممتازا ، حتى أنها في تخبطها بين الأمكار المتباينة - أحدت كليفيل على أنه « البابا » ، ومن ثم فقد ظننتها اختبلت ، حين انبأتني ــ ذات مرة ــ عند عودتي إلى المنزل ، بأن « البابا « قد هضر لزيارتي ، واستدرجتها حتى اوضحت، ثم انطلقت بأسرع ما وسعني لاروي هذه القصة لجرمم وكلبقيل، الذي لمنق به أسم " ألبابا " ليما ببننا . . كما اطلقنا على غائية شيارع إ ديه موانو) ، اسم « الملها جان »(١) : . . وكان هذا بثار ضحك عز علينا أن نخبده ، متى كدنا نخبنق ! . . ان اولئك الذين جعلوني اتول - في خطاب حلا لهم أن ينسبوه إلى-إنني لم اضحك في حياتي سوى مرتبن ، لم يعرفوا شيئا عني الفكرة إطلاتنا ا

الموسوعة _ إلى جود عقيدة قوامها الكلمات . . نان مرض المستحيل لا ببهظ الفاس ما داموا يتفاقلون عن تثفيذه!

ولو أننى كنت مخطئا في استنتاجاتي ، لما كان شهــة ما هو ادعى للدهشة من الطمانينة ؛ التي أقبلت بها عليها ، . ولو أنتي كنت من اولئك الناس ذوى المنبت الوضيع ، ودوى الأذان المفلقة دون صوت الطبيعة الرقيق، وذوى النفوس التي لا ينبت غيها أي إحساس مادق بالمدالة والإنسانية الكان جهود عليي ميسور الادراك . ولكن ما اوتيت من حرارة القلب ، وإرهاف الحس ، وسبولة التعلق بالناس . . وهذا السلطان الذي كانت تغرضه على علاقاتي بهم ، وهذه اللوعات القاسبة التي كنت أعانيها إذا ما اضطررت إلى تطع العلاقات . . وهذه النية الطيبة التي قطرت عليها نحو أقرأني، وحبى المتأجع لكل ما هو عظيم، وما هو صادق ، وما هو جميل ، وما هو عدل . . وهذا الجزع من السوء بكل اتواعه ، وهذا العجز عن الكراهية والحقد ، بل وعن تبنيها . . وهذا الحنان ، وهذا الشعور الناعم الوثاب الذي احس به حين أرى كل ما هو ماضل وكريم ولطبف .. الليس بن المكن لكل هذه الصفات أن تتآلف في تلب واحد ، مع الحرمان الذي يدوس - في غير ما تورع - اعذب الالتزامات واحلاها ؟ . . لا ! . . أنني لأشعر وأجاهر بأن هذا مستحيل -عان جان جاك لم يكن قط عديم الشعور ، تاكر الصلات الرحم، ولا كان أبا جاحدا ، لحظة وأحدة في حياته !. . ومن المحتمل ان اكون قد الخطأت ، ولكني لم المن يتعلم في المساء . . ونو انتی شئت ان آغضی بحججی ، لتک مصورهای با بنیعی . یبا

من سنة - ١٧٥ إلى سنة ١٧٥٢

عليت في العيام التالي _ سنة ١٧٥٠ .. أن مقالي خار بالجائزة في (ديجون) ، وكنت قد كففت عن التفكم فيه . فأيقظ هذا النبأ _ من جديد _ كل الأفكار التي كانت قد أوحت إلى به ، ويث قيها موة جديدة م وأدى إلى أن تحركت _ للمرة الأولى _ رواسب العطولة والفضيلة التي كان أبي ووطئي ويلونارخ قد اودعوها قلبي في طغولتي . فلم أعد أجد ما هو أعظم وأجبل من أن أكون هرا وفاضيلا ، وأن أرتفع بنفسى موق اعتبارات الحظ والرأى العام ، ، وأن أكون مستقلا مدّاتي . ومه أن الحباء الزائف والخوف من الرأي العام منعاني ــ باديء الأمر ــ من أن المضى وقتا لهذه المباديء ، ومن أن الخرج مَجاة ، وعلانية ، على مادات وعرف القرن الذي أعيش فيه . . إلا أنفى مندذ ذاك الحين عقدت عزمي ٤ ولم أرجيء تنفيد ما أننوست لأمد أطول مما كان بتطلبه هذا الانتلاب كي يقدو موققا ،

ونيما كنت أرسم للسفش عن واجبات الإنسان ، وقع حالث جملني أفضل التفكير في واجباتي الشخصية ، فقد كانت تبريز حبلي للمرة الثالثة . . وفي أمائة تامة بيني وبين نفسي ، وفي اعتزار مفرط صدف بي عن الرغمة في أن تكون أعبالي مكذبة لبادئي ٤ شرعت أدرس مصير أولادي وعلاقتي بأمهم ٠ عسلي ضوء توانين الطبيعة ، والعدالة ، والعتل ؛ والدين . . الدين القدسي ، الأولى ، كما أراده خالقه ، لا كما شـــوهه البشر في تظاهرهم بالرغبة في تطهيره 4 ولا كما حوله الناس _ بتو انبنهم أوتيت خيصة . ولقد بدا لي هذا الاجسراء ملائما ، حكيما ، شروعا إلى درجة أنني إذا كنت لم أنخر به علانية ، قانها كنت أصدر في ذلك عن شيء من مراعاة خاطسر أمهم ٠٠ على أنني البات به كل أولنك الذين كنت قد أطاعتهم على علاقتي بها ... قلته لديدرو ، ولجريم · كسا ذكرته ــ فيما بعــد ــ للسيدة ديبيناي ، ثم السيدة دي لوكسببورج بعد ذلك . ، ولقد معلت ذلك في صراحة ، وبمطلق الحرية ، دون اي اضطرار ، وكان بوسمى أن أخفى الأمر بسهولة عن الناس أجمعين ٠٠ إذ أن الأنسة هجوان ١١٥ كانت أمينة ، كتومة جدا ، وكان بوسعى أن المبئن إليها كل الإطبئنان ، وكان الوحيد من أصدقائي ، الذي كنت أجد مصلحة في أن أكثب له سرى ، هو الطبيب الثييري ١١٥ الذي عنى بعيني المسكينة في إحدى برات الوضيع ، عنسدما ساعت حالها . ومجمل التول انني لم احط تصرفي بشيء من الغبوض ، لا لأننى لم انعلم قط أن اكتم شبيئًا عن اصدقائي محصب ، وإنها لانني لم أكن أرى .. في الواتع ... أي ضير في ذلك . إذ أننى _ إذا تدرنا كافة الاعتبارات _ قـد اخترت الولادي الذي ، أو ما آمنت بأنه الذير . بل أنني كنت أنهني ولا أزال _ لو أننى نشأت وتربيت على شاكلتهم!

انها كانت من القوة بحيث أغسوتني ، مَانني اخْتِي أن نموي كثرين غيرى ، ولست ابغى أن أعرض الشيبان .. الذين قد يقرأون هديثي ــ لأن بنساقوا إلى الاساءة لانفسيه عفيل هذا الخطأ ، ومن ثم فسأكتفى بأن أتبول إن غلطتي كانت على هذا النسق : إنني إذ اسلبت أولادي إلى الدولة لتربيهم ، لعجزي عن تنشئتهم بنفسي ، وإذ تضيت عليهم بأن بصبحوا عمالا أو مزارعين ، بدلا من أن يصبحوا مقامرين وطلاب شروة ، كتت أظنني اؤدي تصرمًا يليق بأب مواطن صالح ، وكنت انبثل نفسى عضوا في جمهورية الملاطون ، ولقد اشعرتني حسرات علبي ـ في اكثر من مرة ، فيما بعد ـ أنني كنت بخطنا ، ولكن عقلي كان أبعد من أن يوحي إلى بنفس الرأي ، ومن ثم فانتي كثيراً ما باركت السماء لأنها صائفهم مما لقبه أبوهم في حياته : ومن الحظ الذي كان يتهددهم إذا ما اضطررت إلى التخطي عنهم ، ولو أنني أسلمتهم إلى المسبدة ديبيناي ، أو السيدة دى لوكسمبورج ، اللتين رغيثا _ قيما بمد _ في أن تكتلاهم ، سواء بدافع من الصداقة ، أو من الكرم ، أو من أى حافز آخر ٠٠ لو أنني معلت ذلك ، مهل تراهم كانوا بعدون اكتـــر ستعادة ، أو ينشأون رجالا أمناه محترمين ، على الأقل ٢٠٠ السبت أدرى ؛ ولكنني واثق بن أنهم كانوا خليتين بأن ينشاوا على كراهية أبويهم ٤ وربما على الغدر بهما !. . ومن ثم نقب كان من الأفضل مائة مرة ، أنهم لم يعرفوا أبويهم !

وهكذا أسلم أبنى الثالث إلى ملجا اللقطاء ، كبا كان تبان الطغلين السمانتين، ، وكذلك كان شأن الطغلين التالبين، إذ انتي

١١١ الانصة ، جوان ، هي التقلة أو أموذو الد فكات بعد إداميد عد الوضع : وتتكتل بالسلام الأطفال الى ملجاً ا

وفي الوقت الذي كنت اسجل نبيه اعتراناتي هذه - كانت السيدة لوفاسير تحذو حذوى - من تاحيتها - بيد أنها كانت تعرض آراء أمل تشويقا ، وكنت قد قديتها ... هي وابتنها ... إلى السيدة دوبان التي أولتهما ألف آية من آبات الطبية، دانمه من صداقتها لي . ولقد اطلعتها الأم على سر ابنتها . قما كان من السيدة دومان الطبية ، السفية ، التي لم تطلم تط على بدى حرمى على أن اوفر لهما كل أسباب العيش _ برغم تواضع مواردي _ إلا أن كفلت للابنة معاشماً صحبا كتبت عني هذه سره ، بامر من أميا ، طبلة مقامي في باريس ، قلم تعترف لى به إلا في « الأرميتاج » ، وبعد أن كثبت لي عن عدة أمور اخرى كانت تخليها في صدرها . ولقد كنت أجهل أن للسيدة دوبان علما بشيء ، إذ أنبا لم نبد إطلاقًا أبة إشارة . . كما أنفي اجهل ما إذا كانت السيدة دى شينونسو _ زوجة أبنيا _ على علم بالأمر هي الأخرى . على أن السيدة دي غرانكوبي -زوجة ابن زوجها - احاملت به ، ولم تستطع أن تبسك لسانها، متحدثت إلى عنه في العام التالي ، بعد أن كنت قد تركت دار الأسرة . وقد هللني هذا على أن أكتب لها ــ عن هذا الموضوع ــ رسالة توجد في أضابيري ، وقد عرضت فيها من حججي ما كان بوسعى أن انكره دون أن أقدم السيدة لوفاسم واسرتها ، إذ أن معظم الحجج والأسباب الحاسمة كانت منبعثة بن تاهینهم ، وقد تکتبتها(۱) .

انتى الطمئن إلى كتمان السيدة دوبان للأمر ، وإلى مسودة المبيدة دي شينونسو ، وكذلك كنت مطبئنا من ناحية السيدة دى قرائكويى ، لا سيما وأنها توفيت تبسل أن يشسيم سرى مدويا ، بوقت طويل ، ومن ثم قائله ما كان ليتفشى إلا على السفة أولئك الذبن المضيت إليهم به بالذات ! . . والواشع أن هـــذا وحده يمكن الحكم عليهم في الواتع ، دون رغبة منى في ان أعفى نفسى من اللوم الذي استحقه ، بل انتى لاوثر أن آخذ الذنب على عاتقي ، على أن أقضى عليهم بما يستحقه خبثهم ، إن ذنبي لعظيم ، ولكنه لا بعدو أن يكون خطأ . . غلقد أهبلت واحماتي، بيد أن الرغبة في الايذاء لم تداخل نؤادي أبدا ، ولن يتدر للشاعر الآب أن تتحدث باقناع عن أطفال لم يرهم أطلاقا . . ولكن خيافة ثقة الصداقة ، وانتهاك حرمة أقدس المعاهدات ، ونشر الاسرار التي سكيت في صدورتا ، والحط عبدا من قدر المسديق المخدوع الذي ما يزال يحترمنا وهو يناي بجانبه عنا . . هذه كلها لبست أخطاء ، ولكنها خسة نفس وسخيمة !

لقد وعدت بأن أقدم اعترافاتي ، لا تبريرات تصرفاتي ، وبن ثم قانني اتف ... في هـــذا الموضـــوع ــ عند هذا الحد ، ومن واجبى أن أكون صادقا ، والقارى، أن يكون عادلا ، ولن الطالبه تط باکثر بن مذا .

وادى زواج السيد دى شينونسا و الى اع اصمحت اكث ارتباها إلى دار أمه ، بغضل مزايا الله والمساه الخداد المحتليل

⁽١) منتود عده 8 الأسباب الخاصة ٥ في الكراسة التاسعة -

مَقِد كانت شبابة مفرطة اللطف ، بدأ أنها آثرتني من بين الكتبة الذين كاتوا في خدمة السيد دوبان ٠٠٠ وكانت الانفسة الوحيدة للسيدة غيكونتة دي بروشيشوار ، الصديقة الحبيبة للكونت دى مريبز ، وبالثالي لجريم الذي كان طحقه يخدمنه ، على النبي كنت الشخص الذي قدمه إلى ابنته وأدحله دارها! ١١٤ ولكن طباعهما لم تثفق ، ومن ثم فان هذه الصلة لم ندم طويلا. أما « جريم ٤ ــ الذي لم يكن يضع عيتيه ، منذ ذلك الحين - إلا على كل ما مَيه نفع مؤزر ... فقد آثر الأم ، التي كاتت من نجوم المجتمع الراقي 6 على الابنة التي كانت تنشد أصدقاء تثق بهم وترتاح اليهم ، ولا يكون لهم شان نابة مؤامرة أو دسسية . ولا يسمون إلى غاية بين العظماء ! . . وإذ لم تجد السيدة دومان في السيدة دي شينونسو كل ما كانت ترجوه من لين ، احالت دارها إلى مكان كليب بالنسبة للشابة . غاثرت المبيدة دى شينونسو _ التي كانت معترة بميزاتها - وربما بمنبتها أيضا _ ان تنبذ ملاهي المجتمع ، وان تبقى وحيدة _ نقريب _ في مخدمها ، على أن تحتمل نيرا لم تكن تحس بأنه بالأنبها!

ولتد أدى هذا الاعتزال إلى مضاعفة تعلقي بها ، بدنوعا بذلك الميل الطبيعي الذي كان بجندبني إلى التعساء . ولقد وجدت فيها عقلا مفكرا بميل إلى ما وراء الطبيعة ، وإن كان في بعض الأهبان يفحو إلى السفسطة ، وكان هديثها جدد

جذاب لى . إذ أنه كان بعيدا عن أن يكون حديث شابة تركت مدرسة الدير من عهد قريب ، ومع عمقه هـــذا ، ماتها لم تكن قد بلغت العشرين من عمرها ! . . وكانت بشرتها بيضاء ناصعة تبهر الأبصار ، كما أن قوامها كان خليقا بأن يبدو مهيبا وجميلا، لو أنها أقامت عودها مسنويا . أما شمرها نقد اختلطت شقرته بسبورة باهنة ، في جمال تأدر ، مما كان يذك رني بماما البائسة في أوج شبابها - عكان يهيج مؤادي ، بيد أن المبادي، التوبمة التي كثت قد رحمنها لنفسي - من عهد قريب _ و البت أن أتبعها مهما تكبدت ، جعلتني في أمان منها ومن مفائنها ! ... ولقد اعتدت _ طبلة غصل الصيف باكبله _ أن أقضى معها ثلاث أو أربع ساعات في عزلة ، التنها الحساب في درس جسدي ، وأضابتها بأرقابي التي لا تنتهي ، دون أن اقول ' ها كلمة غزل واحدة ، ودون أن أرمقها منظرة ! . . ولو أن هذا حدث بعيث خيبس أو سبت سنوات من ثلك النشرة ، لما كنت عبينا بأن أكون ماقلًا أو غبيا إلى هذا الحد ٠٠ ولكن القدر كان قد كتب على الا احب حيا حقيقيا سوى مرة واحدة في حياتي ؛ وأن تكون أول وآخر زفرات تلبي وتنا على ايراة غير هذه !

ولقد كلفت دائما _ مذ أقهت في دار السيدة دوبان - راضيا بنصيبي ، لا أيدى أية رغبة في أن بتحسن ، ولقد جاءت الزيادة التي أضافتها السيدة إلى مرنبي - بالاشتراك مع السميد دى قراتكويى ــ صادرة عن محض إرادتسا وحدهما نصب. . وفي هذا العام ، فكر السيد دي غرافكيني ما ذي تانت سدافنه لى نزداد يوما بعد يوم -- في أن يه عدر في داخ الماني و حدا

⁽١) يقصد الدوميو ٢ أن العروس كاتت ابنة الكونت دى تربيز من علاتنه بالفيكونية هي روشيشو أو ، ولكنها تنسب الفيكونت ، ومن ثر مانها كانت تحمل أباها المتبقى ، الذي تدر البها كسديق أ

دى قرائكويى قد ساهيت في المرض الذي وقعت فريسته عقب هذه العودة!

ولقد قلت في الجزء الأول من اعتراماتي إنني كنت موشكا على ألموت عندما ولدت . وكان ثمة عيب في تكوين المثانة ، أدى إلى احتباس البول بصغة شبه مستمرة ، خلال سنى عمسرى الأولى ، فكانت عمتى السوزان» ـ التي تولت المناية بي ـ تلقى عناء لا يمكن تصوره ، كي تصون حباتي . على أنها الملجت في ذلك ، واستطاعت بنيتي القوية أن نتغلب في النهاية . فنصفت منحتى كثيرا خلال صباي . . وفيما عدا نوبة الضعف والهزال التي ذكرتها من قبل ، ونيما عدا كثرة احتياجي إلى التبول ، الأمر الذي كان أتل ارتفاع في الحرارة يجعله عملية منعمة . . فيها عدا ذلك غانثي بلغت الثلاثين من عمري ، دون أن أحس بما كان في جسمي من عيب سابق .

وأصابتني أولى العلل عند وصولي إلى البندتية ، مان عناء الرطة والحر الشديد الذي عانبته ، حلما على رغبسة مستمرة في التبول ، وأوجاعا في الكليتين ، لازمتني حتى مقدم الشياء ، ولقد ايثنت بعد زيارتي لليومس (١) أنفي ميت ، ولكنني ــ مع ذلك _ لم اعان أقل تعب . . وبعد أن ارهقت تفسى بالوهم _ اكثر منى بآلام جسدية _ بسبب «جولييتا»، إذا بصحتى خير مما كانت في أي يوم . وظللت هكذا إلى ما بعد سنجن ديدرو . إذ أن اشتداد سخونة دمي - خلال رحلاتي الي. غانسين فالحر

11) وردت هذه الواتعة في صنحة بي بي منظالها لوسلم www.dvoj estititas وردت

وأكثر ثباتا ، ولقد كان محصلا عاما لمالية مرنسا ، وإذ كان السيد دودوييه - أمين خزانته - مكتهلا وغنيا ، وراغبا في أن يعتزل العمل ، نقد عرض على السيد دي غرانكوبي هذا المنصب ٠٠ ولكي اعد نفسي لتوليه ٠ ترددت ليضعة اسابيع على دار السيد دودوييه لاتلقى عنه الارشادات الضرورية . وسواء كنت لم اوت موهبة لهذا العمل ، أو أن دودوبيه - الذي بدا لي راغبا في أن يعهد مهذا المنصب إلى خليفة آخر ـ لم يكن يلتنني اصول المهنة عن طبب خاطر ، فاتنى رحت الم بالمعلومات التي كنت محتاجا إليها ، في بطء وسوء استيعاب ، . ولم ينقذ إلى راسي قط نظام الحسابات التي كاتت معقدة عن قصد ونبة مبيتة . على أنني وإن لم استوعب بقائق المهنة ، لم أتوان قط عن أن المضى مهرعا محو المتدرة على ممارسة مهام الإدارة . بل اننى شرعت فيها ، فتوليث السجلات والخزائة ، وصرفت وتسلبت نقوداً ، وأصدرت أيصالات . وسع أن ما لدى من ميل أقل من أن يؤهلني لهذه المهنة ، إلا أن نقدم سنى جعلني حكيما ، معتدت العزم على أن أتغلب على نقوري من أن أنصرت بكل نفسى إلى وظيفتي . ولكن سوء الحظ شاء _ في الوقت الذي بدات آلف عملي نميه ــ أن يقوم السيد دي نراتكويي مرحلة قصيرة ، ظللت خلالها الموكل الوحيد بخزانته ، التي لم يكن يودعها - في ذلك الوقت _ موى مبلغ يتراوح بين خمسة وعشرين الفا وثلاثين الغا من الشرنكات - هاذا القلق وانشمغال البال ، اللذان سببتيما هذه الأمانة ، يتنمانني بانني لم أخلق لأكون صرافا . ولمنت ارتاب في أن اللهفة التي رحت أرتقب بها عودة المبيد ما استقر عليه رأيي خلال بحران الحمى ! . . ونبذت إلى الأبد كل بشروع للإثراء والرنبعة ، معتزما أن أتضى في الاستقلال والفتر ، الفترة التصيرة التي تبقت لي في الحياة ، غاستخديث كل قوى روحي في تحطيم أغلال الراي العام ، وفي ان اقدم بشجاعة على با أراه خيرا ، دون أن أحنل البئة براى الناس. وكانت العقبات الني اضطررت لمغالبتها ، والجهود التي بذلنها للانتصار عليها ، فوق كل تصور . وقد ونقت بقدر المستطاع ، بل واكثر مما كنت أرجو ، ولو أنني نجحت في أن أدفع عني ربقة الصداقة ، بقدر توفيقي في التحرر من ربقة الرأى العام، لطفت غاية ماربي ، بل لعلها كانت أعظم الفايات التي خطرت لخلوق قان ، وأدعاها _ على الأتل _ للفضيلة . . على انفى _ إذا رحت اتخبط ثحت أقدام الأحكام الخرغاء التي تعدر عن قطيع الادعياء الذين يسمون العظماء، والذين يسمون الحكماء ت اسلم نفسى وانقاد كالطفل لاولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم اصدقاء ، والذين كانوا يغارون من أن يروني أشق وحدي طريقا جديدة . وأنا أبدو حد منهمك في إسسماد نفسي ، فلم يمودوا يفكرون _ في الواقع _ إلا في أن يجعلوني مثار اللفحك، وشرعوا في العبل على تحقيري ، لكي يصلوا من وراء ذلك إلى تشويه مسعتى ! . . كان تغير شخصيتي ، الذي بدا في هـذه الفترة مد وليست شهرتي الأدبية مد هو الذي اثار غيرتهم مني . - والعلهم كانوا على استعداد لأن يغفروا لي إن لمعت في من الكتابة ، ولكنهم لم يستطيموا أن يغفروا أن يستهد ال مثالا بدا أنه ضايقهم ١٠٠ لقد نطرت على الدد ، اكانت طاعي السلسة الوديعة تغذي هذا الود دول منه ، رناد كنت سمود!

القائظ الذي كانسائدا إذ ذاك _ ادى إلى الم عنيف في الكليتين، لم أستعد _ مذ واثاني _ صحني الأولى !

وفي الفترة التي اتحدث عنها ، أدى إسراقي في إرهاق نفسى بالعمل البغيض في تلك الخرانة اللعينية ، إلى أن اضمعلت صحتى أكثر من ذي تبل ، ومكثت في غراشي خمسة أسابيع او سئة ، في أشد اغتمام يمكن تصموره ، وأوندت السيدة دومان لعيادتي "موران"، الذي كان ذائع الصيت، والذي سبب لى - برغم مهارته ورقة لمساته - أوجاعا لا تخطر ببال ، ولم يستطع قط أن يصل إلى موطن علني ، فنصحني بأن الجأ إلى «داران» الذي استطاع بمجسانه ـ وكانت أكثر مرونة _ ان يخفف عفى بعض الأوجاع . على أن موران _ حين أنبأ المسيدة دومان بحالي ب صارحها بأنني لن أكون على تيد الحياة بعد سنة أشهر ، وحبلني هذا الحديث .. الذي نبي إلى .. على أن أفكر جديا في حالى ، وفي حماقة التضدية براحة جسمي وبالي ق الأبام القلائل التي تبتت لي في الحياة، لأغدو مستعبدا لوظيفة لم أكن اشعر نحوها بأي ميل ! . . ومن ناهية أخرى ، كيف كان لي أن أوفق بين المباديء القاسية التي اتحقتها لنفسي وبين منصب لم يكن بنسق معها إلا تليلا؟ . . الم يكن من المجافاة للذوق أن أدعو _ وأنا المحصل المام للمالية _ إلى التجرد من المصلحة الذائية ، وإلى الفتر ا

واشتد تخير هذه أاراء في رأسي باشنداد الحبي ، وراحت نتماسك بقوة ، حتى أن شيئًا لم يقو _ منذ ذاك الحين _ على تبديدها ، فوطدت عزمي _ خالل فترة نقاهشي _ على تثفيذ جه ولا لدى القرار ، وقد تكفل ديدرو يطبع المقال بعد غوزه بالب الزرار ، وقد تكفل ديدرو يطبع المقال بعد غوزه بالب النبر وقد كتب لى — وانا طريح الفراش — رسالة اعلنني غيها بنشر المقال وينتيجة ذلك ، فقال : قالقد منطى بكل إطراء ، وما كان النبسية من النبي هذا النجاح عليل من قبل » ، ولقد منطى هذا النجبية الذي أولاه الرأى العام عن رضى لكاتب مغبور — أول اطمئنان من الذي كاتب مغبور — أول اطمئنان منها عن ربيع منها قبل ذلك ، برغم مشاعرى الداخلية . ونبينت النغع العظيم الذي كان بوسعى أن الطفر به من هذه الكفاءة ، بالنسبة إلى القرار الذي كنت أهم بتغيذه ، وقدرت أن ناسخا على قسط من الشهرة الأدبية ، لن يعاني الحاجة إلى العبل إطلاقا ؛

وما أن استقر رابی و توطد عزمی ، حتی کتبت إلی السید دی فرانکویی انبئه بذلك و آسكر له ب وللسیدة دوبان كذلك به انعمهما ، سائلا إیاهها آن یعهدا إلی بها برغبان فی نسخه ولم یفقه غرانکویی بن هذه الرسالة شیئا ، بل ظن آننی مازلت فی بحران الحمی ، فهرع إلی داری ، ولكنه وجد آن رابی كان قد استقر تهاما ، إلی درجة آنه لم بستطع آن یزعزعنی عنه ، . و ذهب غانبا السیدة دوبان والناس كلیم بأننی قد اختبلت ، فتركته یقول ما شاء ، ومضیت فی طریقی ، وبدأت إمسلاح نفیمی بطیسی ، فتخلیت عن الزواند الطرزة بالتصب ، وعن الجوارب البیضاء ، وارتدیت تلقیسوة مستدیرة من الشعر الجوارب البیضاء ، وارتدیت تلقیسی ، ویت منافی المستعار ، وطرحت عنی سیئی ، ویت ما المامه ، المامه ، المامه ، وعود التعمیر و التمام المامه ، وحود التعمیر و التمام المامه ، وحود التعمیر و التمام المامه ، وحود التعمیر و الت

من كل اولئك الذين عرضونى ، طالما كنت اعيش بجهولا لدى الرأى العام ، غلم يكن لى عدو واحد . . على أن اسمى لم يكد بلمع الحتى اصبحت بلا اصدقاء أ. . وكانت عدد نكبة كبرى، وكانت عدد نكبة كبرى، ولكن الاكبر منها النبى كنت محاطا بقوم كانوا يسمون انفسسهم اصدقاء ، في حين انهم لم يكونوا بستغلون الامتيازات المتى ينيحها لهم هذا الاسم - إلا لكى يجروني إلى البلاك ! . . ولسوف تنكشف في سياف هذه المذكرات ، تلك المؤامرة الميشمة . على اتنى ساكتفى حق الوقت الحساضر حبان اشهر إلى اصلها ، وسيتبدى عما قريب كبف تشكلت اولى حلقانها :

华 米 米

كان لا بدلى ، فى الاستئلال الذى اردت ان احيا فيه ، من أن أحصل على القوت ، وصور لى خيسالى وسيلة جد سبلة ، هى نسخ الموسبقى مقابل كذا الصفحة ، ولو أن عملا اكثر ثباتا من هذا كان يؤدى إلى الفاية ذاتيا ، لاقدمت عليه . ولكن هذه المينة كانت نوانم ميولى ، كما انها كانت الوحيسدة الكثيلة بأن توبىء لى تونى من يوم إلى آخر ، دون أن تقتضينى خضوعا أو تبعية لاهد ، ومن ثم فقد غنمت بها ، واعتقادا منى بأننى لم أعد بحاجة إلى أن أعول هم المستغبل ، خنتت صوت غسرورى ، وانتلبت من صراف لاحد رجال المسال ، إلى ناسخ موسيقى ا ، وطننت أننى قد كسبت كثيرا بهذا الاختيار ، فلم يداخلنى ندم يذكر ، حتى أننى لم اتخل عن هذه المهنة إلا يمكم الظروف القاهرة ، لاعود ناحترفها بمجرد أن وسعنى ذلك .

ولقد أدى نجاح مقالى الأول إلى زيادة تيسير تحقيق هـــدا

حاملًا بعض اللغائف . ولقد ارتابت تبريز وإياى في أخيها ،

الذي عرف بأنه امرؤ سوء . . وراحت الأم تدمع هذا الاستباه

بحمية ، ولكنه تأكد بأدلة كثيرة عــززته لدينا ، بالرغم من

استنكارها أياه . ولم احسر على القيام بنحقيق دقيق ، خشية

أن أكتشف أكثر مما كنت أحب . على أن الأخ لم يظهر بعد ذلك

في داري ، وما لبث أن اختفي نماما ، ولقد رثيت لسوء طالع

تيريز وطالعي ، لارتباطفا بأسرة على هذه الشاكلة ، ورحت

الناشدها أكثر من ذي قبل ، أن تطرح عنها عباءا خطيرا كهذا.

ولقد أبرائي هذا الحادث من ولعي بالثياب الداخلية الجبيلة ،

ولم أعد اتتنال بعد ذلك سوى ثياب من أتمشة عادية ، تتمشى

وإذ استكملت انتلابي الإصلاحي بهذا الشكل ، لم يعد لي

مع بتية ملابسي .

بالتريث غيرة طويلة ، قبل أن يتصرف بشأن حُزانسه ، حتى إذا رأى _ في النهاية _ أنني مصر على قراري ، عين السيد داليبار ، الذي كان تبل ذلك مربيا ومعلما لشينونسو في صغره، والذي كان معسروها في ميدان فلاحة البسساتين بكتسابه عن « الزهور الباريسية » (١) .

ومما خفف من عنت الغلابي التقشيفي ، التي لم أطبق الزهد _ في البداية _ على ملابسي الداخلية المنتجة مما كان لدى في (البندقية) فقد كانت جبيلة ووفية ، وكثت بولما بها بوجه خاص . ويفضل اضطراري إلى أن اتخذها مظهرا للنظاعة - إذا بي أجعلها موضع بذخ وترف ٤ الأمر الذي لم يلبث أن أبهظتي. ولتهد تكرم على شهد خمس ما فخلصتي من هذه الربقة ، فعي المسية عبد المبلاد ، وبينما كانت الخادمات في قداس الغروب، بينها كنت في ١ حفلة موسيقية روحية ١٤(١) اغتصب باب غرفة في اعلى الدارة كان غسيلنا منشورا نبيا بعد غسله . . وسرقت الثناب حميمها ، وكان بينها أثنان وأريمون تبيصا لي من أبدع الاتمشة ، كانت تؤلف الشطر الاكبر من نبابي الداخلية . ومما

استعبد حالى الصحية السابقة ، والي تخبيب الريادات السيرا

من هم سوى أن ادعيه وأعززه ، بالعمل على أن أجتث من تلبي كل ما كان عرضة للتاثر بآراء الناس. . وكل ما كان بوسعه ان بهولتي _ بدائع من الخوف أو من اللوم _ عن كل ما كان في حد داته طيبا ومعتولا . وإلى جانب الضجة التي احدثها مقالي، اثار قراري ضجة هو الآخر ، وجلب على عملا مكتنى من أن أبدأ مهنتي الجديدة بتوفيق لا يأس به . على أن عدة اسباب عاتثني عن أن أنجح في هذه المهنة بالقدر الذي كثت قبينا بأن احصل عليه في ظروف أخرى ، وكان أول هذه الأسباب معدي السيئة . قان مرضى الأهسم خلفة سقدت منعتلي من أن

⁽١) أشاف ﴿ روسو ؟ الى هذا توله ؛ " لستأشك اطلامًا فيأن ترانكوين وخلصاءه برددون رواية سناتضة لبده ، ولكني أسعشهد بما تاله غراتكومي اذ ذاك ـ وما ظل يرددم الملا وتنا طويلا بعد ذلك ، الى أن تكولت المؤامرة. ولايد أن دُوي الأدراك المعليم والأمم الطيبة ؟ لا يزالون يذكرون تولُّه ١٠٠٠

⁽٢) وهي حفلات لا نعزف عبها سوى الموسيقي الديلية ، كنوع من الرياضة اليوحية ،

وكانت الشواغل الأدبية لمهاة الحرى ، لا نقل عن سابقتها عدوانا على عملي اليومي ، غما هو أن نشر مقالي ، حتى انقض على حماة الأدب ، وكانهم عصبة جمعت صفوفها ، وغاظتي إن اجد مثل هذا العدد من « السادة جس » الصفار (١) ، محاولون ان يفرضوا سلطانهم وإن لم يكونوا على دراية بالامر ، نقد المتشقت تلمى ، وعالجت فريقا منهم بطريقة لم تدع ضحكات في صفوفهم أ . . وكان أول المتهاوين تحت طعنات قلبي ، سيد من ، نانسي ، يدعى السيد جونبيه ، فقد أهين بغلظة في رسالة إلى " جريم " . أما الثاني « نكان الملك « ستأنيسلاس » (٢) نفسه ، الذي لم يتورع عن أن يخوض المعركة ضدى ، وقسد اضطرني الشرف الذي أضغاد على ، إلى أن أبدل لهجتي في الرد عليه - فاتخذت لهجة أكثر وقارا ، وإن لم تكن أقل شيدة . غفندت رسالته تبابا ، دون أن أغض بن احترام المؤلف . ولقد عرفت أن جيزوينيا يدعى الأب « مينو » كان ذا يد في الموضوع، ماعشدت على مطنتي في التفرقة بين عبل الأمير وعبل الراهب، وانقضضت دون إشبفاق على كل العبارات الحيروبتية ، فكشفت _ في طريقي _ عن خطا تاريخي كنت اعتبد انه أسلمت تفسى إلى رعايتهم ، الحقوا بي من الضرر غوق ما الحقه المسرض ، فلقد سمسعيت بالثوالي إلى موران ، فدوران ، مُهيِلْفَيْتِيوسَ ﴾ فمالوان ﴾ فثيري ٠٠ وكانوا جبيعا مِن الاساتذة، وكلهم من اصدقائي ، وقد عالجني كل منهم على طريقته دون أن يخلف على شيئًا ، بل انهم أضعفوني كثيرا . وكنت كلما حملت نفسى على أثباع إرشاداتهم ، ازددت شحوبا ، وهزالا ، وضعفا . واحد خيالي _ الذي أزعجوه _ بتيس حالي ببدي مغمول عقاقيرهم ، غلم بعد يصور لي سوى سلطة متثابعة من الآلام ، التي تسميق المسوت ، ومن احتباس البسول ، والحصباء، واحجار التبر !. . كانت كل الوان العلاج التي تخنف من الغير _ من مياه طبية ، وحمامات ، وحجامة _ لا تزيد أوجاعي إلا استفحالا ، وإذ وجدت أن مجسات داران - وهي الوحيدة التي ادت إلى بعض النتائج ، وجعلتني اعتقد أن لا سبيل لى إلى الحياة بدونها _ لم تكن تهيىء لى ، برغم ذلك، سوى تسكين مؤقت للأوجاع ، فقد بادرت إلى إنفاق مبلغ جسيم في اقتناء كمية هائلة من المجسات تكفيني طيلة العمر ، ولو عارق داران الحياة ! . . ولا يد أننى أننغت همسين « لوى » على الأتل ، خلال البينوات الثباتي او العشر التي استخديت فيها هذه المجسات دون التطاع ! . . ومن اليسير تعين أن عسلاجا باهظ النقتات ، مؤلما مزعجا كهذا ، كان يشغلني عن العمل ، وأن المرء إذا ما كان مشرفا على الموت ، لا بشبعر برغيسة ملهومة في كبب خيزه اليومي!

⁽١٤) السيد الجبس الأحدى شخصيات مدرجية مولير الأطيب المفرام » وقد السلطة ... ومدر » هذا الاسم لورمز الى المتحامل الذي تعميه المسلطة الشخصية عن الحدد الله ...

⁽۱) اللك ستانيسلاس الأول ، بلك بوط أ من منتو المنافقة ال

لا يصدر إلا عن قلم قداسته ، وهذا المقال _ الذي كان اقل من سواه إثارة للضجيج لسبب ما _ بعتبر في حد ذاته غريدا في نوعه ، فقد التهزي فيه الفرصة لأبين للراي العام كيف أن في وسع قرد معين أن يذود عن قضية الحق ، ضد عباهل ذي سلطان ، وكان من العسير أن أتخذ لهجة أبيه ومحترمة _ في الوقت دانه ... نفوق تلك التي انخذتها في ردى عليه ، وكنت مجدودا إذ تدر لي أن أنازل غريما كان عليي منعما نحوه بنقدير كنت أبلك أن أبديه له دون ما تملق ، ولقد غلن أصدقائي __ الذين انزعجــوا من أجــلي ــ انهم لن يلبثوا أن يروني في « الباسئيل » ، ولكن الخوف من ذلك لم يداخلني لحظة واحدة .. وكنت محقا . غقد قال هذا الأمير الطبب ، بعد أن اطلع على ردى : لا لقد تلقيت جزائي ، ولن أزج بنسى في الأمر بعد ذلك » - ومن ذلك الحين ، تلقيت منه الكثير من امارات التقدير والكرم ــ التي ساضطر إلى ذكر بعضها ــ واننشر مقالي في مرتسا وأوربا في هدوء ، ودون أن يجد أمرؤ نيه منفذا إلى لوما

ومسادفت ـ بعد ذلك بتليل ـ غريما آخر لم اكن أنوتعــه هو السيد « بورد » الذي كنث أعرفه في (ليون) ، والدي أولاني مع قبل عشر سنوات مع كثيرا من الود ، وأدى لي عدة خدمات، ولم أكن قد نسبته ، ولكنى كنت قد تفافلت عنه تكاسلا ، كيا انفى لم أكن قد أرسلت إليه مؤلفاتي، إذ عارتني القرصة المواتية لأبعث بها إليه _ وكنت في ذلك مخطئا ، ولقد هاجبني _ ولكن في ادب وامانة _ فرددت عليه بنفس اللهجة . وعاد إلى الهجوم

بإصرار ، فأقسح بذلك الجال إلى رد مقدم ، لم يتبس بعسده بكلمة (١) ، ولكنه صار اشد اعدائي ضراوة ، وانتهز وقت محنتي ليوجه إلى شتائم متذعة . كما رحل إلى لندن خصيصا لكي يسمى إلى إيدائي :

ولقد شيفلتني هذه المحادلات القلهية كل الشاراء إداددانا كثر! من الوقت الذي كان يتطلبه مبلى في النسسخ ، وعاتت تغدى في طلب الحقيقة ، وحدت من الكسب الذي كان بدر جيبي ، وكان " بيسو » _ ناشر مؤلفاتي في ذلك الحين _ لا يمنعني دانها سوى مبالغ زهيدة جدا في متابل كتيباتي . وكثيرا ما كان لا بدفع شيئا البتة . ومن امثلة ذلك أنني لم اتلق درهما واحدا عن رسالتي الأولى ، إذ أعطاه ديدرو إياها دون ستابل - وله لا بد من أن انتظر طويلا ، وأن أنتزع منه القليل _ الذي كان يجود به _ « سو » إثر « سو » . وفي الوقت ذاته ، لم تكن سوتي في النسخ رائجة ، فقد كنت مشملولا بمهنئين ، وهذه هي الوسيلة لكي أسيء أداء كل منهما ! . ، ولقد تعارضت عاتان المبنثان في ناحية أخرى ، وقد نبثل هيذا النمارض في تباين أسلوب الحياة الذي كانت كل منيما تضطرني إلى التهاجه . . ذلك أن نجاح مؤلفاتي الأولى ، جعلني تبسله الأنظار . إذ أثارت المكانة الني احتللتها غضول الناس ، وولد

سري ره والحد ، يشأن مقاله أ - في غوانه انعاب . . . - ١٠:١٠ -

إلا إلى احتفاليه وأهم الهندايا ، الذين كانوا بطيعون في أن يحظوا بغض الثغلب على صدودي ، وأن يدبنوني بنظيلهم بالرغم منى . وكم من امرىء كان يضن على بسم « ابكو أ واحد ــ لو انني طلبته ــ ولكنه راح يضابتني بعطاياه دين أنتطاع. وهو يتهمني بالقطرسة والكبر ، ليثأر لننسبه من رنشي!

ولا بد أن القاريء قد هدس أن القرار الذي كثب قد انخذته، والنبج الذي رغبت في انتهاجه ، لم يصادمًا عوى لدى السبد: اوفاسير . ولم يفلح كل ما كان لدى ابنتها من تجرد من النفم الذاتي ، في أن يمنع هذه الابنة من أن تنساق لتوجيهات أمها -ومن ثم قان " الدادثين ١١٥ - كما اعتاد جوفكور أن يسميهما ـ لم تكونا حازيتين دائما مثلي في رغض الهدايا 4 من ناهيتهما، ومع أن كثيرًا من الأنسياء كانت توارى على ، إلا اللي راست ما كان كافيا لأن يقنعني بالني لم أر كل شيء أ. . وقد عذيني هذا ، لا خشبة أن أتهم بالتواطؤ معهما _ وهو ما تنمات بانني بلاقيه عما تربيب سدوإنها بسبب الفكرة القاسية الني اوحي بها عجزى من أن أكون مناهب السلطان في بيتي ، وعلى نفسى ا ٠٠ ولقد رجوت ، وتوسلت ، وغضبت ،، دون جدوى !... ولقد صورتني الأم في صورة المتذمر الأبدى التأنيب والتوبيخ . ورباشي بأنتي بشاكس شرس ٠٠ وكانت لا تفتيا تتهامين مع اصفقائي . . كان كل شيء في بيتي محوطا بالقموض والاسرار ، الرغبة في معرقة هذا الرجل الغريب الأطوار ، الذي لم يكن يخطب ود احد ، ولا يحفل إلا بأن يعيش على منجمته طلبتا . سمعيدا . . وكانت هذه الرغية كافية لأن نجعل الحياة التي كلت انشيدها يستعيلة ، إذ لم تعد حجرتي تخلو من اناس كانوا بفدون ليسلبوني وقتى بمختلف الحجج . وعمدت النساء إلى الق حيلة السندراجي إلى موالدهن . ، وكنت كلما جانيت الناس ازدادوا إصرارا على ملاهتتي . ، ولم اعد اتوى على صدعم ــ بسبب الرفض _ كانت رغبتي في مجابلة القبر تستميدني -ولم أعد أحظى من يومي بساعة وأحدة لنفسى - يهما احاول!

وادركت إذ ذاك أن العيش في فتر وحسرية ، ليس دائبا بالسهولة التي بتصورها المرء ، نلقد شيئت أن أعبش على سهنتي ، ولكن الجمهور لم بشار الله وكانوا بينكرون النه وسبلة تامهة لتعويضي عن الوقت الذي كان بضبع على ، غاذا البدارا - من بشخصه (١) . ولم أعرف عبودية أكثر تسوة وإذلالا من هذا ، ولا رأيت له علاجا سوى أن أرقض جميع الهدايا . كبيرها وصغيرها ، دون بها استثناء لإرضاء احد ١٠٠ ولم يؤد كل هذا

١٩٠ بوليد بينيز " شخصية وردت في غراقت ؛ فابولي ؛ انتهيمة - برندي صاهبيا تبعة ذات ترتين ٢ وتد تضخم جسمه من أمام ومن هند ، وله أنف كينتار الدجاجة ، وصوت أجش حاد يتطلق في خفة ؛ أخلق ؛ ١٠٠٠ وهو يتجلُّ شرس ، صافت ، عربید ، بشاکش ب

ولكنى — انتاء للتعرض للعواصف دون انتطاع — لم أعد اجرؤ على الاستفسار عما كان بجرى ، ولقد كان التخلص من هذا الازعاج يتطلب حزما لم أكن الملكه ، إذ أنثى كنت أعرف كبف أصبح > ولكننى كنت لا أدرى كبف أقرن الصباح بالعمسل . . فتركت أصبح ، وظل كل شيء ماضيا في مجراه ؟

هذه المزعجات المسستيرة ، وهذه المضابقات اليومية التي كنت غريسة لها ، جعلت حق النهاية _ عسكني ومقامي في باريس من ابغض الأمور ، وكنت إذا ما سمحت لي مسحتي بالمروج ه وإذا لم انسق إلى هنا أو إلى هناك تحت إغراء معارق ، أقبشي وحيدا ، وأنا احلم بخطتي العظيمة في الحياة . وكنت اسطر بعض المحواطر ، مستعينا بمفكرة بيضاء وغلم من الرساص اعتدت أن احتفظ بهما في جيبي ، وهكذا دفعت بي المضابقات الخفية لحال اخترتها لفضي - إلى مبنة الأدب نبائيا ، غند رحمت الوذ بها فرارا من تلك المضابقات ، وهذا هو الدسر في أنفي بثثت كل مؤلفاتي الأولى - المرارة والضيق اللذين دهماني إلى أن أشغل نفسي بكتابتها .

وهناك عامل آخر ساهم فى ذلك . . غاننى حين اقتحيت بالرغم منى - فى المجتمع ، دون أن أونى طباعه ، أو أن أكون على استعداد لأن اكتسبها، قررت أن أتخذ لنفسى طباعا خاصة تغنينى . وإذ كانت حماقتى وحيائى المض - اللذين عجزت عن مغالبتهما - صادرين اصلا عن الخوف من أن تعوزنى آداب اللياقة ، ققد رأبت - لكى أشجع نفسى - أن أدوسر تلك الآداب ثحت قدى . وأحالنى الحباء إلى هجا، مقذع الذع ، وحرصت

على أن أزدري آداب اللياقة التي لم أتعلم كيف أمارسها ، ومن الصحيح أن هذه الغلطة تهشت مع مبادئي الجديدة ، غاذاً بها تكتسب سموا في عقلي ، وتتخذ مظهر الجسراة المنشقة عن الفضيلة . . واستعليم أن أذهب إلى القول بأنها بهدذا الشكل الجليل ، استطاعت أن تصهد شيرا - ولأبد أطول - مما كان مرتقا ، بطبيعة الحال ، لجهد مناقض لسجيتي إلى هذا الحد، ومع ذلك فاتفى كتت أسىء دائما الاحتفاظ بشخصيتي أله فيها بینی وبین نفسی ـ بوجه خاص .. بالرغمم مما داع عنی ف المجتمع من تغور من البشر - أوحى به مظهرى المدارجي وبعض الكليات التي تنم عن ذلك 1. وإذ راح أصدقائي ومعارق يقدرون هذا الدب الوحشى وكانه حمل ، وإذ راحوا بحدون من مخرباتهم فيقصرونها على الحقائق القاسبة ، العابة ، غانني لم اكن الملك قط أن أقسول كلمة لمجالمة وأحسدة ، لأي أمري، كان :

* * *

وادت قصة ٥ خراف القربة » إلى تالقى في المحتبع ، غام بعد في باريس رجل مرموق غوق ما كنت أنا ، ويرتبط تاريخ هذه القصة _ التي تمثل فترة من حياتي _ بعلاقات كنت قد أنشاتها في ذاك الحين ، وهذه تفصيلات أرى واجبا على أن اتفاولها ، لكي تفهم القصة حقى الفهم ،

کان لی عدد کیر جدا بن المعارف ، بید اننی لم اصطف منبر سوی صدیتین ، هما « دیدرو » و «جرم» . ونظرا لما اوتدت بن رغبة فی آن اجمع بن کل اولئك (خزا اندی مانن سدانش إليه دائما ، عقب تصرف منهم بالرقة واللباتة اسداه إلى في مناسبة ملفيفة القيمة ، ولكني لم انسبا البتة .

كان هذا الأب راينال صديقا حميما بالتاكيد . ولقد تسميني لى الدليل على ذلك ، حوالي الوقت الذي أما بصدده تقريبا ، وفي أمر بتعلق بجريم ذاته . إذ كان على علاقة وثيقـــة به ﴿ غلقد ظل « جريم » بعض الوقت على صداقة خالصة بالأنسة " قيل " 6 ثم إذا به نجأة يقدو عاشمة مدلها في هواها ، وان بنتزعها من « كاهوساك » . ولكن الصناء طردت هذا المتيم الجديد - وهي تقدّر بوغائها - فحمل الشباب الأمر محملا البياء حتى أنه فكر في الموت . وما لبث أن وقع بغتة قريسة لاغرب مرض سبع به امرق ، فقد راح يقضى غياره وليله في غيبوبة ، تظل خلالها عبناه منتوحتين - ونبضه منتظما - ولكن .. دلا كلاء - ولا طعاء - ولا حركة -. وكان ببدو احداثا ما ينم عن انه كان بسمع ، بيد أنه لم يكن يجيب إطلاقًا - ولو بالإشارة ! . . وكان _ إلى جانب ذلك _ غير منفعل ، ولا منالم ، ولا محموم . . وكان يبقى على هذه الحال ، وكانه ميت ! . وتشماطرت والراهب رأينال رعايته ، فكان الراهب _ نظرا لتفوقه على في متائة البنيان وقوة البدن ما بسهر اللبالي ، بينها كنت اعنى به في التهار . وكتا لا تفارقه إطلاقا ، فلا ببرحه أي مناحتي يصل الآخر . وجزع الكونت دى غرييز ، فاحضر له " سيناك " الذي قال _ بعد أن محصه خصا دقيقا _ الاعلة هناك - ولم يصف له دواء ، وكان إشفائي على مديني فن دين ، ني ن اراقب بإنعام محيا المعيب - علىحثه ستب يرجم وتأثيرات أن

الوثيقة لكل منهما ، لم تدع مناصا من أن بصيبح كل منهما صديقا حيماللاخر ، إذ أتنى جمعتهما معاه عادًا بهما بنسجمان، وسرعان ما غدا كل منهما أوثق حلة بالخفر منه بى أما ، وكان لا يعرب المارف ، لا يعرب المارف ، إذ كان اجنبيا وحديث عهد بالبلاد ، وله أكن يشتهى في أكثر من أن أوغر له عؤلاء المعارف ، ماتحت له صداتة ديدرو ، وصداقة جوهكور ، واصطحمته إلى دار السيدة ديدرو ، وصداقة جوهكور ، واصطحمته إلى دار السيدة ديرو من من بنونسو ، ودار السيدة ديبيناى ، دار البارون دوليا . الذي وجدتني مرتبطا به على الرغم متى تقريبا ! ، وغدا كل أصدقائي أصدقائه لم يصبح يوما صديقا لي ! ، واليكم ما كان إحدا من أصدقائه لم يصبح يوما صديقا لي ! ، واليكم ما كان يحول دون ذلك :

لا كان جمويم يقيم في بيت الكونت دى نوبيز ، الله كان يدعونا إلى الغداء هناك أحدانا ، ولكنتي لم اتلق غط اى دليسل على الود أو اللطف من الكونت دى غربيز ، أو السكونت دى على الود أو اللطف من الكونت دى غربيز ، أو السكونت دى شهومبيرج حـ قريبه الذى كان وشبق الألفة بجريه حـ أو من اى سخص آخر ، ذكرا كان أو أنش ، ممن كانت لجريه بيم علاقة، عن طريق هذين المسيدين ، وكان الوحيد المستثنى منيم ، عو الراهب « راينال » الذى اثبت أنه صديق لى ، وإن كان صديقا له ، والذى اعتاد أن يقده كيس تقوده لم - إذا دعت المحاجة ـ في كرم غير مالوف ، على أننى كنت اعرف الراهب راينال قبل أن يعرقه جريم نقصه بوقت طويل ، وكنت أميل

مِم ذلك مَان المريض ظل أياما عديدة دون هراك - ودون أن يتفاول حساء أو أي شيء ، اللهم إلا بعض الكريز المحفوظ ، الذي كنت اضعه على ليسانه بين آن و آخر ، و الذي كان يز درده في لهنة ، وفي ذات صباح بديم ؛ استيقظ جريم ؛ وارتدى شابه؛ واستأنف حياته العادية ، دون أن يحدثني قط ، أو يحسدث الراهب _ نبها علمت _ أو يحدث أي مخلوق عن هذه الغيبوبة العجيبة ، ولا عن العنابة التي اوليناه إياها طيلة استهرارها!

ولم بمر هذا الحادث دون ضجة ، نقد كان من الموضوعات المحبية حقا ، أن تؤدى قبيرة احدى غانيات الأوبرا ، إلى ال يموت رجل لقرط الياس ! . . واذاعت هذه العاطفة الرائعة صبت " جربم " في المجتمع ، هتى لقسد اشتهر بأنه ممجسزة الحيب ، والصداقة ، والوفاء ؛ في كانة الاعتبارات ، وحملته هذه النكرة مرمومًا ، ومكرما لدى المجتمع الراتي . وبنسدا تباعد على ، أنا الذي لم اكن بالنسبة له اكثر من تكادّ أو أدافاً... ورايت أنه على وشبك أن يقدو غريبا عنى ٤ فأحزتني ذلك ، إذ ان كل الشاعر المضطربة التي كان بتناهر بها . كانت عبن الشاعر التي خالجتني نحوه ، دون أن أنظاهر بها ، ولقد كنت مغتبطا لنجاحه في المجتمع ، ولكنني لم أكن أحب له أن بنسي الصدقاءه في غمرة هذا النجاح ، ولقد تلت له بوما : ١ اتك التهلني يا جريم ، وإتى لاغفر لك ذلك ، غاذا ما انته مقمدل النشوة الأولى ليذا النجاح الدوى ، وشرعت تتبين أنه غارة خ فاتى المل أن تعود إلى ، ولسوفه تجديل دوايا كمام عبدتنا لها في الأونة الحاضرة ، غلا تضايق للكاها اله ١٥٥٥ الما منا



و 11 لا تفارقه اطلاقا ، قلا يبرحه اي منا حتى يصل الآلوج

ولكننا وجدتا الغرصة لتبادل الحديث فترة بعد الغداء ، وكانت السيدة دبيناى قد حدثته على وعن أوبراى « عرائس الشعر اللطاف » . وكان « ديكلو » ذا مواهب عظيمة ، اسمى من أن تجعله بصدف عن حب الموهويين » ومن ثم غلب مال إلى ودعتى إلى زبارته ، وبالرغم من مبلى القديم (۱) ، الذي عززته المعرفة ، غان حبائى وكان ظلا بعوقانتي طويلا، حتى لم يبق ثهة ما بترينى إليه سوى لطنه وحفاونه ، على أنني نشجست بمجاهى الأول (٢) وبما يلغني من إطرائه هذا النجاح ، غقبت بزيارته ، وجاء لزبارتى ، وهكذا مدات بدننا روابط سنظل تجعلني اعتز به دائما ، وإليها وإلى شمهادة تلدى الصادق ولين بهعرفة أن الاستقامة والوفاء ، قد تقترن أحبانا بالنقانة الدين بهعرفة أن الاستقامة والوفاء ، قد تقترن أحبانا بالنقانة

ولقد كانت كثير من علاقاتى - التي نقل متاتة عما ذكرت ، والتي أنجاوز عن ذكراها هئا - نتيجة مرات لجاحى الاولى ، وقد دامت إلى أن قدر لفضول اصحابها أن برنوى ، فلقد كانت نفسى تتكتف على حقيقتها سريعا ، فلا يعود ثمة جديد يرى فيها بعد اليوم الاول للنعارف ! . . على أن بن النساء اللائى سعين إلى التعرف بى في تلك الآوتة ، امراة صارت اقوى صلة بى من سواها . تلك هى السيدة المركيزة دى كريكى ،

ما يحلو لك ، وسوف انتظرك » ، وقال لى إننى كنت على حق ودبر خطته على هذا النسق ، وانطلق في طريقه إلى نواية الشوط ، حتى أننى لم اعد أراه إلا مع الإصدقاء المشنوكين لكلينا !

وكانت دار البارون دولباح عى ملتقانا الرئيسى . تبل ان يرتبط ببدام ديبيفاى ارتباطا وثبقا . وكان المارون المذكور ابنا لرجل عصامى وقد اونى ثروة عظيمة جدا . غاستغلها استغلالا نبيلا : وغضح داره لاهل الادس والفضل . واستطاع بتنوره ومعرفته أن بملا مكانه بينهم ، وإذ كان على علاقسة بديرو منذ أمد طويل ، فقد سعى عن طريته إلى النعرف بي قبل أن يغدو اسمى معروفا . وصدنى نفور طبيعى عن أن أستجيب لتقريه غثرة طويلة . وقد سالنى عن السبب ذات استجيب لتقريه غثرة طويلة . وقد سالنى عن السبب ذات واستطاع أن ينقلب على توجىى في النهاية . لقد كانت نكبتى واستطاع أن ينقلب على توجىى في النهاية . لقد كانت نكبتى الكبرى دائما ، هى عجزى عن مقاومة الاطراء واللطف .

* * *

ومن حالات التمارف التي تحولت إلى صداقة بمجرد أ وجدت من حقى أن انشدها ، معرفتي بالسيد دبكلي ، ولقد انقضت عدة سنوات مذرايته - للمرة الأولى - في الاشيفريت، لدى السيدة ديبيناى ، التي كان على صلات طيبة بها ، ولم تحظ باكثر من أن تناولنا الغداء معا ، ثم رحل في البوي ذاته .

⁽۱) ميله الى كل من بيدى له اللطبه والمناه الله الله (١) ميله الى كان من بيدى له اللطبه والمناه المناه المن

AVT

معنا « جريم " مرد إلى هنساك(١١ . وكان الاستف ذا صوت يخب - كما كان بجيد العناء - ومع انه لم يكن علما بالموسيقي، إلا أنه كان يستطيع أن بحفظ دوره بدقة ، ومن لم فقد قصيد الونت ي ترديد الاغاني الثلاثية التي كنت قد وضعنيا في (ثمينونسو) ، كما لحنت اغنيتين أو ثلاثا جمديدة ، وضم و جريم ، والأستك كلماتها بقدر ما وسمهما ، ولست أملك أن ابتع نفسى عن التحسر على تلك الأغاني الثلاثيه التي وضعت في لحظات منعمة بالغبطة الخالصة ، والتي تركتها في ا غوتون ومعها جميع قطعى الموسيقية ، ولعل الأنسة دانسورت قسد النفذت منها اشرطة ورقية للغه شمرها . . على انهسا كالس جنيرة بأن نصان : فقد كانت ... في الغالب ... دة بقة الوزن . وحدث بعد إحدى هذه الرحلات القصيرة سوقد اغتبطت لرؤية د العبة ، منشرهة مسرورة . كما كنت أما الآخر مبتيجا ــ أن كتبت إلى الاستف خطابا شعريا ، نظمته في عجلة وفي غير عقاية ٠٠ وسيوجد بين أوراتي ٠٠

李米米

(۱) أشاف و روسو " التي هذا ، الاستدراك التالي ، و لا كنت تد كفنت هذا كفنت هذا و الدكور وقع في مع " جريد ، المدكور فأات صباح ، وقد اعتراضا تفاول المغداد عند عين (سان فاندريل (، فانتي لن امود التي هذا الصادف ، ولكنتي حين فكرت قيه حسوس على ببيت النبة في قرارة نلوه حسنها ، حريد كان ببيت النبة في قرارة نلوه حسنها تتذها فيها بعد بنجاح والع ، أ

ابنة أخ السيد « لوباييلي دى فرولاى » ، الذى كان سسنيرا لفرنسا في (مالطة) وكان الخوها سلفنا للسيد دى ونتيجى في السفارة الفرنسية في (البنسدقية ، ، وزرته عقب عودني من تلك المدينة ، . ولقد كتبت السيدة دى كريكي إلى ، غذهبت لزيارتها . . واستقبلتني في مودة ، وتناولت الفداء اديها بضم مرات ، وقابلت لديها كثيرا من الأدباء . . عنهم السمد سوران مرات ، وقابلت لديها كثيرا من الأدباء . . عنهم السمد سوران سيارتاكوس » و « بارثيفلت » وغيرهما مد الذي الصبح من ذلك الحين الد اعدائي ، لفير ما سبب استطيع ان اتصوره ، سوى اتنى احمل اسم رجل كان ابود قد اضطبدء بخسة وظلم .

ويرى من هذا ؛ أننى - كناسخ كان بينمى أن شيغل بمينته من الصباح إلى المساء - كنت اصادف كثيرا بن الشواغل التي كانت تعوق عملى اليومى عن أن يكون جد مربح وكانت تينمنى من أن أعنى العنابة الواجبة يما كان مصدرا لرزقى وكنت أضيع أكثر من نصف الوقت المتيتى لى ، في سحو أو كشط الاخطاء التي كنت ارتكبها فيها أنسخ ، أو في إعادة كتابته من جديد - وقد أدى هذا الازعاج إلى أن أصبحت لا أطيق باريس يوما بعد يوم ، وإلى حملى على أن أنشد الريف برغبة قوية . يؤما بعد يوم ، وإلى حملى على أن أنشد الريف برغبة قوية . يؤما بعد يوم ، وإلى حملى على أن أنشد الريف برغبة قوية . بدام لوفاسي على معرفة باستئها . وقسد استطعنا أن نديا مدام لوفاسي على معرفة باستئها . وقسد استطعنا أن نديا الأمر بحيث أنه لم يجد أي ضير في مقامنا في داره - واقد ذهب

دون أن ينتبض عُوَّادي ، عَقَد ظل سِنتَبِلنا ... « لينبيب » وأنا _ بسرور عارم . . وكنا الصديقين الوحيدين اللذين لد يحملهما منظر الآلام التي كان يعانيها ، على أن يناب الله إلى أخر ساعة في حياته . . والني لاذكر أنه لم يكن إذ ذاك ليقوى على النبيام الطعام - الذي اعتاد أن بأمر بتقديمه البقا - إلا بعينيه. ولا كان يطبق ابتلاع بضع تطرات من الشاي الخنبف ، ألا لِلْمُعْلَمِ فِي اللَّحْظَةِ التَّالِيةِ ! . . ولكن كم بن أوتات . . تبل تلك الآلام _ تضبتها في داره مسرورا ، مع النخبة التي اصطفاها ين الأمسدقاء : . . والمني لأضع على راس هؤلاء الراهب ه بريقو ١١٥٥ ، وكان تخصا لطيفا ، سلسا ، سطوم قلسه يا كان بكتب بن أشياء جديرة بالخلود ، ولا يبدي _ سواء ا مظهره أو في معشره _ شيئًا من ذلك الجو التاتم الذي فرضا على والنسائه . . والطبيب " بروكوب " ، وكأن " يعسوب صغير (٢) - ذا حطوة لدى النساء، و «بولانجيه» الؤلف انزعو، للتهتبلية الموسيقية الهزلية « الاستبداد الشرقي » ، وقد عمد قيما اعتقد _ إلى التوسع في نظريات « موسار » عن مدى عمر الدنيا . . أما بين النساء - عَادُكر السيدة - دنيدر " أبنة أخت ه خولتی » - التی کانت _ إذ ذاك _ طبية صافحة - ولم تكن

وكان لي ــ في مكان أكثر قربا من باريس ــ ملاذ أخــر يلائم مزاجي . . تلك هي دار السيد " موسيار " ، مواطني وقريبي وصديقي ، الذي أعد لنفسه مأوى غاننا في ا باسي ا ، تضيت غيه كثيرا من اللحظات الوادعة ، وكان السبد موسار تلجر مجوهرات . وكان رجلا سليم الذوق ، جمع من حربته شروة طبية . وروج 'بننه الوحيدة من السبد دي قالماليت ــ ابن صراف ومدير فقدق الملك _ تم استقر وابه الحكم على أن بهجر في أيام شيدودته التجارة والعمل ، ليتعم بالراحة والاستجمام غتره من الزمن ، بين هموم الحياه ونهايه الاحل . وكان « موسار » الطبيب فيلسوفا عبليا حتا ، نكان يعيش بلا هموم ، في دار بديعة ابتناها لنفسه ، وفي حديثة غناه ب عيا بيديه . وفيها كان يحفر قنوات أحواض هذه الحديقة ، الم على قواقع متحجرة ، ووحدها بكميات كبيرة إلى درجية أن خياله المتوثب لم يعد يرى في الطبيعة سوى تواتع ، حتى انتهى الهيرا إلى الإيمان الجازم بأن الكون لم يكن غير قو اتعالى واصبح لا يفكر دائبها إلا في هذا الأمر ، وفي اكتشاقه الفذ ، حتى أهاجته هذه الافكار ، واوشكت _ في النهاية _ ان تتخذ في راسه شكل تظرية _ اعنى خبلا _ لولا أن الموت تدخل في الأمر _ لحسن حظ عتله ، ولسوء حظ اصدقائه الذبن كانوا يعتزون به ، ويجدون في داره أبدع مأوى مه فانتزعه من بينهم ، متوسلا بأغرب وأقسى مرض . . ذاك هو تورم في معددته . كان دائم التضخم ، وكان بحرمه من الأكل ، دون أن يتبدى سبيه برغم طول العهد به ، ثم انتهى بموته جوما ، بعد سنوات عديدة من العذاب ! . . ولست الملك أن استرجع نهاية عبر هذا الرجل ،

¹⁾ الشتهر باسم ه الآب برياد ع ، واسبه الأمالي ، بريتو ديكسيل ، . وهو عولقه نصبة ، مانون ليسكو ، الخالدة ، وقد ولد في سنة ١٦٩٧ ومسات 1775 au d

٢ يعسوب : تنخصية أسخورية المرأد الله عا عالما السندسية عليلاية ، وقد عاش في حصر والسقع الشيخية، والأربع بهرير

وفي الصباح الثالي؛ نظمت على عجل بعض نماذج من الشمر، تثمثى مع هذه الفكرة ـ اثناء ما كنت اتريض وأتتارا المياه ـ ونستتها مع الالحان التي توافدت على راسي فسلال ذلك . وسطرت جميع هذه الأغاني ، في " صالون " ذي قبة ، غوق الحديقة . ثم لم اتورع عن أن أعرضها ــ أثناء تناول الشماي ــ على موسار والأنساة دوغيرنوا مديرة داره - التي كاتت بالغة الطبية واللطف حقاء وكانت القطع الثلاث التي دي في عجلة ، تؤلف الأقنبة القردية الأولى ، وهي ١٠ فن ٠٠٠٠٠٠٠ خادمي » م و « عراف القرية » م و « الحب يخشى على نفسه - ا .. ثم الثقائي الأخير : « أبدا لن أخطبك ، با كولان ١ ، النم ؛ ولم اكن أعول كثيرا على أن هذه المحاولة تستحق عشاء المني نبها . ولولا الاستصمان والتشجيع اللذين لقيتهما من كل منهماء لكنت خليقًا بأن القي قصاصاتي إلى النَّار ، ولا أعود إلى التذكير على الأمّل! . . ومن ثم مقد وجددتني متحمسا ، حتى أن « الدراما » اكتملت خلال سنة أيام ، غيما عدا بضمة سطور . . كما اللهي وضعت الفكار الموسيقي كليا ، علم يعد أيابي ما أعمله في (داريس) ، سوى أن أضيف بعض مقطوعات التالية ، وأن الملا بعض الحواثمي . وقد مرغت بسرعة من كل هذه - غلم تنقض ثلاثة اسابيع ، حتى كانت المناظر قد نسخت، ، وأصبحت مهيأة للعرض ، ولم يكن ثبة ما ينتصها سوى موسبقي الانتقال بن منظر إلى أخسر ، وقد قدر لها " ترجع الما ما منظر بوقت طويل .

قد زعمت لنقسها شيئًا من توقد الفكر . والسدة ا فاتلو ا التي لم تكن جميلة حدًا ، ولكنيا كالنت فاثنة ، وكالند : في كاللاك . . والسيدة " خالماليت " التي كانت تحقق المناء هي الأخرى ، والتي كانت ـ برغم هزالها ـ بالغة اللطف لو أنها خفقت من تظاهرها باللطف الله. هؤلاء كانوا صفوة والدندوة السيد موسيار بسيقريبا ب وقد كانت منجينهم لطبته بأن تلد لى ، لولا أن نظرياته عن التواتع كانت الذ ، حتى الدهب إلى القول بالمني عكفت لسنة أشهر على العمل في مكتبه . في در اسة هذه النظرية ، باغتباط لم يكن يقل عن اغتباطه :

وكان يلح ـــ من زمن طويل قبل ذاك ــــــ و ـــــــ و كانت كفيلة بأن تصلح حالي الصحية ، وكان بلحاء في را الراء . على داره لكي أتفاولها . وقد "نجيجت آخم" له نبر البران تفسى ــ بعض الوقت ــ من ضجيج المدينة ، تقالت ق اياسم الهائية أيام أو عشرة ، أقدت منها كل الفائدة . يغضل إقامتي في الريف ، أكثر مما هو بغضل تفاول تلك المياد . وكان "موسورا بيوى العزف على الكمان الكبرة، ويشغف بالوسيق الإيطالية. وفي ذات مساء ، أطلنا الحديث _ قبل أن ناوى إلى بخادعنا -في هذا المجال ، وتكلمنا بوجه خاص من " أوبرا بوغا " . "نني رآها كل منا على حدة _ في إيطاليا _ والتي أعصب بيا كل بنا إعجابًا بِالْغَا . . ولم أنم في تلك الليلة ، اشرعت أنك في ومسلة تمكنني من أن أتيم فكرة مثل هذا النوع من « الدراما " لفرنسان إذ لم يكن ثمة شعه بين " غراميات واجوند " وهذا النوعا"،

⁽١) كوميدية موسيتية عرضت في - الأوبرا - العاربسية في سنة -٧٥٠

سنة ١٧٥٢

اثارني وضع هذا العيل الادبي الفني . حتى الله نيلكني شوق عارم إلى سماعه ، وحتى أنني كنت على استعداد لأن أنزل عن كل شيء ، في سبيل أن أراه معروضًا أمامي ـ بالشكل الذي كانت اتمثله في خيالي _ في غرمة موضدة . كما ععلت « لولى » _ غيما يقال _ إذ شبيدت يوما مسرحية " ارميد " تمثل أمامها وهدها ، ولما لم يكن من الميسور لي أن أنعم ببذه المتعة إلا برفقة الجمهور ، فقد كان من الضروري ، لكي تمثل هذه الأوبرا ، من أن تلقى قبولا في دار " الأوبرا " . ولكنهـ - لسوء الحظ - كانت من نمط جديد كل الجدة ، لم ثالقه آذان الجمهور ، كما أن مشل ، عرانس الشعر اللطاف ، جملني أتوقع الممير ذاته للعراف(١) - إذا أمَّا تدبئها باسمى . وقد ساعدني « دبلكو » على الخروج من هذا المازق ، إذ تكفل بأن يسمى إلى إجراء تجارب على المسرحية ، دون أن يكشف عن اسم المؤلف . ولكي لا أنم عن نفسي ، غانني لم أحضر النجرية. وخُلُ كُلُ أمرى: .. حتى " الكمانيان الصغيران ١٣١٠ ، اللذان ثوليا الاخراج ـ يجهلان اسم المؤلف ، إلى أن تعد الاستحسان الملم بروعة المسرحية . ولقد ننن كل من سمعما . حنى أن

جبيع الأوساط لم تتحدث إلا عنها في اليوم التالى ، ولقد شيد السيد كورى _ مدير حفلات البلاط حد التجسرية ، غطلب المسرحية لتمرض في البلاط ، ولكن ديلكو _ الذي كان يعسرف تواياه فخشى ان يكون سلطانى على المسرحية في البلاط أقل منه في باريس _ رفض أن يسلمه إياها ، غعاد كورى يطلبها بحكم منصبه ، واحتدم الجدال بينهما ، حتى لقدد تطور ذات يوم _ وهما في « الأوبرا " _ فاوشكا ان يخرجا ليتبارزا ، لولا ان حل بينهما .

ورؤى الاتصال بي بشانها ولكنى تركت البت في ذلك إلى المسيد ديكلو - فكان لابد من الرجوع إليه . وتوسط السيد الدوق دومون في الامر - فراى ديكلو ــ في النهاية ــ ان من الواجب النزول عند رغبة صاحب السلطة ، وقدرت المسرحية لتمثل في المونينبلو . وكان الجزء الذي اوليته اعظم اهتمام، والذي نايت فيه كثيرا عن النبيع المالوف ، هو الإلقاء الغنائي . فقد نسق الالقاء سفى اوبراى ــ بطريقة جديدة تهاما ، بحيث يتمشى النغم مع إلقاء الكلمات ، ولكنيم لم يجسروا على ان يستبقوا هــذا التجديد ، إذ خيف من أن يصدم الآذان التي الغت الرئامة ، ومن ثم فانني وافقت على ان يضمع " غرانكويي» و « جيليوت » الحانا جديدة للإلقاء ، ولكنفي رغضت ان تكون لي يد في ذلك .

وإذ تم إعداد كل شيء ، وحدد يوم العرض ، اقترح على أن ارحل إلى (مُونَتَنِبُلُو) لاحضر التم حد دحم ، على انفذ . فقميت مع الآنسة " قبل " ، وجل مروض التم الأنسة " الله "

⁽¹⁾ أطلق روسو على عدد د الأوبرا » أمام « تواف الترية ؛ .

⁽١) لقب السنهر به ٥ رببيل ٥ و ٥ غراتكور ٥ اللفات كان يبهيمن الأخراب الموسيقي ٥ وتبادة الفريقة الموسيقية في ٥ الأوبرا ١١ ، وقد سببا بدلك ، الأنها احتادا في صباحيا ان يطوفا بالبيوت ، وهما يعزفان على ٤ الكيان ١١ .

اعترافات چان چاك روسو _ الجزء الثالب ١٨١ سيماه كانت تنم عن أنه رجل غاضل - كما كان وساء " صليب سدن لوى " - على صدرد - بوحى بأنه شابط تديم - ولتد البنائر باهتمامي بالرغم ملى ، وبرغم قمته في الكذب . وفيما كان بمضى في اكاذبيه، راح وجهي ينضرج خجلا ، وأخذت المنض بضرى واتململ في مجلسي - وكنت أسال نفسي أحيانا : أليس من الجائز أن يكون قد آمن بكذبه حتى غدا بظنه حتبقة ! . . . والخبرا ، السرعت بإفراغ قدح « الشيكولاته ، دون أن أنس بنت شفة ، وانا ارتجف خشبة أن بنعرف على أحد تبخطه ، ومررت بهجلسه وأتنا متكس رأسي وغادرت الذبر سدم ما استطعت ، بينما كان القوم ماضين في الحديث عما كار بصنه . ونتذت إلى الطريق وانا أسبح في العرق . ولو أن أحد عرفني وذكر اسمى قبل خروجي ، غائي أوقن بأنني كنت خليق بأن ابدى من الخجل والارتباك ما بيديه أي مذنب ، لجدد التبعور بالصغار الذي كان الرجل جدير بأن يشبيعر به إذا يا المتضيحت اكاذبيه !

وها انذا اصل إلى تلك اللحظات الحرجة في حباتي ، مان بي العسير أن اقتصر على مجرد الرواية ، لأنه من المستميل نقريما الاقتائر الرواية بشيء من النقيد أو التبرير - على أنني سلحاول أن أروى كيف تصرفت ، وعن أية بواعث صدرت في تصرفاتي ، دون أن أضيف ما ينم عن إطراء أو عن لوم .

تشى ذلك اليوم المقصود ، بدوت في تنسى الزي المهمل الذي الفته ، وقد نبت لحيتي ، وبدا تها رو ما شعار الله منسا وبعدًا المطبر الذي تباعن الليامة ، والمُشْرَام والدي المدالة - على ما اظن - في إحدى العربات الملكية . ولم بكن ثبة باس بالتجرية ، بل انتي كنت أكثر رضى عنها مما توقعت . وكانت الفرقة الموسيقية غوية . كثيرة النفو . مؤلمة من موسيفين « الأوبرا « والفرقة الملكية ، وقام « جيليوت » بدور - كولان . والأنسة " فيل " بدور " كوليت " ، و " كوفينيه " بستور العراف ، وكان المنشدون من * الأوبر' . و .. ب يم ملاحظات قليلة ، فقد تولى ﴿ جِيلِيوت ﴿ الآخر ﴿ - عَلَمْ اللَّهِ أَنَّ الْ أغرض سلطانا على ما فعل ، وبالرحم والنوي الروسام . عائني كنت في حياء التلبيذ إذا الفي نفسه وسط ال عدا القوم!

وفي أليوم التالي _ وهو بوم العرض _ ذهبت لاتناول الغطور في مقهى " الجسران كومون " ، غاذا به زاخر بالغاس ، وإذا الحديث بدور حول تجربة الليلة السابقة ، ونعذر الدخول إلى المسرح . وقال ضابط من الحضور ، إنه دخل بلا عناه ، واسعب في وصف ما حدث داخل المسرح ، كما وصف المؤلف ، وروى ما تاله وما نعله . والذي اذهلني في حديثه الطويل _ الذي القاد في بساطة واعتداد _ أنه لم بضم كلمة واحدا من الحقبقة! .. بل لقد تجلي لي تماما ، أن هذا الذي مكلم عن التحرية مليح، العالم ، لم يكن حاضرا البئة عقد كان هذا المؤلف ... الذي عال إنه رآه كما صوره - حاضرا أمام عينيه : غلم يتعرف علم ! . . وكان أغرب ما في هذه الواقعة ، هو الأثر الذي احدثته إ نفسى . فلقد كان ذلك الرجل كبير السن . ولم يكن بلوح عليه غرور الخيلاء ، ولا الزهو . سواء في مظيره أو ليجته . بل أن ولا مستهجها . وكذلك اللحبة _ في حد دانها _ ما دامت الطبيعة هي التي تخلعها علينا ، ، بل إنها مظهر من مظاهر الزينة احيانا . كما نتم تطورات مستحدثات الأناقة . وقد يراني التامن مضمكا ، أو سفيها ، ، حسنا ، وفيم يهمني هذا ؟ ٠٠. يجب أن أتعلم كيف أعرض عن ضحك الناس أو عن نقدهم . يا ديت لا استحقها ١١

 وشيعرت معد هذه المناجاة القصم قبالثقة تماودني ، إلى درجة كانت كاللبة لأن تجعلني حرينًا . . وهو ما كنت بحاجة إليه . على اتثى لم ار في الفضول الذي تعرضت له ، --وى مِعْلِيرِ للأَدْبِ والجَمَّاوِقَ ، سواء كان مِردِ ذلك الراي إلى ناشير وجود العاهل ، أو إلى التصرف الطبيعي الذي أبداه أولئك الذين احاطت بي تلويهم . . وشعرت بالتأثر ، حتى أنفي بدأت الحسن بالقلق ــ من جديد ــ على نفسى وعلى مصير مسرحيتى، خشمة أن أقضى على ما ربما كان لدى القوم من آراء سلبقة في مالحي - كان بعدو لي أنه لم يكن ينقصها سوى التصفيق. وكنت قد تذرعت ضد سخريتهم - ولكن عطفهم لل الذي لم اكن اتوقعه ــ طغى على كل الطغيان ، حتى اننى رحت ارتجف كالطفل ، عنديا ابتدا التبثيل !

وسرعان ما تبينت أن ليس 🕁

على الشجاعة ، دخلت القاعة التي كان من المنتظر أن يعد عليها الملك والملكة والاسرة الملكية والحاشية بأسرها ، يعد تليل . وتقديت الحلل مكاني في المقصورة التي قادني إليها السيد دي ا كورى » . . وكانت عي مقصورته . مقصورة واسعة . . ق مواجهة مقصورة اخرى ، أصغر منها حجما ، واكثر إنفاء ، جلس فيها الملك والسيدة دي بومبادور . ولم يداخلني شك ي أننى أجلست كذلك ، لكي أبدو واضحا ، إذ كنت الرجل الوحيد أيام متصورة اللك ، وقد احاطت بي السيدات . وعندما أوقدت اضواء المسرح ، وجدئني - في ملايسي ثلك - وسط توم في أوج الأثاقة ، نمدأت السعر بضيق وحرج . وسائلت نفسي عما إذا كنت في المكان اللائق ، وعما إذا كنت في الثياب اللائقة . وبعد لحظات من الحرج ، أجبت نفسي عن هذا التساؤل في جراة لعلها أنبعثت عن استحالة التراجع ، أكثر ميا سبت عن قوة حججي : « أجل » : . . وقلت لففسي : « إنني في المُكان اللائي بي ، ما ديت قد جئت لاشيد تمثل مسرحتني . . رادًا كنت في ثيابي المعتادة ، ولست في أفضل أو أقل مما القت : أما ذلك إلا لأننى دعبت ﴿ وَلاَنْنِي الْفَتَّ هَذُهُ الْأُوبِرِ الْبُدَّا الْغُرْضِي محسب ، ولأنه _ غوق كل شيء _ ليس هناك من بقوقني حدارة باستمراء ثهار جيدي ومواهبي ولو أنتي عدت الي الخضوع للراي العام في أمر واهد ، غسر عان ما سأصبح عبدا للرأى العام _ في كل شيء _ من جديد . اما إذا شفت أن اشت على نهجى ، نبن الواجب الا اخجل ... اينما أكون ... من أن ارتدى ما يتلاءم مع ظروف الصاة التي اخترتها لنتسى - ان مظهري الخارجي بسبط وغير مثانق ، ولكنه ليس قدرا ،

ولمكن هددًا الشعور كان قصير الأجل ، إذ انتي سرعان ها استسلبت تباها _ ودون أي تحفظ _ لنشوة بذاق بجدي. ومع ذلك عاتى أومن بأن الشبوة الجنسسية كانت _ في تلك اللحظة _ أكثر أثراً من غرور المؤلف في هذه النشارة ! . . فمن المؤكد انه لو لم يكن ثمة غير الرجال هف ور نا ناججت في تفسى الرغبة الملحة في أن أتلقى بشيفتي الدموع السذمة التي تبييت في أنسيابها : . . ولقد شهدت تمثيليات أثارت من نويات الإعجاب ما كان اشد مما رأيت في هذه الليلة ، الكني لم اشهد تَمُّ نَشْمِهُ فَي مِثْلُ تَدَمَّقَ ، وفي مثل بِعاء ، وفي مثل ثاثير هذه التي استولت تماما على النظارة ، لا سيما وقد كانت هذه أولى المرات التي تعرض نبيها المسرحية ، ولا بسيها وأنها كانت ععرض في البلاط الملكي . ولا بد أن الذين تسهدوها إذ ذاك ، لا يزالون خكروشها ، تقد كان تأثيرها قدًا !

وفي الليلة ذاتها ، أوغد إلى السبد الدوق دومون ، من أنبائي بان أكون موجودا في القصر - في الساعة الحادية عشرة من الصباح الثالي ، وبأنه سيقدمني إلى اللك ، وأضاف السيد دي كوري ــ الذي حمل إلى الرسطلة ــ أنه من المعتقد أن ثمة اقتراحا بمنحى معاشما - وأن الملك أراد أن يعلنني بذلك بنفسه! . . في ل مما بصلق أن الليلة - التي أعقبت بوما ين الإشراق ، كانت ليلة هم وحيرة ؟ ﴿ ﴿ وَهُ الْمُؤْكِلُونَ وَ مُوالِدُهُ الْمُؤْكِلُونَ وَ مُعْلِمُ الْمُؤْكِلُونَ

المسرحية جد سيء من تاحبة المثلين ، ولكن الغناء كان جبد . والموسيقي حسنة الأداء ، ومنذ المشيد الأول - الذي كان مؤثرا في بساطته هقا للسيعت في المقصورات تبقية الدهائي. واستحسانا لم يسمع من قبل في مثل هذا النوع من التمثيليات. وما لبث التحمس المطرد أن بلغ ذروته ، حتى أنه تنشى في جميع النظارة ، وأن ضوعف أثره بغضل هذا الآثر ذاته ، كما ينبعي أن يقال بأسلوب " مونتسكيو " ، وقد بلغ هذا الأثر اوجه ي المشمهد الذي دار بين الشخصين الصغيرين المساذحين ، ومن المعتاد الا يصفق أحد قط ، في حضور الملك ، وقد ساعد هذا على سماع كل شيء بوضوح ، مما أغاد التمثيلية والمؤلف. وسمعت حولي همسات نساء كن بلحن لي في جمال الملائكه . وهن يقلن بعضهن لبعض : « هذا غاتن ... هذا خلاب ! ... ما من نغم هنا إلا وينبئق من الثلب ! » . وهزئني لذة التأثير على كل هؤلاء القوم الراقين ، حتى انطلقت دموجي- غلم استطع أن أكبحها في الأغنية الثنائية الأولى ، إذ الحظت التي لم أكن الوحيد الذي بكي أ . . ومرت بي لحظة ، رجعت نبيا إلى نفي إذ تذكرت الحفلة الموسيقية التي اقيمت بدار السيديي " تريتوران » ، واحدثت هذه الذكري في نتسى شعور اكتسعور العبد الرقيق الذي كان يرضع الناح نوق رؤوس المظفرين (١) .

⁽١) عادة كانت يتبعة في مواكب النصر لدى الرويان -

ادراكي للشرف المتاح لي من مثل هذا العاهل العظيم ؟ . . كان

لابد لي من أن ألف بعض الحقائق الطبلة والناغمة ، في غلالة

من الثناء الجميل البارع ! . . ولكي أتمكن من أن أعد _ مقدما _

جو با موفقا . كان لابد لي من أن أعوض بالدقة ما بمكن أن

بقوله لي اللك . . وكنت واثقا _ بعــد ذلك _ من الني لن

استطيع أن استحضر في وجوده ما أكون قد اعددته ! ٠٠٠ غماذا

يكون شائي ، في هذه اللحظة ، أمام أعين الحاشية كلها - إذا

الله منى الله عمرة اضطرابي ، بعض سخافاتي العادية أ. .

لقد روعتى هذا الخطر وأزعجني ، وجعلتي ارتجف وأنا أعقد

المزم على الا اعرض نفسي له - مهما تكن المواقب ال

هذه الخواطر السالفة ، تتمثل في حاجة ملحة إلى الخروج ١١١٤ كبدتني في المساء ذاته عناء كبيرا أثناء التبثيل ، وكان بن المكن أن تعذبني في اليوم التالي ، عندما أكون في بهو اللك أو في جناحه ، انتظر بين كل أولئك العظماء مرور الملك ! كان هذا الداء هو السبب الرئيسي الذي حملني على نجنب الاجتماعات: والذي منعني من الإطمئنان إلى النقاء في غير فية مغلقية لدي السيدات ، وكان مجرد التفكير في الموقف الذي قد تقصفي نيه هذه الضرورة ، كافيا لأن بحسرجني إلى درجة تحسلبني إلى الإغماء ، إن لم يكن إلى نضيحة كثت خليقا بأن أوثر عليها الموت ، ولا يدرك الجزع من التعرض لخطر كيدًا ، سب ي أولئك الذين عرفوا مثل هذه الحال!

ورحت _ بعد ذلك _ أتصور نفسى ماثلا أمام الملك . . . القدم إليه ، فيتثرل ويتف ليحدثني . ، وهنا لا بد بن سرعة الخاطر وحضور البديهة للاجابة ، أفكان حياني اللعبن _ الذي اعتاد أن يضايقني المام اقل المغمورين مد ليهجرني المام ماك المرنسا ؟ . . وهل يدعني أحسن اختيار ما ينبغي أن يقال . في التو ١٠٠ ووددت لو السنطيع ــ دون أن أتظى عن المظهــر واللهجة القاسيين اللفين اعتدت الظهرور بهما ـ أن أبدى

ومن الصحيح أننى نقدت الماش الذي عرض على بعسقة غير رسمية ، ولكنى - في الوقت ذاته - نجوت من الجور الذي كان مقدرا أن يفرضه على . . الا وداعا للمقيقة ، وللحرية ، وللشجاعة ! . . كيف كنت أجرؤ _ بعد ذلك _ على أن أتكلم بحربة ونزاهة ٢٠٠١ لم يكن لدى سوى أن اتبلق ، أو أن أصبت، لو اللي تبلت هذا المعاشل ، ثم - منذا اللذي كان بضحمن دمعه إلى ٤٠، وأية خطوات كان على أن أتخذها ، وأي أناس كنت مضطرا إلى أن اداهن ؟ . . كان الاهنفاظ بهذا المعاشي خليتا بأن يكيدني أكثر مها يكيدني الإستفناء عنه من حرص -وأكثر من الكثير من المصابقات الله الما أثير فالد الله عد مالم

⁽١) يقصد الخروج لقضاء حاجة ، ولعانا تفكر أنه كان يتعرض للوبات يكثر عيها بن الثيول .

رايت مركبة تعترض طريقي إلى الباب . وأشار إلى شخص في المركبة بأن أصفد إليها - فصفدت - وإذا يهــذا الشخص عو ا ديدرو ا ، وحدثني عن المعاش في حرارة ما كنت أتوقعها من فيلسوف في مثل هذا الموضوع ، ولم ير جريمة في الا اكون راغبا في أن أقدم إلى الملك ، ولكنه رأى أن مدم أكتر إثي للمماش جريمة منكرة ، وقال لي انتي إذا كنت لا أهنم بالمعاشر من أجل نفسى ، غليسي من حقى أن أكون كذلك من أجل السيدة لوغاسم وابنتها ، فإن من وأهمى ألا أحرمهما من أبة وسيلة ممكنة وشريفة لتيسير اسباب العيش لهما ٠٠ وبما أنه لم يكن من المكن أن يقال ... برغم كل شيء ... انني رغضت هذا المعاشر. فقد اصر على أن من الجدير بي أن أطلبه، وأن أحصل عليه بأي ثين ، ما دايت ثبة نية للحي إياه ، ومع اللي تأثرت لتحبسه، إلا أننى لم استطع أن أقر مبادله ، غدار بيننا جدال محتدم حول الموضوع : كان أول جدال دار بيننا . ولقد كانت كل خلافاتنا _ التي اعتبت ذلك _ بن نفس النوع ، إذ كان يملى على ما كان يزعم أن من الجدير بي أن أقعله ﴿ في حين أنني كثب أرغض في حزم ، لانني لم اكن اوين بانه واجب على !

وكان الوقت بتأخرا عنديا اغترقنا ، غرغبت في أن اسطحيه للعشباء لدى السيدة دببيناي ، ولكنه لم يكن راغبا البنسة . . مبالرغم من أن الجهود التي كانت الرغبة في الجمع من أوالك الفين أحبيم تدغعني إلى بقلها من [🗷 🐠 ١٥٥٥] الساء

إذ ارفضه إنها أتخذ قرارا يغطيق اشد الانطباق على مبادئي . واضحى المظهر في مقابل الواقع ، ولقد أقضيت إلى جريم بعربي 4 علم يعارضني . أما بالنسبة للآخرين . ققد تعالت بصحتى ، ورحلت في نفس الصباح :

واثار رحيلي نبجة ، وعيب على بوجه عام . نما كانت حججي لتلقى تقديرا لدى الناس جهيعا ، وسرعان ما انهمت بالصلف ، مما أرضى _ للتو _ غيرة أولئك الذين شمعروا بأنهم ما كانوا ليتصرفوا كما تصرفت ! . . وفي اليوم الثالي . كتب إلى " جيلوت " مُطابا عصل فيه نجاح تبثيليتي ، والشبغف الذي أبداه الملك تقسمه بها ، وقال أن جلالته لم بكف طيلة النهار حن الغناء - بأنكر صوت في مبلكته - برددا : ٥ لقد فقدت خاديي . لقد اضعت كل هفائي ! » . . واردف أن « العراف » ستعرض مرة ثانية بعد اسبوعين ، مبا سيعزز امام عبون الجمهور كله النجاح الباهر الذي كلل العرض الأول !

وفيها كنت الج دار السيدة دبيبتاي _ في الساعة التاسعة مساء ، بعد يومين _ حيث كنت مزمما أن أتفاول العشهاء ، الخلح فى إغرائه على زيارتها . . بل إنفى ذهبت إلى ابعد من هذا ، إذ حسحبت السيدة إلى بابه ، قرفض أن يفتحه لنا ! . . كان يعزف دائما عن لقائها ، ولم يكن يتكلم عنها قط ، إلا فى ازدراء بالغ . . وما تآلف الاثنان إلا بعد خلاق مع كل منهما ، وإذ ذاك ، بدا بتكلم عنها باحترام !

ومنذ ذلك الحين - لاح ان ديدرو وجريم كانا بحاولان أن يؤلما " الدادنين الا على ، وأن يفيهاهما أنهما إذا لم تكونا في رضاء، غانها كان مرد ذلك إلى سوء نيتى ، وأنهما لن تصبيها منى أى خير قط أ . . ولقد حاولا أن يحملاهما على هجرى، ووعداهما بأن يحصلا لهما بغضل السيدة ديبيناى على رخصة لهيم الملح، وحانوت لبيع التبغ ، وما لست ادريه كذلك ! . . بل المها رغيا في أن يستدرجا ديلكو ، كما استدرجا دولباخ - إلى محالفتها، ولكن الأول راح يرفض باستهرار . وكانت لدى إذ ذاك بعض طنون عن هذا الندبير ، ولكننى لم أحط به بجلاء إلا بعد ذلك برمن طويل . وكثيرا ما أكون على حق إذ أرثى لذلك التحمس برمن طويل . وكثيرا ما أكون على حق إذ أرثى لذلك التحمس من شاتى _ وأنا معلول ، وفي أشد حالات المزلة الكليبة _ ظفا من شاتى _ وأنا معلول ، وفي أشد حالات المزلة الكليبة _ ظفا التي من شاتى _ وأنا معلول ، وفي أشد حالات المزلة الكليبة _ ظفا التي من شاتى _ وأنا معلول ، وفي أشد حالات المزلة الكليبة _ ظفا التي من شاتى _ وأنا معلول ، وفي أشد حالات المزلة الكليبة _ ظفا التي من شاتى _ وأنا معلول ، وفي أشد حالات المزلة الكليبة _ ظفا التي خير ما يؤدى إلى إنعاسى ، في الواقع !

سنة ١٧٥٢

مثلت مسرحية " العراف " في باريس ، في عيد المرافع الكرتفال التالي ، أي في سفة ١٧٥٣ . وكنت قد محد وقتا كانيا _ في تلك الأثناء _ لوضه ما المرافق الألكان



رأت وركبة بعرض طويقي الى الياب ، وأشار الى تنخص في المركبة بان أصعد البها .

التي تتخلل الشاهد - وكان لا بد لهذه الالحان ــ كها وضعت وكتبت _ من أن تشيع حركة في التمثيلية ، من أولها لأخرها . وان نجعل منها في مجموعها _ في رأيي _ لوحات جد مستحدة. ولكنني حين عرضت الفكرة على « الأوبرا » لم ألق مستمعا واحدا ، غاضطررت إلى أن انسج سلسلة من الإغساني والرقصات، بالطريقة المعتادة. وكانت النسحة أن هذه الإلحان وإن لم تضر بتاثير الشاهد - إلا أنها لم تلق سوى نجاح متوسط برغم انها كانت زاخرة بالأنكار البديعة . ولقد حديث الالحان الالقائية التي وضعها ٥ جيليوت ٥ - واحلات حلها الحانا مر وضعى ، هي تلك التي كانت موجودة في الأصل . عادا بها تد اكتسبت شيئا من الصبغة الفرنسية . . كسا اعترف _ واقصد بذلك الطريقة التي كان يلتيها بها المطون - إلا نما: تؤذ سهم أهد ، يل أنها كانت ناجحة من الناهية الموسبقية -كما اعتبرت كذلك مدمن ناحية النظم مدحتي لدى الجهيور . وأهديت التمثيلية إلى السيد « ديكلو » الذي رعاها ، واعلنت أن هذا سبطل الاهداء الوحيد . على الني كتبت إهداء لشخص آخر مد بموافقة السيد « ديكلو » نفسه مد ومع شلك غانه ولابد تد وجد أن هذا الاستثناء قد زاده هو تكريما !

ولدى عن هذه التبثيلية حكايات كثيرة ، ولكن نبة أبور أكثر أهبية لا تدع ضرورة ذكرها وقتا أنفته في تلك . على أنني قد أعود إليها يوما ! في " الملحق » . وإن كنت _ مع ذلك _ لن أغلل واقعة معينة قد يكون لها أثر في كل ما أعتب ذلك من الهدأت . فلقد اطلعت ذات يوم ، في مكتب الدارون هولساء .

على موسيقاه ، وبعد أن شهدت كثيرا من القطع ، قال لي وهو يريني مجموعة من الألحان على المعزف : « هاك تنطع لحنت من أجلى خصيصا ، وهي مليئة بالذوق ، صالحة للفناء ، وليس هناك من عرف بها أو رآها سواي . مُخليق بك أن تختار واحدة متيا تدسها في الألحان التي تتخلل مشاهدك : « . . و لما كان فعنى زاخرا بموضوعات اللحان و السيمفونيات النفوق ما كان بوسعى أن أقيد منه ، غانتي لم أبد كثير احتفال بالحاته . على أنه راح يلح على بحرارة اضطروت معها إلى أن انتقى إحدى أغانى الرعاة ، فاختصرتها وحورتها إلى قطعة ثلاثية تليق بالشبهد الذي يلج نيه رخاق « كوليت » (١) المدرح ، وحدث بعد بضعة السهر حدو " العراف " ما تزال تعرض _ أن ولجت بوما غرفة " جريم " ، وإذا بنفر من الناس بصطرن بمعزفه ، وإذا به هـو ينيض عن المعزف في تعجـل ، ببجرد وصولي . وانجه بصرى - بحركة آلية - إلى حامل " النونة " الموسيقية، قرأيت مجموعة البارون دولباخ بالذات مفتوحة عند القطعه التي ألح على في أن آخذها ، مؤكدا أنها لن نخرج من يديه قط! وبعد ذلك ببعض الوقت ، رابت المجموعة ذانها مندوحة ، على معرف السبدة دببيتاي ، في يوم دعت فيه بعض الأصدقاء إلى تدوة موسيقية في دارها . ولم يتحدث جريم أو أي شــخص آخر عن هذا اللحن ، وما كنت أنا القول عنه شيئا ، لو لم يشع بعد عليل : النبي لم أكن مؤلف " عراف العربة " . ونظرا الانني لم أكن يوما عازها ماهرا - عَانَي أوقن أنه كان مِن المعتبل ان

يقال انتى لم أكن أعرف ثبينًا عن الموسسيقي ، لولا " قاموس الموسيقي, » الذي كنت قد وضعته(١) .

ولقد حدث قبل إخسراج ١١ عراف القسرية ٨ بغترة من الزين ، أن وصل إلى باريس بعض المثلين البزليين الإيطائيين تدعوا إلى التبثيل في " الأوبرا " دون أن يخطر بعال ما كان مقدرا أن يترتب على ذلك . وإذ كانوا سيىء النبثيل ، وكانت الفرقة الموسيقية إذ ذاك من الجهل بحيث قضت - غم حافله -على لذة القطع التي كانت تعرِّقها ؛ فانهم الحقو! بفن الأوبر! الفرنسية ضررا لم يتسن تعل إصلاحه . ذلك لأن الفارق بس هذين التوهين من الموسيقي(٢) ، اللذين كانا يسمان في الدار ذاتها ، في يوم واحد ، غتم الآذان القرنسية ، علم تعد تطبق بطء الموسيقي الني اعتادتها ، بعد الوضوح والنشاط اللذين المتازت بهما الموسيقي الإيطالية ، مما كاد المهرجون الإيطاليون بنتيون من مرضهم ، حتى كان الناس يبادرون إلى الانصراف . مرؤى أن من الضروري تغيير نظام العرض ، وإرهاء المثلبن الهزليين إلى النهاية ، معرضت « أيجليه » ، و «بيجماليون» و (الجن ١/٢)) ولكن أيا بنها لم تستطع أن تستوى على

ساقيها . ولم تصهد لمقارنة سوى « عسراف القسرية » ، إذ قوبلت باستحسان فاق " الوصيفة »(١) الإيطالية ذاتها . وكان ذهني ملينًا ... عندما وضعت المشهد الذي بين غصصلي شيليتي - بالحان تلك المسرحية الإيطالية ، فاستعرت بعض المكار منها . شير الذي كتت ابعد من أن اتوقع أن النقد في هذه الناحبة ، ولو اننى كلت ممن يسطون على إنتاج الغم ، مكم من سرقات كان يجب أن تتكشف ، وكم كان هناك بن الشوقين إلى أن يعنوا بابرازها ! ولكن شبئا من هذا لم يحدث ، وقد شاعت هباء كل المحاولات التي بذلت للعثور في إنناهي الموسيقي على اتفه اثر من موسيقي سمدواي . . كما أن كل أغاني كانت تبدو _ إذا ما تورنت بالأغاني الاصطبة الني كان يزعم أنني ا كُذَتِهَا عِنْهَا مَا جِدِيدة ، جِدةُ الطابِعِ المُوسِيقِي الذِّي ابتدعته. ولم أن ا موندوغيل » أو " رأمو " تعرض لمثل هـ ذا الفحص والمقارنة لخرج مقه مهلبلا 📒

ولقد اكتسب المثلون الهزليون للموسيقي الإيطالية مستمعين حد متحمسين - فاذا باريس بأسرها تنقمه إلى فرمقين - راها يتجادلان في عنف وكأنيما بصدد مسالة متعلقة بالدولة أو بالدين. وكان اتواهها نفوذا ، واكثرهما عددا ، بتألف من العظماء ، والأغثياء ، والنساء ، وبتشبث بالموسيقي الفرنسية . ، أما الآخر ــ وهو أكثرهما همية ونشاطا وتحمسا ــ فكان يتألف من

Mari - Serva Padrona m الإيطالية تمرضها -



190

⁽١) با كنت لأحدس على الاطلاق ، أن هذا سيقال فيها بعد - برغم وجود < القابوتس » أ

⁽٣) موسيقي الأوبرا الفرنسية ، وموسيتي الأوبرا الايطالية -

Eglé, Pysmalion, Lesylphe (t)

فنانين حقيقيين ، ومن أكفاء ونوابغ . وكانت عصبة تجتمع في دار « الأوبرا » ، تحت مقصورة الملكة ، بينما كان الغريق الآخر يملاً بقبة الصحالة ، ولكنه كان ينخذ مكان اجتماعه الرئيسي ، نحت مقصورة الملك . ومن هنا جاء اسما الحزبين الذين الشتهرا في ذلك الحين : « ركن الملك » ، و « ركن الملكة » . وادى الخلاف به إذ احتدم به إلى إصدار متشمورات . قاذا شماء « ركن الملك » أن يهزا ، سخر منه « النبي الصغر » ، وإذا أقدم نفسسه في جدال ، افتحته «رسالة في الموسيقي الفرنسية» . وكانت هاتان النشرتان هما الوحيدتان اللتان كتب لهما البقاء في هذه المعركة ، أما النشرات الماتية فقد مات . . وكان

بيد أن "النبى الصغير" نللت تنسب إلى طويلا .. في إصرار مرخم إنكارى ، وكانت تحرر باسلوب فكه ، ولا تجشم محررها الله عناء .. في حين أن " رسالة في الموسيقى " كانت نبيل إلى الجد ، وقد أثارت ضدى الأمة باسرها ، إذ خيسل إليها أنها .. ممثلة في موسيتاها .. قد أهينت ! .. وأن وصف الأثر الذي احدثته هذه النشرة .. والذي بفوق ما بصدقه العقل .. لجدير بقلم " تاسيقوس " (1) .. وكانت تلك فنرة الصراع الأكبر بين البرلمان ورجال الكهنوت .. وكان البرلمان قد أوقف عن البرلمان ورجال الكهنوت .. وكان البرلمان قد أوقف عن الاجتماع ، وبلغت قورة السخط ذروتها ، واخذ كل شيء ينذر

« جريم » يحرر الأولى > وأنا أحرر الأخرى !

بانفجار وشيك أ. وما ان ظهرت النشرة ، حتى انصرفت الخواطر لتوها عن المعارك الأخرى ، ولم يعد ثبة تفكير في غير الخطر المحتق بالموسيقي الفرنسية ، ولا عاد ثبة هباج إلا ضدى أنا . بل أنه كان بن الشدة بدرجة ان الأبة لم تفق منه أبدا . ففي البلاط ، لم تعد ثبة موازغة إلا بين " الباستيل » والنفي ، وكان بن المحتبل التعجيل بأبر التبض على ، لمو لم يفلح السيد دى قوييه في إيضاح ما في هذا من تصرف أخرق ، وقد بظن القارىء أنني أهرف ، حين يترا أن من المحتبل أن هذه النشرة حالت دون تيام ثورة في الدولة ، ومع ذلك عان هذه الحتبتة واتمة ، لعل باريس بأسرها تشهد بها حتى اليوم ؛ إذ لم يمض بعد على هذه الواقعة العجبية خمسة عشر علما(۱) .

* * *

وإذا كانت حريتى لم تصادر ، غاتنى لم أعف من أدنى الإهانات ، بل أن حيلتى أصبحت في خطر ، كأعدت غرقة الإهانات ، بل أن حيلتى أصبحت في خطر ، كأعدت غرقة موسيتى « الأوبرا » مؤامرة شريفة (أ) لاغتيالى أثناء مغادرتى المسرح ، وقد نميت إلى ، غلم تزدنى إلا قرددا على «الأوبرا»، ولم أعرف إلا بعد ذلك بوقت طويل ، أن السيد « أنسيلو » — الشايط في غرقة الفرسان — الذي كان يكن لى مودة ، قد أنسد عند مبارحتى الأوبرا — دون أن أشعر ، وكان أول استغلال لنظام إشراف البلدية على دار الأوبرا ، هو حرمانى من الدخول ، وأن يحدث

 ⁽۱) گورتولیوس تاسیدوس ، کاتب وسعام ذاع مسیته فی انداریخ افزوسانی وقد عاش قیها بین سنتی ده و ۱۲۰ بعد المالاد وله بولفات تاریخیة عدیدة .

ولم يكن لدى إزاء هذا سوى قسرار واحد ، هو أن أسترد تمثيليتي ما دمت قد حرمت الجزاء المتفق عليه . ومن ثم كتبت إلى السعيد دارجنسون ١ الذي كان يتولى إدارة « الأوبرا » ، وأرفقت رسالتي بمذكرة لم أكن قد تلتيت عنها ردا ، فظلت المفكرة من وكذلك الرسالة مندون جواب ودون رسالة ، ولقد ظل صبت هذا الرجل الظالم راسمًا في فؤادي ، ولم يساعد على تنبية التقدير الضيئيل الذي كنت دائما احسب نحو شخصيته ونحو مواهبه . وهكذا احتفظت «الأوبرا» بتهثيليتي وسطيتني الجزاء الذي كنت قد نزلت في مقابله عن حقوتي لميها. وعندما يحدث هذا العمل من الضميف نحو التوى ، غانه يمتير مبرقة م، أبنا إذا حدث من القوى نحو الضعيف ذيو ليس يسوى انتفاع بما للغير وحسب !

أبما الكسب المالي الذي دره هذا العمل الفني . مُهم أنه ليم يرق إلى ربع ما كان يدره على أي مؤلف سواي ، إلا أنه كان _ بالنسبة إلى _ من الضخامة بحيث أنه كان كانبا لأن يمكنني من العيش عليه سنوات عدة، وأن يعوضني عن عبلي في التسخ، اذ أن هذا العمل كان كاسدا على الدوام . مُلقد ثلت مائة «لوى» من الملك ، وخمسين من المسيدة دي بومبادور ـ عن عرض التبثيلية في (البيل في) ٤ حيث قابت هي ننسها بدور كولان ... وخمسين من " الأوبرا " ، وخمسمائة من " بيسمو " مقابل نشرها . . أي أن هذا العبل الثانوي ، الذي لم مكلفتي سوي عمل خمسة اسابيع أو سنة ، در غني من القنود ما م سر، حظى وبرغم غبائى - ما بعادل مالار تبيتني مشابيل مرامش الذي

ذلك بأشد الأساليب المنيفة . . أي يمنعي علقا من الدخول بدون « تذكرة » . بطريقة اضطرتني إلى ابنياع « تذكرة » في الشرفة العليا للدار (١) ، لكي اتقادي عار الرجوع دون دخول، في ذلك اليوم . وكان الظلم صارحًا جدا ، إذ أن الثبن الوحيد الذي تقاضيته عن أوبواي ، عندما نزلت ليم عنها ، هو حق الدخول ــ دون مقابل ــ طبلة العمر . ذلك لأن هذا وإن كان حقاً اعتاد أن يحظى به كل المؤلفين - ومن ثم فقد كان استحقاقي إياه مضاعفًا - إلا أننى حرصت على اشتراطه ، بحضور السيد ديكلُو ، ومن الصحيح انشى تلقيت ــ عن طريق خزانة الاوبرا ــ خمسين « لوى » كمكلفاة شرفية لم اطلبها . . وغضالا عن ان هذا البلغ لم يكن بعادل ما كنت استحقه وفقا للوائح، قاندنمه لم يكن ذا صلة البتة بحق الدخول دون مقابل ، الذي طالبت به رسمياً ، والذي كان أمرا مستقلاً تماماً عن الموضوع!

ولقد جمع هذا التصرف بين عدم المساواة والفظائلة الجائرة، حتى أن الجهبور _ الذي كان في أوج عداوته لي _ لم يحجير عن ايداء استنكاره جهارا وبالاجماع ، وصاح كثيرون - من كانوا بسيونني في اللبلة السالغة _ بأعلى أصواتهم في دار « الأوبرا » ، بأن من العار أن يحرم من حق الدخول ـ وبهذا الأسلوب _ مؤلف بستحقه عن جدارة ، بل وله أن بم حب مِمَّهُ شَخْصِينَ بِالْمِانِ ، وهكذا صدق المثل الإيطالي التائل : " بعرف الصديق في المحبّة » .

Ogn'un ama la giustizia in casa d'altrui

 ⁽۱) أدنى الدرجات في المسرح ، و المتعلق الثياثرو » ،

1.7

دون أن يهلك _ برغم ذلك _ أن يعين إساءة واحدة ، أيا كان نوعها ، بدرت منى نحوه أو نحو أى أمرىء كأن يبتم بأبره . وهكذا انتهى إلى أن حقق تنبؤاتى وهواجسى ! . ، أما أنا . ماعنقد أن أصدقائى المذكورين كانوا على استعداد لان يغفروا لى تأليف الكتب _ وأن تكن كتبا رائعة _ لأن هذا المجد لم يكر غريبا عنهم ، بيد أنهم لم يكونوا يغتفرون لى أن وضعت أوبرا ، ولا أن لتى هذا المعمل الادبى النفى نجاحا بأهرا ، لأن أحدا منهم لم يكنه من أن ينهج عين هذا النبح ، ولا أن يطمع في عبن ما نلت من تقدير وتكريم ! . . كان ديكلو وحده هو الذي مسها خوق الغيرة ، بل أنه بدا أكثر مودة لى ، واصطحبني إلى

* * *

دار الانسنة «كينول »، عيث لغيت رعاية ، وأنسا ، وملاطفة،

بقدر با المتقدت في دار السيد دولباخ !

استفرق منى عشرين عاما في التنكم ، وثلاثة في التاليف! . . على أنثى دمعت ثمنا عاليا؛ في مقابل الكسب المادي الذي احدثه على هذه التمثيلية . . وقد تبثل هذا الثين في المضابقات التي لا نهابة لها ، والتي ترتبت عليها . إذ كانت هذه النبثيلية بذرة الاحقاد الخنية الناشئة عن الغيرة ، والتي لم تتكشف إلا بعد ذلك بوقت طويل ! . ، ولم أعد _ مئذ نجاحها _ اجد من جريم وديدرو ، أو من أي من الأدباء الذين كنت أعرفهم ــ فيها عدا القليل - الحفاوة والصراحة وحسس المعاشرة التي كنت أخالني قد عثرت عليها لديهم من قبل . واصبحت لا أكاد اظهر في دار البارون ، حتى بكف الحديث عن أن يكون عاما ... وينجم القوم في مرق صغيرة ، ويدور التهايس ، بينها اظلل وحيدا لا أجد بن أبادله الحديث . . ولقد تحبلت طويلا هـــذا الانفضاض عنى، ولما كنت أرى أن السيدة دولباخ _ التي كانت لطيغة وحفية _ قد ظلت تكرم وفادتي باستبرار ، غانتي رحت التبل جنوة زوجها بتدر ما كانت هذه الجنوة محتملة . ولكنه في أحد الأبام تحرش بي دون داع ، ودون ميسرر ، وفي غلظة بالغة : في حضور ديدرو ، الذي لم يئبس بكلمة ، . وفي هضور مارجنسى ، الذي كثيرا ما أعرب لي ... منذ ذلك الحين ... عن إعجابه بالهدوء والاعتدال اللذين السحمت بهما إحاباتي . . وانتهى الامر إلى أن طردت من منزله بفضل هذه المابلة المهنة، منفرجت منه وقد عقدت العزم على الا أعود إليه إطالتا . على أن هذا لم يمنعني من أن أتحدث بأمانة واحترام عنه وعن منزله ، في هبن أنه لم يفكرني دائما إلا بعبارات حاقدة ، جارعة ، غما وصفتي مرة إلا بد " خادم المدرسة " الصغير .

اعترافي _ واعتقد أنني ـ في هذه المنابة _ لفيت في الكلام زهوا يغوق ما كنت خليقا بأن أجده من حياء زائف لو أنني للت بالمسب ! . . على أننى _ إذ تبينت أن لا شك هناك في ان النمثيلية قد تروق كمادة للمطالعة ، وإن كان التمثيل قد شوهها _ عملت على طبعها ، وبدأت في المقدمة ... التي كانت من خير ما كتبت ــ أكشف عن مبادئي في صراحة ننوق قليالا کل ما فعلت من قبل .

وسرعان ما منحت لي نرصة الإقدام ــ في غير ما تحفظ ــ على عرض هذه الماديء في مؤلف أدبى عظيم الأحمية . عُلاهم حدث في ذلك العام (١٧٥٣) ... على ما أظن ... أن انخذ عمل ديجون من موضوع « منشاع عدم المساواة بين البشر » مادة لبرنامج مسابقته ، وعزني هذا الموضوع العظيم ، وأذهلني أن حرق المحفل على عرضه للمباراة . على انه إذا كان تسد أوتى هذه الشجاعة ، تقد رايت أن بوسعى أن أونى الشجاعة على الخوض نيه . . وشرعت في ذلك .

ولكى أمْكر في هذا الموضوع العظيم ، وأمَّا مرتاح الخَّاطر . قيت برطة إلى (سان جيربين) + حيث قضيت سسبعة أبام او ثمانية ٤ مع تيريز ومضيفتنا _ التي كانت امسراة طيبة _ وإهدى صديقاتها . واني المسب هذه النزهة بين أحب ما تمت به من نزهات في حياتي . . وكان الجو جيلا ، وقد اضطلعت هاتان المراتان الطيبتان بالمطالب والله المراتان الطيبتان بالمطالب والله بصحبتها . أما أثاء غقد خلوت بن المجانب

ولقد أعجب بتهثيليتي الفكية « تارسيس » ، واحد على عانته ان يعمل على إخراجها دون إعلان اسم مؤلفيا ، وهصل لي س في الوقت ذاته _ على ترخيص بالدخول ، دون متابل ، سررت به كل السرور . إذ كنت دواما أوثر المسرح الفرنسي على المسرحين الأخسرين (الأوبرا ، والإيطالي) ، واستقبلت الثمثيلية باستحسان ، برغم أنها قدمت دون ذكر المؤلف ... بيد أن لدى ما يحملني على أن اعتقد أن المثلين ، وكثيرين غيرهم ، لم يكونوا يجهلونه . ولقد قامت الأنستان «جوسان» و " جرانفال " بدوري العاشين . ومع أن الأداء اسفر عن نقص في البراعة ، إلا أنه _ بوجه عام _ لا يمكن أن بوصف بأنه سيء تماما ، على أنني دهشت _ وتأثرت _ لما تبدي من استغراق الجههور ، إذ راح يصغى في صبر وهدو، ، من اول التمليلية إلى تفرها ، بل وسمح بعرضها مرة ثانية ، دون أن ييدى أية بادرة تنم عن ملل ا

لها أنَّا ، عَدْد بِلغَ مِن ضِمِري _ في العرض الأول _ انتي لي استطبع الحث إلى النهابة ، فقركت المسرح وذهبت إلى متهي (دی بروکوب ۱ - حیث وجدت « بواسی » وبعض الآخرین: الذبن يحتمل أن يكونوا قد ضجروا مثلي . وهناك ، اعلنت فشلى بصوت عال ، معترفا في شجاعة وتواضع بأننى مؤلف النهئبلية ، ومنحدثا عنها بها كان الجميع يرونه غيبا . ولقد لقى هذا الاعتراف العلني من مؤلف تمثيلية رديئة ساقطة . إعجابًا قويا ، حتى أنه بدا لى أقل ما يكون إيلاما ! . . كذك وجدت جزاء لمواطفي الصادقة في الجراد التي المديث بها على

وأدي هذه النزهة وهذا الشمماغل إلى تحسسن مزاجي وصحتى . إذ كنت منذ عدة سنوات معذبا باحتباس البول ، وقد استسلمت نهانبا للأطباء ، فاستغزفوا قواى ـ دون أن يختفوا علتي .. وهدموا بنيتي . ولكني عندما عدت من إسان جيرمين ! وجدت مزيدا من التوى 4 وشعرت بكثير من التحسن . وتبعث هذه البادرة ، مُعقدت العزم على أن أشعفي أو أن أموت دون معونة الاطباء أو المقاتير . وودعتهم إلى الأبد ، وشرعت اعيش ليومى ، استريح عندما اعجز عن المشى ، وأسير بمجرد إن إيلك القدرة على النسم ، وكانت الحياة في باريس ، بين قوم أدعياء محين للبظاهر ، لا تروق لي . . كان تعصب الأدباء

البيك ، وهذا الجو القائم اللذين لم يستمرا بعد أن توقف من ترجيعي . . قالجز، الشائس بالفيلسوف الذي حد أذنيه - خلال احدى تقاط الجدل - حتى يكتسب مثالية دون أنات يجل أن محتة ، من أسلوب ديدين عا وقد أمدلي مكثير غير هذا البين؛ . ويتومه شدة > حتى أنني لم أثو على حمل ننسي على استعماله . عنى التي عزوت ظك الروح التاتية الى با جرى له في " زنزانة ؟ مانسين ١٠٠ وال

ابتهاجهن في أويقات الوجيات ، متخففا من كل هم . وكنت أتقي بقية النهار موغلا في الغابة ، حيث أخذت أبحث ، وحيث وجدت صورة العصور الاولى و فرحت أتعتب التاريخ خلالها في جرأة ، مهوتًا من ثبأن أكائيب البشر التائية . . وتجاسرت على أن أكشف طبيعتهم ، وأنعتب سير الزمن والأسسياء التي شوهت هذه الطبيعة ء ، ومالتارنة بين الإنسان _ كما صنعه الانسان ب والانسان كما صفعته الطبيعة ، كثيفت له _ . كباله المزعوم - عن المدر المتيقى لصائبه وشيقائه . وارتفعت روحي _ وقد انتشت بهذه الناملات السامية _ إلى مقربة من مقام الربوبية ، غاطلت من هناك على أقراني من أيناء البشر ، وهم يسيرون عميانا في طريق الأباطيل والأوهام . وطريق الخطائهم ؛ ومحتهم ؛ وجرائمهم . ، ورحت أصبح بصوت واهن ما كانوا ليمستطيعون أن يسمعوه : " أيها الجمتي ، الفين لا يكفون عن الشكوى من الطبيعة ، الا اعليوا أن كل مساولكم إنها تنبثق منكم ! » .

وكانت نتيجة هذه التأملات : ٦ حديث في عدم المساواة ١١ ، وهو مقال صادف هوي من نفس ديدرو ، خاق كل ما صادنته كتابائي الأخرى ، وقد أولائي نصيحة بشانه ، كانت أندع النصائح(١) ، ولكنها لم تجد في أوربا كلها من القراء من أدركها

⁽۱) علق الا روسو » على حدًا ، بقول : • لم يكن لدى - في الوقت الذي كتبت قيم هذا ــ أي حدس عن مؤامرة فيعرو وجريم الكبري ، والا لكنت شب رأيت بدمولة كيف أستغل الأول ثنني ؛ لكي يخلع عنى كتاباتي عذا الأساوب

وتحزبهم ، ومنازعانهم المخزية ، وانتقارهم إلى لنقاء الذي يتجلى في كتيهم ، والمظهر المترفع الذي يخدعون به المجتمع . . كل هذه كانت بغيضة إلى نفسى ! - . وما اتل ما وجدت عن رفق وسلامة قلب وصراحة في الانصال بالناس ، لا سيما اصدفائي! . . حتى لقد عانت نسبى هذه الحياد الماخبة ، واخذت أتيق في رغبة صادقة _ إلى الإقامة في الريف ، ولما أم اجد أي ابل في أن تمكنني مهنتي من الاستقرار هناك ، رحت المسارع إلى أن أمن مقضاء بضع الساعات _ الذي نست المسابع أن أمر عبد من المحل _ هناك ، واعتدت ، لمدة الشهر ، أن أخر - للربائد وحيدا _ عقب الغداء في بداية الامر _ في غابة ، برنونيا . وحيدا _ عقب الغداء في بداية الامر _ في غابة ، برنونيا . وبوط الليل !

من سنة ١٧٥٤ إلى سنة ١٧٥٦

رأى «جوفكور» — الذى كانت علاقاتى به فى أوج توثنيا إذ ذاك — أن لا بد له من الرحيل إلى (جنيف ب بحكم عله ، فعرض على أن ارافقه فى هذه الرحلة . ووافقت على ذلك . وإذ لم اكن بصحة جيدة استغنى معها عن عناية «الدادة»، نقد تقرر أن تكون معنا فى الرحلة ، وأن تتولى أمها حراسة البيت ، وأعددنا عدتنا على أن فرحل نحن الثلاثة بعا ، فى أول بونيو سنة ١٧٥٤

(۱) يتصد تيريز .

وجدير بي أن انظر إلى هذه الرحلة على أنها ففرة التجربة الأولى التي صادئتني خلال سنى عسرى الاثنتين والأرسمين _ إذ ذاك _ والتي تبهتني إلى ثلك الغطرة المفعمة بالثقة التي قطرت عليبا والتي اعتدت دائما أن أسلم نفسي إليها دون با تحفظ ولا حرج . وكانت لدينا مركبة متوسطة ، راحت تقطع بنا الرحلة على مسافات جد تصيرة، دون أن تستبدل جواديها. وكنت كثيرا ما اهبط واسير على تدمى ، ولم نكد نقطع نصيف طريقنا ، جتى أبدت تبريز أعظم نقور من أن تبقى وحيدة في العربة مع « جومَكور » ، نما أن رغبت في الهيوط ... بالرغم من رجائها _ حتى هبطت هي الاخرى وسارت . وظالت الوميا وقنا طويلا على هذه النزوة ، بل ورحت أعارضها بشدة ، حتى رات نفسيا مضطرة _ في النهاية _ إلى أن نصارحتي بالسبيب . . و خيل إلى انني أهلم ٠ . وهويت من حالق ٤ عندما سمعت أن صديتي السيد دي جوفكور ، المسن الذي جاوز المستين ، والمصاب بالتقرس ، والمتهار البنيان ، والذي هدنه حياة اللهو والمبث . . صديتي هذا كان ببذل غاية جيده ؛ مذ بدأنا الرحلة ، ليفسد امراة لم تعد تسابة ولا جميلة ، امراة كانت لصديقه .. وكان يسمى إلى قلك باحط الوسائل ، وبادعاها إلى الخجل، حتى لقد قدم البها كيس نقوده . . وحتى لقد حاول أن يشر نزوانها بأن راح بقرأ عليها كتابا فاحشا ، وبأن أخذ يربها الصور الفاضحة التي المتلاب الكتاب ! . . ولقد القت تميز بالكتاب المنبيث _ مرة _ من العربة ، وهم في قيرة السفط والتا إن الرجل في أول يوم في الرحلة ؟ النَّهَا خُرِوبِ أَيُونَ مِ إِلَى

عليها به عدة مرات في خطاباتي ، ضارعا إليها أن نأتي فتعيش معى في كينة ، وتسمح لى بأن أكرس أيامي وأيام تيريز من اچل أن تحيل أيامها سعيدة ، ولكنها أبت أن تصسمى إلى متشبئة بمعاشها الذي لم تسحب منه شبينًا ، منذ أمد طويل ، برغم انه كان يدمع بانتظام . ووهبتها ــ مرة أخرى ــ تسلطا طنيفا من متودى ، يتل عما كان بنبغى أن أعطيها ، وأقل مما كان يجب أن أقدم لو لم أكن موقفًا تمام اليقين من أنها لن تفيد ینه بد « سنو » واحد ا

ولقد قابت _ أثناء مكثى بجنيف _ برحلة في (شابليه) . مجاءت لزيارتي في (جرانج كاتال ! . وكان يعوزها المال كي تواصل الرحلة ، ولم اكن أحمل معي ما كان لازما لها ، غار سلته إليها بعد ساعة ، يوساطة تيريز ، يا للمسكينة « ماما » ! . . مَلافكر دليلا و احدا جديدا ، على طبية تلبها : ذلك أنه لم يكن قد تعلى لها من حليها ، سوى خاتم صغير ، مُخلعته عن أصبعها لتضعه حول اصبع تيريز ، التي نقلته في النو إلى أصبع « ماما » من جسديد ، وهي تقبل تلك البد النبيلة وترويها بدموعها ! . . آد ! كانت تلك هي اللحظة المواتية لكي أسدد ديني ! . . كان خليقا مي أن أهجر الكل لأتبعها ، وأن ألازمها حتى ساعتها الأخيرة ، وإن أقاسمها حظبا ، مهما يكن ! . . ولكنى لم أغمل شبينًا من هذا القبيل ، فقد شمرت - وقد شخات عنها بغيرها -ان الرابطة التي كانت تثمد كلا له الماه التي الم

الفراش قبل المشاء - إذ كنت اعلني صداعا شعبدا - واستنفد الوقت كله _ وقد كان خلاله وحيدا ممها _ في محاولات وتصرفات أكثر لياقة بالحبوان المهتاج ، أو بالجدى ، منها برجل محترم ، ائتبنته على نفسي وعلى رفيتني !

يا للمفاجأة ! . . ويا له من ألم في الفؤاد جديد على ! . . ابقدر لى ، أنا الذي كان يؤمن حتى ذاك الوقت بأن الصداقة لا تنفصل عن كل المشاعر المستحبة والنبيلة التي تكميها بهاءها _ أن أحد نفسى لأول مرة في حيائي ، أقرن هذه الصداقة بالازدراء ، واسحب ثقتى وتقديري من رجل كنت احبه ، وكنت أعتتم النبي بحبوب منه 1 : . . لند اخنى التمس مسلكه المعيب عنى ؛ ولكى أتجنب إحراج تيريز ؛ النبتني مضطرا إلى أن أخفى عنه استيالى ؛ وإلى أن أدفن في قرارة فؤادى بشاعر ما كان له أن يعلم بها إطلاقًا ! . . غيا وهم الصداقة الوادع القدسى ، لقد كان جونكور أول من رضع نقابك لعبني ، وكم من أبد قاسية قد حالت - منذ ذلك الحين - دون هيوط عذا النتاب على وجهك ثانية !

وتركت جوم كور في اليون) ، لائخذ طريقي خسائل اتلب ا سافوا) ، إذ لم أتو على أن أمر - من حديد - على مقربة مِن " ماما " دون أن أو اها . ولقد رايتبا . ، ولكن ، با البي. . . في أيــة حسال ؟ بل في أي هوان ؟ : . . ما الذي تبقى لبا من صفاتها الأولى ؟ . . أفوذه هي السيدة دي فاران بعينيا ، التي كانت مثالقة ، والتي أوندني إليها استف بونفير ؟ . . لشد ما حزن قلبي ! . . ولم ار لها من مخرج سوى أن تترك إتليبها . ورحت الحف عليها في حرارة ، ودون جدوى ، مرددا ما الحجت

كان يتقصها الرجاء في أن أسنطيع أن أحيل علاقتي بهاما إلى شيء نافع لها ! . . ولقد بكبت حسرة عليها، ولكنني لم اتبعب . . وليس بين بواعث تانيب الضمير التي صادقتني في حياني، ما عي اشد ولا أبقى من هذا الباعث ! . . وأني لاستحق الوان العقاب الفظيعة التي لم تكف عن تعديبي منذ ذلك الحين . . غليتها تكفر عن جمودي ! ، . الجمود الذي تبدي في مسلكي فعلا ، ولكنه مزق قلبي في عنف ما كان ليحدث لو أن هذا القلب كان قليا جاحدا يوسا

كنت قبل رحيلي من باريس تد شرعت في صوغ إهدا، « حديث في عدم المساواة » - وقد غرغت منها في (شامبيري ! • وسنجلت تاريخ ذلك اليوم مقرونا باسم المكان ، إذ رايت أن من الاغضل الا اقرن التاريخ باسم باريس او جنيف ، كي اتفادي كل المضايقات . وإذ وصلت إلى (جنيف) ، اسلمت نفسى لتحميي وهيامي بالنظام الجمهوري . . هذا التحمس المستهام الذي قادني إلى هناك، والذي ازداد بالاستقبال الذي حظيت به. وفي غمرة المآدب والمجالمات التي أهاطئني بعا كل الأوساط. استسلمت بكل كياني إلى الغبرة الوطنية ، وقد اخطني أن أحرم من حقوقي كمواطن بسبب اعتناقي دينا بذاك دين آبائي(١) ، مُقررت أن أعود إلى هذا الآخي علانية ، ورابت أن الأنجيل

واحد لجميع المسيحيين ، وأن لب العقيدة ما اختك إلا باختلاف أولئك الذين التحموا انقسهم في تفسمسر ما كانوا عاجزين عن فهمه ، ولقد كان من حق الحاكم الفرد _ في كل بلد _ أن يعين ألبوب العبادة ، وأن يبت في مسألة العقيدة المعتدة . ، وبن ثم قان واجب الرعية أن يقروا العتبدة وأن بمارسوا اسلوب العبادة اللذين نص عليهما القانون . وكان طول اختلاطي بأهل البحث والدراسة أبعد من أن يزعزع إيماني، بل أنه عززه؛ لا سبما وأنني كنت أنفر من المفارعات والتعصب. ولقد ادت دراسة الإنسان والكون ــ في كل مكان ــ إلى إطلاعي على التضايا الرئيسية والعقلية الني توجهها . ولقد علمنني قراءة التوراة _ لا سيما الانجيل الذي انصرفت إليه عسدة سنوات - كيف ازدري التفسيرات الجوماء الدبتاء ، الني خلعها على تعاليم عيسى المسبح أناس ليسوا أهلا إدراكها على الإطلاق! . . ومجمل القول أن الفلسفة إذ قربتني من جوهـــر الدين ، صرفتني عن هذا الركام من قواعد الإيمان الزائفة التي حجيت عن الناس هذا الجوهر :

وكما كثت أومن بأن صاحب العقل المدرك ليس بحاجة إلى طريقتين يختار بينهما في الوصول إلى المسيحية ، مانني كنت اومن كذلك بان كل ما هو قاعدة ونظام _ في كل دولة _ إنما يدخل في نطاق التشريع والقانون . ومن هذا البدأ المعتول -الاجتماعي ، السلمي سـ الذي جز من من من المامي سـ الذي جز قامية _ انسابت هذه النتيجة : الله عنه أن الصحيف النات . | www.dvd4arab.com النتيجة : المنات السحيف النات .

⁽¹⁾ كَانَ * ووسو * قد تحول عن الكاتوليكية الى البروتسناتية في صياء-

الكرادلة - في هذه المناسبة - وللاجراءات الكريمة المنية التي صدرت من جبيع المستشارين والقساوسة والمواطنين ، حتى انتى - بدافع من الرجاوات الملحة من ديلوك الطيب ، ومن ميلى الصادق بوجه خاص - لم أعد افكر في العودة إلى باريس إلا لكي اتخلص من مسكني ، واسوى أعمالي البسيطة ، وأهد عملا للسيدة لوماسير وزوجها سايتيهما العوز ـ ثم أعود مع تيريز منسئقر في (جنبف) بتية أبابي ،

وإذ استقر رأيس على هذا القرار ، أرجات كل الشواغل الهابة ، لكي أهنأ باصدقائي إلى أن يحين وقت الرحيل إلى ماريس ، وكانت اكثر الوان التسلية إرضاء لي ، هي الطواف حول البحيرة في قارب مع ديلوك الأب، وزوجة أبنه ، وتبريزي. وتضيئا سبعة آيام في هذه الجولة ، في أبدع طقس عرفته ، وقد احتفظت بالفكريات الحارة للمواقع التي أطربتني _ عند الطرف الاتمى للبحيرة - وأوردت بعض أوصافها في العملويز الحديدة » عندها كتبتها بعد سنوات !

وكانت الصلات الرئيسية التي عقدتها في جنيف .. عدا صلني بديلوك الذي تحدثت عنه _ هي صداقتي للتس مرن ، الذي كنت قد عرفته في باريس من قبل ، والذي كانت لدى عنه فكرة طبية تنوق ما تبدى منه فيما بعد .. وصداتتي للسبد بردريو ، الذي كان - في ذلك الحبن - راعى أبرشيه رينية، واصبح اليوم استاذا للأدب ، والذي ساظل دائدا أتحسر على صحبته المنعبة باللطف والدعة ، والحكام كوندم في عمم هذه المعرفة ، كان عملا سليما . . و متالت المعادلة المالية . " .

أن من واجبى أن اكون برونستانتيا ، وأن أعود إلى دين وطني . وعقمت عزمي على ذلك ، بل انتي استشرت في ذلك راسي الأبرشيه التي كنت أقيم غيها ، والتي كانت خارج المدينة . . ولم أكن أرجو سوى الا اضطر إلى أن أمثل أمام مجمع الكرادلة . ومع أن المراسم الكنسية كانت حاسمة في هذا المدد . إلا أنه رؤى التجاوز عنها إكراما لي ، فعينت لجنة من خمسة أو سنة اعضاء ، لتتلقى إقراري بعقيدتي ، في جلسة خاصة . ولسوء الطالع ، شماء التس « بردريو » ـ وكان شخصا لطيفا ، ليذا، ربطتني به روابط من الود .. أن يلح على بأن من دواعي الغبطة أن القي كلمة في هذا الاجتماع الصغير ، وازعجني توقع هده الكلمة ، إلى درجة اننى ... بعد دراسة شفات بها ليل نهار لثلاثة أسابيع - أعددت خطابا قصيرا . . وارتبكت عندما حانت لحظة القائه؛ حتى اننى عجزت عن أن أنطق بكلبة واحدة بنه. . وتصرفت كأغبى تلاميذ الدارس! . . وتولى أعضاه اللجنة عنى الحديث ة ورحت أجب في على بـ 3 لا » و « تعم » ، ثم تبلت ق الطائفة 1 وردت إلى حقوقي كبواطن . . وكذلك أدرج اسبى في قائمة « الحرس الوطئي » الذي كان ينتاضي موارده من ابناء الدينة والطبقة المتوسطة محسب ١١١ ، ودعيت إلى اجتماع عَم عادى للمجلس العام؛ لتلقى اليمين من "السنديك" موسار ٢٠٠٠. ولقد تأثرت للعواطف الطبيسة التي أبداها لي المجلس ومجمع

⁽۱) فكن * روسى ، أنه كان ينيم خارج الدبئة - تكان شمه الى الحرس نوعا من التكريم له ،

السلميك ٣ هذا لتب كان يطلق على رئيس الهيئة .

T15

الذي كان أستاذا لعلم الطبيعة _ إذ ذاك _ ثم أصبح مستشمار! و « سنديك » ، وقد قرأت عليه رسالتي عن عدم المساواة __ بعد أن تجاوزت عن المقدمة والاهداء ... عبدا عليه أنه طرب لها . . والاستاذ « لولان » ، الذي ظللت على تراسل معه حتى وفاته ، والذي ذهب في ثقته بي إلى درجة أن عيد إلى بأن أبتاء يعض الكتب للبكتبة العابة . ، والاستناذ " قرنيه ١ ، الذي ادار لي ظهره - ككل الناس - بعد ان اريته الأدلة على ود وصداقة كانا خليقين بأن يمسا تلبه ، إذا كان لتلب رجل من رجال الدين أن يتأثر بشيء ! ٠٠ وشابوي ، الكاتب الذي خلف جومكور في العمل ، والذي رعب في أن يخلنه في الصداقة . وسرعان ما خلقه فعلا ٠٠ ومرسيه دي ميزيير ، وقد كان صديقا قديما لابي ، كما اثبت أنه كذلك بالنسبة لي ، ولكنه _ بعد أن كان قد أسامحق تقدير وطفه من قبل : ثم أصبح مؤلف! مسرهبا ومرشحا لمجلس المائتين _ تحول عن آرائه ، وعرض نفسه للسخرية حثى وأفته بنبنه . . على أن التعارف الذي وضعت غيه اكبر الملي ، هو تعارفي مع " مولتو ٥٠٠ وكان شابا توحى مواهبه وفكاؤه المناجج بمستقبل عظيم له . وقد اعتدت دائبا أن أشعر بعطف عليه ، برغم أن مسلكه نصبوي كثيرا ما يثير الربب ، وبرغم أنه كأن على علاقات ودبة بالد اعدائي . . على أننى _ برغم كل هذا _ لا استطيع أن أحد ننسى عن التطلع إليه كشخص يرجى أن بكون يوما هو الذائد من مذكر اتى، والمنتقم لي ، بوصفي صديقه ا

وفي غمرة هذه المتع والمرقهات ، لم أفقد ميلي إلى النزهات التي كنت انطلق ديها وحيدا على قدمي ، غلم اكف عن ممارستها . ، وكم مِن تَرْهَاتِ طويلة تَمِسُبِت خَلَالِهَا عَلَى ضَمَافَ البحمِ فَمَ لم بكن يبكث خلالها في رأسي _ الذي اعتاد العبل _ شيء من الهواجس . وكنت اقلب في ذهني أثناءها المشروع الذي كنت قد رسمته من قبل ، لكتابي : « المذاهب السياسية ، الذي لن البيث أن اتحدث عنه . . كذلك كنت أغكر في كتابة " تاريخ مَالِيهِ »(١) . . وبأساة شعربة لم يجردني موضوعها _ الذي لم یکن سسوی حیساة « لو کریسی ۱۳۱۷ ــ من الامل فی خنف الضحكات ، وإن كنت قد جرؤت على أن أقدم هذه المراة التعسة على المسرح مرة اخرى ، في وقت لم يكن من المحتمل فيه أن تمود حياتها إلى المسرح الفرنسي . كذلك حاولت أن أعالج موضوع « تاسيتوس »(١٢) ، وترجيت الكتاب الأول بن « التواريخ »... ولسوف توجد هذه الترجية بين أورائي .

^[1] الشيم * الفالية ع في الأراضي المسويسرية : في الوادر الأملي للهر ¥ 1300

إ؟) أموادً وومائية لا تثلث تنسما بأسا وكبدا عندما أغنصيها ابن حاكم. وفيع المستبد ، فأدت مأسماتها الى قيام النظام الجمهوري في روما سنة ١٥٠ تمل الميلاد ،

⁽۲) تاسیتونی کاتب یومانی اوردنا 🛶 🥶 🕞 💎 💮 و ﴿ التواريخ ي بن أشبح باللفاته ،

وفي غمرة هذه المتع والرفهات لم افقد ميلي الي التزهات التي كنت انطلق فيها وحيدا على قدمي .

اعترافات جان جالد روسو _ الجزء الثالث ١١١١٧ وبعد أربعة أثبهر من الإقامة في 1 حثيف) ، عبدت الي (باريس إ في شهر أكتوبر ٤ متحاشيا المرور بليون حتى لا التتي في طريقي بجوفكور ، ولما كثت قد قررت ... في تدبراتي ... الا أعود إلى (جنيف) إلا في الربيع التالي " فقد عاودت في الشناء عاداتي وأعيالي ، التي كان أهيها مراحمة النبخ التحريبية إ البروقات إ لرسالتي " حديث في عدم الساواة " ، التي كانت تطبع في (هولندا) ، لدى المكتبى ﴿ ربي ٣ الذي كنت تد تعرفت إليه في جنيف . ذلك لانه لما كان إهداء هذا الكتاب معتودا للنظام الجمهوري ، وكان بثل هذا الاهداء لا يروق للمجلس ١١) ، فقد انفظرت حتى أرى ومعه في حنيف قيال أن أعود البيا ، ولم بكن هذا الوقع في مبالحي ، بل إن ذاك الإهداء _ الذي لم توح به سوى أنقى العواطف الوطنية ــ خلق لى في المطس أعداء « كها جلب على غيرة بعض المواطنين ، فقد كتب لي السيد ■ شوبه » _ « السنديك » الأكبر : في ذلك الحبن _ رسالة موذبة ولكنها فاترة ، سنوحد في أوراتي ، في الملف ١١٥ » ، وتم (٢) و وتلقيت بن معض الخاصة _ وبينهم دبلوك وحالا بم _ تهاني قليلة ، كانت هي غاية ما جوزيت به ، غلم احد و احدا بن أنناء ١ جنبه ١ بشكر لي صادقا تلك الجينة المنبعثة ب التلب، والتي تبدو ملموسة في الكتاب ، ولقد صدر هذا الفتور كل من المعظوه . وأذكر أنني كنت أنثاول الغداء _ ذات يوم _ في دار المبيدة دوبان ٤ في (كلشي ١) بصحبة كروميلان ـــوزير الجمهورية (٢) _ والسيد دى « بيران » ٤ مقال هذا في صراحة

⁽۱) مجنس المالتين - اندي كان بمثالة

⁽٢) الوزير المغوض حجمورية حنيت في

مسموعة ، أن المجلس كان مدينًا لي بمكافأة ويتكربم عام • من أجل هذا الكتاب ، وأنه إنها يخرى نفسه إذا تصر في هذا . ولم يجرؤ كروملان ... الذي كان ضئيل الجسم ، أسود القلب ، دنيء المكر ــ أن يرد على ذلك في حضوري ، ولكنه نوى ضعه في حركة بشعة أضحكت السيدة دوبان ! . . وكانت الفائدة الوحيدة التي عادت على من هـــذا المؤلف ـــ إلى جانب أنتي ارضيت به غؤادي ـ هي لتب ١ المواطن ١ الذي خلعه على اصدقائي ، ثم حذا الجمهور حدوهم ، وما لبثت أن تتدنه عتب ذلك ، لفرط استحقاقي إياه ؛ على أن هذا النجاح الخابي ما كان لبحولني عن تحقيق أوبتي إلى (جنيف) ، لو لم تنظب على ذلك بواعث كانت ذات نفوذ توى على غؤادي ، غان السيد دبييناي كان رافيا في أن يضيف إلى قصر « لا شيفريت » حناحا كان ينتمه ، فأنفق في سبيل إنجاز ذلك ، ببالغ جسيمة . وقيها كنت ذاهبا - ذات يوم - مع السيدة ديبيناي ، اشاهدة عملية البناء مضينا في سيرنا إلى ما بعد الموقع بحوالي رمع درسخ . أى إلى متربة بن خزان مباه المتنزهات الملحقة بالتصر : في متاهمة غابة (مونمورنسي) ، حيث كان ثبة ببني صغير رشيق، أتيم ليكون مطيخا خلويا ، وقد الحق به كوخ صغير مهدم ؛ یدعی « لیرمیناج ۱۱۱) .

وكان هذا الموقع المنعزل ، الملائم بي ، قد ملك على حواسي عندما رايته للمرة الأولى ، قبل رطتي إلى جنيف ، وفي إعجابي به ، انبعثت منى هذه الكلمات : « آه ! . . يا له بن مقام بهيج با سيدتي ! . . ها هوذا ملاذ كأنما خلق لي ! » . . ولم تكترث

السيدة ديبيناي لقولي كثيرا ، في ذلك الحين ، ولكنني - في زيارتي الثائية ... دهشت عندما وجدت في مكان الطلل القديم: منزلا منغيرا ، يكاد يكون جديدا بأكمله ، وقسد قسم تقسيما بديما ، وأصبح جد مهياً ليكون مقاما السرة نضم ثلاثة أفراد! . . ذلك أن السيدة ديبيتاي عملت على إنشاء هذا المبنى في صبت ٤ وبنفقات جد ضئيلة ، ستخدمة في ذلك بعض العبال الذبن كانوا بشنغلون في التصر ، وبعض المواد التي كانت يتوغرة هناك ا

وعندها رأت دهشتي 4 قالت : " ها هوذا ملحؤك بادبي -نقد المترته بننسك ، وقد أنالتك إياه الصداقة ، عسى أن يضع خاتمة لتنكيرك الجائر في البعد عنى ! » . وما اعتقد أنني شمرت بوما بنائر أشد ولا أعذب مما شعرت به إذ ذاك ! . . وغسلت بدبوعي يد صديتني الكريمة ، وإذا لم أكن تد نخليت تبابها عن عزمي في تلك اللحظة ، فإن هذا العزم قد تصدع على الاقل! . . وأصبحت السيدة ديبيناي - التي ابت أز شهرم أمام رغبتي في الاستقرار في جنبه - شديدة الالحاء ، واستعانت بكثير من الوسائل المتباينة ، وبكثير من الأشخاص ، لكي تتغلب على . . بل انها ذهبت فيذلك إلى حد أن عبنت السيدة لوغاسم والنتها في خديتها . . وبهذا انتصرت في النهاية على إصراري. وإذ تتحيت عن فكرة الاستقرار في وطنى ، قررت ، ووعدت نأن أمَّيم في (ليرميناج) ، وبينما كان المبنى يجف ١١٠ ، تكنلت

١٠) كانت العادة ـ في ذلك العبد _ إلى العام الم

من بنائه ، ريشا بجف اللبن واللاط المستخدم بائه ، ريشا بجف اللبن واللاط المستخدم

السيدة ديبيناي بآمر الأثاث . ومن ثم قان المكان كان معددا تهاما للسكني في الربيع التالي .

وكان من الأشياء التي ساعدت كثيرا على أن أبت في الأمرة استقرار المقام بقولتيم ، على مقربة من جنيف ، فقد أدركت ان هذا الرجل كان موشكا أن يحدث انقلابا هناك - واننى خليق بان أجد في وطنى عين النقائص ، والمناهر ، والأخلاق التي كانت تنفرني من باريس ، ومن ثم غلا بد من النضال دون انقطاع، ولن يبتى لى من خيار في مطلكي سوى أن أكون أحد اثنين : إما متحفلتا متغطرسا لا يطاق ، أو مواطنا ردبنا جبانا ! . . ولقد ادى الخطاب الذي كتبه لي « فولتم قاعن كتابي الأخم ، إلى أن أشبع إلى هواجسى في ردي ، فكان الأثر الذي المدثنة إشارتي معززا لرايي ، ومند ذلك الحين ، اعتبرت جنبك في حكم النسائعة ، ولم أكن مخطئا في حدسي ، ولعله كان من الخليق بي ان اتحدى العاصفة ، لو انتى تمعرت ببقدرة على ذلك ، ولكن .. ما الذي كنت أملك أن أفعله _ وأنا وحيد ، هجول ، عيى -ضد رحل متكبر ، عَني ، بستند إلى مؤازرة الكبار ، ويجيد الكلام البراق ؛ وقد صار معبود النساء والشباب ؟ . . لقد خشيت أن أعرض شجاعتي للخطر ، دون جدوى ، غلم أنصت إلا إلى غطرتي المسالمة ، وإلى حبى للطمأنينة والخبول ، ، فهو إذا كان قد خدمتي إذ ذاك ٤ فإنه لا يزال يخدمني اليوم ، في هذا المضمار عينه ! . . ولو أننى أثرت المتام في جنيف ؛ لجنيت نفسى كثيرا من المحن والتعاسات ، ولكنى _ بكل ما اوتيت من حمية ومن غيرة وطنية ... اشك في انني كنت مستطيعا أن أتوم بعمل عظیم ، أو تاقع ، لبلادي .

وكان ترونشان قد استقر في جنيف حوالي ذلك الوقت ، غما لبت أن جاء إلى باريس بعد قليل ، ليقوم بدور الدجال(١)، وليتبلل ببعض كنوزها ، وما أن وصل ، حتى قام بزيارة الشيغالييه جوكور . ، وكانت السيدة دبييناي تواقعة إلى إن تستشيره شيخصيا ، ولكن الوصول إليه يدخلال صيغوف الجماهير ـ لم يكن ميسورا ، وهرعت إلى ، فاقتعت ترونشان مان يذهب لزيارتها ، وإذا بيما بعددان روابط صداقة عززاها _ فيها بعد _ على حسابي أنا ! . . هكذا كان نصيبي دائما ، فيا جمعت بين صديقين ــ كنت أعرف كلا منهما على حدة ــ إلا واتحدا ، دون توان ، ضدى ، ومع أنهم في المؤامرة _ التي دخلها آل ترونشان من ذلك الحين ، لكي يتحملا ببلادهما إلى درك المبودية _ كانوا يشعرون بعتت نحوى ، إلا أن الطبيب ظل طويلا بيدي لي آيات حسن النبة ، بل أنه ذهب إلى درجة أن كتب لي ، بعد عودته إلى جنيف ، عارضها على منصبا مخريا يضعني على راس المكتبة العامة هناك . ولكن رابي كان تد استقر ، غلم يزمزع هذا العرض عزمي .

وعدت _ في هذه الفترة _ أثردد على دار السحيد دولياس . . وكانت مناسبة ذلك أن الموت عددا على زوجته . كما عدا على السيدة فرائكويي - ابان إتامتي في جنيف - وقد حدثنى دبدرو _ إذ أشار إلى ذلك في خطاباته _ عن الحزن العبيق الذي نزل بالزوج ، قحرك الأسى فؤادى ، وتصرت

¹¹⁾ تبودوم ترونشان الطبيب السويسري إيرانكر (الدرقر جنيك) - ١٠٠٠٠ TVAT Rim cty.

عن اسرته البرمساله إلى التبر ، بمجرد أن حل بالكان تقريبا !

- ولم تأس زوجته وأطفاله عليه كثيرا ، ولكن تيربز — الني كانت بشفوغة بحبه — لم تجد قط عزاء لحدابها غيه ، ولم تصنح عن نفسها قط إذ تركته — وهو على شفا نباية اجله — يقضى أيامه الأخيرة بعيدا عنها !

* * *

وتلقيت في هذه الغثرة تتربيا ، زيارة لم أكن أرتتبها قط ، وإن كان صاحبها من أقدم المعارف ، وأعنى به صديقي « فينتور » ، الذي فاجاني ذات صباح لطيف ، عندما كان آخر شخص بخطر ببالى ، وكان معه زميل ، . وكم لاح لى أنه تغير! . . فبدلا من اخلاقه الكريمة السالفة ، لم اجد فيه سوى مظهر مقسود منحل ، متعنى من أن أكاشفه بدخيلتي . . أو لعل عيني لم تعودا كما عهدتهما ؛ أو أن الأمراط في العيث قد اطفاً ذكاءه ؛ أو أن كل تألقه السابق كان يعتبد على إشراقسة الصباء التي لم يعد محتفظا بها ! . . ولقد عاملته في غبر اكتراث تقريباً ، وانترقتا في نتسور ، ولكنه لم يكد ينصرف ، حتى أهاجت ذكرى الفتنا القديمة . . ذكريات صباى ، تلك الذكريات التي كانت في رونتها ، وفي بهائها ، وفي كمالها ، مقصورة على هذه المرأة الملائكية التي لم تكن ــ اليوم ــ أقل تغيراً منه . . عطيرانف واقاصمون ثلك الأوقات البائنة . . وذلك البسوم الشاعرى الذي تضيته في (تون) ، في براءة وطرب بين تلكما الفتائين الفاتفتين اللئين كان كل ما انصناجة على ، مبيد عبلة على البد ، ولكنها خلفت _ مع ذلك _ حسر في الهدة المه الم

- في نفسي - على هذه الراة الطيبة، وكتبت إلى السيد دولباح. إذ أن هذا الحادث المحزن جعلني أنسى كل اخطائه ، وما إن عدت من جنيف ، وكان هو الآخر قد عاد من جولة قام بها في نرنسا ليسرى عنه الأسى ، هنى ذهبت لزبارته مع جسريم واصدقاء آخرين ، وواصلت زبارته ــ بعد ذلك ــ إلى أن رحلت إلى (لبرميتاج) . وعندما شماع في الوسط المحيط به ، أن السيدة ديبيناي ــ التي لم يكن قد تعرف إليها بعد ــ كانت نعــد لي مسكنا ، انهالت على السخريات كالمطر ، وقيل إنني عاجز عن أن أعيش بدون نبلق وإطراء المدينة ، وبدون متعها وملاهبها، وانتى لن اطيق البقاء في عزلة ، ولو لضممة عشر يوما ! . . ولما كنت أدرك حقيقة مشاعرى ، فقد تركفهم يقولون ما حلا لهم ، ومضيت في طريقي ، ومع ذلك ، غان دولماء ساعدتي على ان اعثر على ماوى للشيخ الطيب (لوماسير ١١١) ، الذي كان تسد تجاوز الثمانين من عمره ، والذي كانت زوحته تشاعر عانه عبء عقيل يبهظها ، فكانت لا تكف عن أن ترجوني أن أربحها منه! . . وقد وضع في ملجا للفقراء ، حيث عجل كبر سنه وحزنه لبعده

⁽۱) عتب 8 روسو ۱ على هذا بقوله : ۵ هذه احدى الحير الذي تخديني بها ذاكرتي ، فقد علهت لتوى — وبعد كتابة هذا بأبد طويل — خلال حديث بها زرجتي عن أبيها الطبب ، ان الذي ساعد على انزاله باللجأ ، أو بكن السيد دولياخ ، وانها كان السيد دى شينونسو ، الذي كان أد داك بي أسلم حديد مندى الله ي أسلم حديد مندى الله ي الله ي الله ي مندى الله ي مندى الله ي اله ي الله ي الله

عفو ، وأخرا 1 حصلت _ بعد عناء ورجاء _ على وعد بأن تظل المسألة كلها بعيدة عن السجلات ، والا يبتى أي أثر منها لصفة رسمية ، وقد صحب الوعد إقرارات تقدير من جانب الملك ، ومن جانب السيد دى تريسان ، مما أثار زهسوى إلى حد كبير . وشمرت في هذه المناسبة بأن تقدير أولئك الذين هم حديرون بالتقدير ، يبعث في النفس شعورا أعذب وأسمى من شمور الخيلاء والغرور ١٠٠ وقد ضممت خطمابات السيد دى ترييان وردودي إلى أضابري وستوجد أصولها في ملف «۱» ، تحت أرقام ٩ و ١٠ و ١١

إنني لاشمعر كل الشمور ، بأنه إذا قدر لهذه المذكرات أن ترى المسوء يوما ، أننى أهلد ينفسى منا ذكرى وأقعة كنت ارغب فيان المحو آثارها، ولكنتي أثبت كثيرا غيرها ، على الرغم منى ، غان البدف الأكبر لمشروعي هذا ، يتبثل دائما أمام عيني ، فإن الواجب الذي لا محيص عنه ، والذي يتطلب أن احتق هذا الهدف بأكمل صوره) لا يدع لي سبيلا للنكوص) من اجل اعتبارات واهية تعمل على ان تعونني عن غايتي ، إننى في موتفى الفذ الفريد ، أدين للحقيقة بما لا أدين لسواها بأكثر منه . ملكي أعرف القراء بنفسي ، لا بد لي من أعرف كل لواحي هذه النفس ، طبعها ورديلها . أن أعترافاتي مرتبطة ـ بالضرورة ـ باعترافات كثير من الناس ، وإلى لابوح يهذه وتلك بنفس الصراحة ، في كل ما يتعلق بي ، دون أن أجد ما يقتضى أن أعامل أي أمرىء غيري بسا لا أعامل به نفسي. 6 ولست أتمنى سوى أن أوتى مزيد أس الصراحة بدوق ما أبديث، 1 7 2 - Col Jake Hyddrub.com

وإذا كل النشوات البهيجة التي أسكرت قلبي الشاب ، والتي شعرت بها إذ ذاك في أقوى صورها ، والتي كنت أظنها قد ولت إلى الأبدء مكل هذه النكريات الماطنية الناعمة ، جعلتني ابكي شبهابي الذي أدبر بمباهجه ، والذي ضاع على ! . . آه ! كم كنت جديرا بأن أبكي عودة هذه الذكريات ــ العودة المساخرة ، الحزيفة _ لو أننى تثبات بالأسى التي كان مرتقبا أن تكبدئيه!

وقبل أن أغادر باريس ، وفي أثناء الشناء الذي سبق اعتكافي، حظیت بهتعة صادقت هوی من تلبی ، واثبلت علی نذوتها بكل نقائها، ذلك أن «باليسو» _ وكان عضوا في محفل نانسي: اذاهت صيته بضع تهثيليات وضمها ــ كان قد نلقر بمــرض إحدى هـذه النبئبليات في (الونينيل) ، على مسهد من ملك بولندا . وكان من الجلى انه اراد أن ينشد الحظوة ، إذ دس في سُمثِلِيته شخصية رجل جرؤ على أن يناجز الملك بقلبه . ولكن " سنانيسلاس " كان رجلا كريما ، لا يميل إلى البجو ، وقد استنكر أن يجرؤ أحد على تصوير الشخصيات بهذا الشكل في محضره - فكتب السيد الكونت دي تريسان ما بأمر من الملك. إلى " داليمبير " وإلى أنا ، غانباني بأن نية صاحب الجلالة قد أتجبت إلى تحقيق اقصاء السيد بالبسو ، عن المحفل ، على أننى رجوت السيد تربسسان مخلصا .. في ردى ... بأن بشنع الدى ملك بولندا للحصول على عقو عن بالبسو - وصدر العنو نعلا . وأذ كتب لي السيد دي تربسان ليخبرتي - باسم اللك-بذلك ، أضاف أن هذا الحادث سيثبت في سيحلات المعتل ، فرددت بأن هذا سيكون بمثابة توتيع عتاب دائم، أكثر مما هو

الكراسة التاسعة

سينة ١٧٥٦

لم يسمح لي الثلهف على سكني " ليرميشاج " بأن أنتظر حتى يعود فصل الطقس البديع ، فما أن تم أعداد مسكني هتى اسرعت إلى الإقامة فيمه ، وسط المخريات المدوية من ثلة دوليام 4 الذين راحوا يتنبأون علانيسة بأننى لن أستطيع أن احتمل المسؤلة ثلاثة أشهر ، وأنهم لن يلبنوا أن يروني عاندا الاعترف بإخفاتي ، والعيش مثلهم في باريس ، أما أنا _ وقد قضيت خبس عشرة سئة بميدا عن بيئتي _ فانني إذ رايت نفسى وشبك العودة إليها ، لم ابد أي اكتراث مطلقا لمزاحهم الساخر ، مانتي منذ أن التيت - على الرغم منى - ف المجتمع ، لم أكف عن التحسر على (شارميت) ، وعلى الحياد الفاعمة التي حظيت بها هناك . . كنت احس أننى خلقت للاقابة في الربف، عَكَانَ مِنَ المستحيل أن أهنا بالعيش في غيره . . في البندتية : في غيرة الشبئون العامة ، وفي منصب خاص بنوع من التمثيل الدبيلوماسي ، وفي المالع الطامحة ومشروعاتي للرقى ٠٠ في عاريس : في دوامة المجتمع الراتمي ، وفي الملاذ الحسية التي تكتنف حفلات العشاء ، وفي حفلات المسرح اللامعة ، وفي سحب المجد الزائف الذي حف بي . . في كل هذه وتلك ، كانت ذكريات ادغالي ، وجداولي ، وتجوالي على التسديين ، حاضرة أبدا لنشفل بالى وتبعث الاسي في انسي ، وتنتزع بني التنبدات ء الحنين و الحسم 5!

إننى اصبو إلى أن اكون دائما منصفا وصادقا ، فاقول عن الغير كل خير ما أستطعت إلى ذلك سبيلا ، ولا أذكر من الشر إلا ما يتعلق بي ، وبقدر ما أكون مضطرا إلى ذكره .

فهنذا الذي يحد من حقه أن يطاليني ـــ وأنا في هذا الموقف الذي أقصمت عبه - بيزيد ١٠٠١ أن أعترافاتي لم تكتب إطلاقا لكي تظهر في حياتي ، ولا في حياة الأشخاص الذين تتناولهم . ولو كان لى السلطان على مصيري ومصير هذا المخطوط ، لما راى النور إلا بعد مونى وموت هؤلاء الأشخاص بوقت طويل. ولكن الجهجود التي يبذلها الشانئون ذوو النفوذ ... مدفوعين بجزعهم منها _ لكي يمحوا كل اثر لهذا المخطوط ، يضطرني إلى أن أبذل كل ما يسمح لي يه أشد التوانين ، وأقسى الوان العدالة ، في سبيل صون هذه الآثار ، ولو كان مقدرا للكرياتي ان تموت معى ، حتى لا ابس اى احد ، لتحبلت أى ظلم جائر وعاير يترتب على ذلك ، أما وقسد قسدر لاسمي أن يعيش ـ. اخم أ ــ غان من واجعى أن أحاول أن أسلم الأحيال عمـــه ذكر بات الرحل التعس الذي كان يجله . . كي أنديه على ما كان عليه في الواقع والحقيقة ، وليس كما عمل أعداؤه الظالمون دائبين على أن يصوروه!

الفراغ المخصصة للتريض والتجوال - وكانت أسرتي الصغيرة، مؤلفة من ثلاثة أشخاص ، شمغل كل منهم بما هو نافع ا ولم تكن إعالتها مبهظة - وقصاري القول أن مواردي - بالنسبة لحاجاتي ورغباتي ــ كانت قادرة بحق على أن تثيح لي السعادة الدائمة في الحياة التي اختارتها ميولي .

ولقد كان بوسمى أن ارتبى ثباما في أهضان الجانب الأكثر إدرارا للربح ، وبدلا من أن أذل قلمي للنسخ ، كان بوسعيان لكرسب تكريسا تاما للكتابة التي كانت ... في الاعتكاف الذي اخترته ، والذي شعرت بأننى قادر على مواصلته - كفيلة بأن تمكنني بن أن أعيش في سمة ، بل في بذخ ١ لو أنني وأغنت على أن أجمع بين حيل المؤلف والعناية بنشر كتب جيدة . بيد أننى كنت أشمر بأن الكتابة من أجل كسب العيش ، لن تلبث أن تخنق نبوغي ، وأن تتتل موهبتي التي كانت في قلبي أكثر مما كانت في قلمي ، والتي لم تنبعث إلا من أسلوب في التفكير راق، اشم ، هو وحده القادر على تغذية تلك الموهبة . . فما من شيء قوى ، ولا من شيء عظيم يمكن أن ينساب من قلم أجير مرتش ! . . إن الحاجة - وربما الجشع - كانت كغيلة بأن تدفعني إلى ان اتعجل أكثر من أن أنتن . ولولا أن الرغبة في النجاح زجت بي إلى المدسائس ، لكان من المحتمل أن تجعلني أناضل القول ما قد يطيب للناس ، وليس ما هو صادق وناعم! . . وبدلا من المؤلف المبرز ، الذي كان بوسعى أن أغدوه ، فانني ما كنت لأميح سوى مسود للورق! . . لا عالم الله علم الشعر دائما أن مكانة المؤلف لا يمكن أن تُعليم عروفيًّا ومعترية ، إلا

كل الأعبال التي كان في طوقي أن أجعل مندي في ربقتها ، وكل المشروعات الطامحة التي راحت تنمي حميتي باطراد ، ولم يكن لها من غاية سوى أن أبلغ يوما تلك البحبوحة الريئية الهائئة، التي رحت أهنىء نفسى ... في تلك اللحظة ... على أننى احرزتها . م مانني وإن لم أهظ بالاستقلال الكريم _ الذي كنت اعتبره وحده الكفيل بأن يقودني إلى هذه البناءة _ إلا أنتى رابت أن بوسمعي النظرا لوضعي الخاص ؛ أن استغنى عنه ، وأن أصل إلى نفس النهاية بطريق اذرى جد مختلفة ، على أنني لم اكن ألمك دخلا ما ؛ وإن كتب المثلك السما ومواهميا . . وكتب معتدلا ١ وقد حرمت نفسي من معظم الحاجات الباعظة النفتات . . تلك التي كانت منشودة لدى الغاس عامة . وإلى جانب ذلك، مبالرغم من كسلى 4 إلا أننى كنت مجدا عندما الساء - ولم يكن كسلى راجعا إلى أنتى عاطل خبول ، بقدر ما كان خلة الرجل المستقل الذي لا يحب أن يعمل إلا عندما بروق له العمل . ولم يكن اهترافي نسخ القطع الموسيقية رائجا ، ولا مربحا ، ولكنه كان مصدر رزق مضمون ، وقد حبد المجتمع شميجاعتي إذ أقدمت على اختياره . فقد كان لي دائما أن أطمئن إلى عمل ، وأن الهمئن إلى رزق كاف لعيشي إذا أنا عملت جاداً . وكانت الفرنكات الألفان التي تبقت من أربلهي من «عراف القرية» ومن مؤلفاتي الأغرى ، بمثابة رصيد بنيني الضبق . كما أن المؤلفات العديدة التي كانت تحت الاعداد ، كانت تبشر _ دون ما تطفل على الناشرين _ بموارد كائية لأن تمكنني من العبال على سجيتي ، دون ما إرهاق لنفسى ، بل ودون أن اجور على اوقات

وجع أن الطقس كان باردا ، بل كان ثمة جليد ، فإن الأرض كانت قد بدأت تمضوضر ، وكانت زهور النرجس وورود الربيع قد ظهرت ، وشرعت البراعم تنفتح على الاشجار . . وقد المتازت ليلة وصولى باول شدو للبليل في اعتاب الشناء، وقد انبعث من غابة كانت تناخم البيت ، مَكانما كان البلبل ذاته عند نافذتي ا. . وبعد نعاس خُفيف ، استبقظت وقد نسبت تبدل مسكنى ، مخلت اننى لا أزال في شارع (جريئيل ١ ، لولا أن شدو البلبل نبهني ، مهتنت في نشبوني : " ها قد تحققت كل الماني الخيرا !» ". وكان أول ما فكرت قيه هو أن اسلم نفسي لمفعول الاشباء الريفية التي كانت تديط بي ، وبدلا من أن أشرع في تنسيق مسكني، فانني شرعت في عداد نفسي لنزهاتي، علم يبق ثبة درب ، ولا شبحرة شخبة ، ولا غيضة (مجبوعة مِن الشَّحِرِ } ، ولا يقعة منعزلة حول مسكني ، إلا وتنقدتها في اليوم التالى . . وكنت كلما ازدهت تعرفا بهذا المعزل الفاتن ، ازددت إحساسا بأنه ما خلق إلا لي ؛ . . كانت هذه البتعة البعيدة عن العمران - وإن لم تكن موحشة - تنتلني في الخيال إلى آخر أطراف المعبورة . . كانت قد أوتيت تلك المفاتن التي ثملك التلوب ، والتي لا يجدها المرء قط على مقربة من المدن. وما قدر لامرىء انتقل إلى هناك نجأة ، أن بصدق أنه كان لا يبعد عن باريس بأكثر من أربعة فراسخ!

وبعد بضعة أبام من الاستسلام لنشوتي الريفية ، مكرت في تنسيق اوراتي وتنظيم مهامي ، مخصد ت صوة الصاء للنسية _ كما اعتدت أن أمعل دائما _ وسرة من بعد الفدار المريض

إذا كأن التاليف بعيدا عن أن يكون حرضه . . إذ أنه من المسعب، كل الصمع ، أن يفكر الإنسان تفكيرا نبيلا سنهيا ، إذا ما تنان مضطرا إلى ألا يفكر إلا طلبا للرزق . . . ولكي يكون الكاتب قادراً ، ولكي يجسر على أن ينطق بالحقائق الجليلة ، ينبغي الا يعول على النجاح ويركن إليه . ولقد دفعت بكتبي إلى الناس بضمير مطمئن إلى أنني إنها تكلمت من أجل الصالح العام غير هاغل بأى شيء آخر ، فإذا رغض الكتاب ، فيا نعسا الولئك الذين لم يشماءوا أن يفيدوا مقه . أما أنا . فما كثب بحاجة إلى رضاهم وهبولهم لكي أعيش، فإن مهنني كانت كنيلة يان نعولني، إذا لم تلق كتبي مشترباً . . وهذا بالذات هو الذي جعليا تباع وتروج

وفي التاسع من أبريل سنة ١٧٥٦ - غادرت المدينة علم أعد إلى سكنى المدن قط ، إذ اننى لا أمتبر من السكنى في شيء، ثلث الفترات الوجيزة التي تضيتها حد فيما بعدد ـ سواء في باريس أو في للدن أو غيرهما بن المدن. عقد كانت محرد إقامة عابرة ، أو إقامة بالرغم منى دائما ! . . ولقد أتلت السيدة دبيناي ثلاثتنا في عربتها ، وتولى خادمها الريغي امر مناعي البسيط ، واستقر بي المقام في بيتي الجديد ، في اليوم ذاته . ووجدت معزلي الصغير مهيا ، ذا أثاث بسيط ولكنه كاف ، وينم عن ذوق !.. كانت اليد التي عنبت باعداد هذا الآثاث عد اضفت عليه _ في نظري _ قيمة تنوق كل تقدير ، وعد لذ لي أن أكون ضيف صديقتي ٤ في بيت بن اختياري ، شيدته هي خصيصا لي 🗄

والتجوال ، مزودا بكراسة بيضاء صغيرة وقلم من الرصاص ، إذ أننى لم استطع أن أكتب أو أن أفكر على سجيتي إطلاقا ، إلا في الهواء الطاق والقضاء ، ولم أحد بنفسى مسلا إلى أن أغير الملوبي ، بل انني عدرت أن غابة (مونمورنسي) ــ التي كانت تكاد تصل إلى بايي - لن تلبث أن تفدو مكتبي ومكان عملي للم وكانت لدى عدة مؤلفات بدائها من قبل ، معمدت إلى مراجعتها . . كنت بيدعا كل الإبداع في بشمروعاني ، ولكن تنفيذها كان يسير ببطء ، في ضوضاء المدينة . وقد توقعت أن أمضى غيها ببزيد من المجلة ، إذا ما تخلفت من كل ما اعتاد أن يشفلني عن العمل . . واعتقد الذي قد حققت هذا التوقع تمساما . . وبالنسبة لرجل كثير الرض ، كثير التردد على عصر «لاشيفريت» والبيناي واوبون ومصر مونمورنسي ، كثير التشاغل عن عمله في داره بفضل الفضوليين المتعطلين - دائم الانشاقال بالنسخ نصف نهاره . . إذا تدر كل هذا ، وأحصيت المؤلفسات التي انحزتها خلال السنوات الست ... التي تنسيتها في أبربيتاج ومونمورنسي _ لتجلى ، فيما أوقن ، أنفي إذا كنت قد بددت وقتى خلال هذه الحقبة من الزمن ، فإن تبديده لم يكن في خمول ، على الأقل !

وبين الأعمال الادبية المنباينة _ التي كانت على الرف _ كان المؤلف الذي أطلت التفكير فيه ، والذي أقبلت عليه بأعظم قدر مِن الشيقة ، والذي وددت أن أعمل فيه طول عمري ، والذي اعتقد انه حَتم شهرتي . و ذلك هو إلى في الذاهب الهما يها . إذ كانت قد انتضب ثلاث عشرة الما العالما الما



وبعد تعاسى خفيف ، استيقظت وقد نسبت تبدل مسكني ، فخلت انثى ما ازال في شارع (جريئيل) .

ومع أنني كنت قد عكفت ــ لخمس سنوات أو منت ــ على وضع هذا المؤلف ؛ إلا النبي لم أكن قد قطعت ميه شوطا بذكر. عَإِنْ الكتب التي من هذا القبيل ، تنطلب تابلا ، وفراغا . وطبأنينة ، غضلا عن أننى كنت أعمل ميه في الخمَّاء - كما يقال-دون أن الناتح أحدا _ ولا ديدرو نفسه _ بما اعتزمت . فقد كنت اخشى الا بيدو ملائها كل الملامية لروح النعصر ، والبلد الذي كنت اكتبه غيه ، وأن جزع أصدقائي قد بمرقل جهودي في تنفيذه (١) . ولم أكن بعد والتا من أنه سينم في وقت مناسب، ويحيث يتسنى ظهوره أيان حياتي . ، وكنت راغبا في أن أتمكن دون أي تقيد _ س أن أهب موضوعي كل ما كان يتطلبه ، ولما كنت خلوا من التحامل المغرض ، وغير راغب قط في الجنوح البهما _ فاتنى كنت مطمئنا إلى انفي سأطل دانها بمناي عن اللوم .. لقد وددت أن أستخدم _ أكبل أستخدام ، دون ربب _ حتى التنكي ، هذا الحق الذي أوتيته بحكم وجودي ، ، ولكني في حرصي دائما على احترام نظام الحكم الذي كنت أعيش في

مذ خطرت لي فكرته ، عندما كنت مقيما في البندقيسة ، هيث النيحت لي الفرصة كي أشهد عبوب نظام الحكم فيها، برغم ماكان له من صيب . ومن ذلك الحين؛ السبعت آراثي بغضل الدر اسات التاريخية لتواعد الأخلاق ، متدر لي أن أرى أن كل شيء كان بتصل اتصالا جوهريا بالاعتبارات السياسية ، وانه ما من شمب يملك _ مهما يكن تقدمه _ أن يصبح في حال غير الني تعده لها طبيعة نظام الحكم نبه . ومن ثم ، فإن المسالة الكبرى _ مسألة خير نظام ممكن للحكم _ انكمشت في نظري إلى ما يأتى : ما كنه نظام الحكم الصالح لتكوين الشعب الذي يكون أفضل صفات 8 وأكثر تنورا ، وأوسع حكمة ٠٠ وبالايجاز ، الشبعب الذي يكون « أحسن » شعب ، بأوسم معاني كلية « احسن » أ . . ولاح لى أن هذا السؤال كان وثيق الارتباط بسؤال آخر ، تربب الشبه منه ، وإن لم يكن مثله تماما . ذلك هو : ما هي الحكومة التي نحرص - بطبيعتها - دائما ، على أن تكون وثيقة ألقرب من القانون ؟ . . ومن هنا خطر لي مـــؤال آخر : ما هو القانون ؟ . . وتبعثه سلسلة من الاسئلة لها عين القيمة . ورايت أن هذا كله يغضى إلى حقائق عظيمة ، ذات ندم بالنسبة لرغاهية الجنس البشرى ، ولا سيما رغاهية وطنى ، حيث لم أجد _ خلال الرحلة التي تبت بها إلى هناك _ دراية بالقانون وبالحرية صحيحة ، ولا واضحة بالقدر الذي كان يرضيني . ولقد آمنت بأن الإيعاز بهذه الدراية .. بطريق غير بباشر _ هو اسلم وسيلة ملائمة لكرامة هؤلاء النوم ، وخبر شنيع لي كي يغتروا لي أن استطعت أن أبد بصرى إلى أعلى وأبعد مما بلغته ايصارهم!

⁽۱) عثيه ﴿ روسي ﴾ على هذا بثوله أ ٥ كاتت حكية ديكبو المترسمة هي التي أوحت الى مهذا الحَوف ، أما ديدرو ، تلست أدرى كبد، كانت اجتماعاني. به تتجه دائها الى جعلى آكثر بسيخرية وهجوا والقداعا مما كنت بدييعتي . وهذا بالذات هو الذي ردني عن أن أستشيره في مشروع كنت راغبا في الا استخدم نميه مموى توة المنطق والمحاجة عنطاه دونانته أثر لتعتشاو تعصيب ومن المبكن الحكم على الأسلوب الذي انتهجته في هذا المؤلف ، على شوء اسلوبي قي المقد الإجتماعي ة الذي أو المن المنافع المنا سندما للعند الاجتماعي في العددين (٢١) العام العددين المنابع

كتبي ماضية في الصدور ، ولكن بقحفظ أثل . . أما إذا تركت دون إزعاج ، فاننى - كهؤلف - ساعتبر رهينة وضهانا لكتبي، كما أن هذا كثيل بأن يمحو الآراء الخاطئة التي كانت متغلغلة في بقية أوروبا ، إذ يكسب السلطات الدرنسية شسهرة احترام حقوق الأمم عن سعة أفق ورقى تفكي !

والذين يحكمون - على ضوء النثيجة - بأن ثثتي قد غررت بي ، ربها كانوا هم المخدوعون . ففي العاصفة التي هبت على، كانت كتبي خير ججة في جانبي ١ لولا أن شخصي هو الذي كان متصودا . . فإن احدا لم يول المؤلف كثير اهتسام ، ولكنهم كانوا بنوقون إلى القضاء على جان جاك نفسه . . وكان اسوا ما جرته كتاباتي ، هو التكريم الذي كان من المحتمل أن يولوني إياه . ولكن . . يجب الا تقفز إلى المستثبل ، ولندمــــه إلى حينه ! . . ولسنت أدرى ما إذا كان هذا اللغز ... مُبُو لا يزال لفزا في نظرى إلى اليوم - سيلتى ما يوضحه في نظر قرائي ، غيبا يعد ٠

وإنها الذي ادريه هو أنه إذا كانت آرائي التي جاهرت بها، جديرة بأن تجلب على المعاملة التي قاسيتها ، لما توانيت عن التعجيل بأن أصبح مريسة لها ، ذلك لأن ما ظهر من كتبي _ التي بسطت غيها هذه المبادىء بكل جراة ، إن لم أقل بكل شجاعة (١) _ كان قد أحدث أثره ، على ما بدا ، قبل أن آوى إلى (ليرميتاج) ، دون أن يخطر ببال أحد أن يناجزني الحرب،

ظلاله ، وعلى عدم الخروج على القانون إطلاقًا ، وعلى النزام الحذر حتى لا أنتبك حق الغير ٠٠ في كل حرمي هذا ، لم أكن راغيا ... في الوقت ذاته ... في أن افرط ، بداغع من الخوف ، في المتيات هذا الحق ٠٠ حقى في التفكير ! ٠ بل النبي لأذهب إلى الاعتراف بأننى وجدت وضعى في فرنسا _ كاجنبي يعيش غيها - مواتيا لكي أتول الحق في جراة ١٠ فقد ادرك مهلما أنني ما دمت لا أطبع شيئًا في الدولة ا دون ما إذن ـ وهو ما كنت اعتزیه _ فلن اکون مسئولا اهام ای احمد فی فرنسا عن مبادئي ، وعن الترويج لها في أي مكان آخر ! . . ولقد كان من المحتمل أن أكون أقل حسرية في جنبف ، أو في أي مكان آخسر طبعت نبيه كتبي ، إذ كان للمسلطات حق الاعتراض على محتوياتها . ولقد كان لهذا الاعتبار اثر كبير في حملي على ان انصاع لإلجاف السيدة دبيبتاي ؛ فأهجر ما كنت تد انتويته من الإتابة في جنبف . فقد شعرت - كما ذكرت في « أميل » - بأن المرء إذا أراد أن يؤلف كتبا في الصالح الحقيقي لوطنه ، غليسي له أن يؤلفها في هذا الوطن ؛ اللهم إلا أن يكون موهوبا في التآمر والدس والخداع!

ومما زادني سيعادة ، انني التنعت بان حكومة مرنسا ، ستعتبر أن من الكرامة أن تدعني في سلام ، إن لم تحمني ، ولو انها لم تكن تنظر إلى بمين راضية ١٠. ولقد كأن هذا منيما بدا لى - نهجا سياسيا بسيطا ، وصريحا إذ أنه يرمى إلى النسامح إزاء ما لا سبيل هناك إلى منعه . . فلو انني حملت على مغادرة فرنسا _ وهو ما لكل الحكومات الحق في أن تقدم عليه _ لظلت

١١١) يقصد كتابه : ٥ حديث في مه. المستواة في الخرونه المجوال ٠٠.

او على الأقل - ان يعوق نشر المؤلف في غرنسا - حيث كان يباع في علانية لا تقل عن التي كان يباع بها في هولندا . ولقد ظهرت « هيلويز الجديدة » - بعد فلك - بنفس السيولة ، وبنفس التحبيذ ، كما ينبغي أن يقال ، ومن الامور التي تبدو ابعد من أن تصدق ١ أن العقيدة التي بشرت بها في « هيلويز » هذه ، كانت عين تلك التي بشرت بها في « استفد ساغوا » . وكل ما اقدمت على قوله في « العقد الاجتماعي » ، كان قد قيل في « حديث في عدم المساواة » . وكل ما جامرت به في «اميلا» في « حديث في عدم المساواة » . ولكن هذه العبارات الدوية ، لم ظهر تبعل ضد الكتاب الاخبرات ، نا العقول أن تكون هي التي أثارت منخطا ضد الكتاب الاخبرات .

* * *

وهناك مشروع كتاب آخر ، من نفس النوع تقريبا ، ولكن عكرته واتتنى متأخرة عن الحكار تلك الكتب ، وقد شعلت بالى ق ذلك الحين . • ذلك هو « مختارات من اعمال الاب دى سان بير " ، الذى لم اللك الحديث عنه من قبل - إذ شعفلنى عن ذلك سياق السرد ، غلقد أوهى إلى بالنكرة الراهب دى مابلى حقب عودتى من جنيف ، • ولم يعرضها على مباشرة ، وإتما وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما _ وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما _ وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما وسط فى الامر السيدة دوبان ، التى كانت مينهة _ إلى حد ما وليتناعى بالاضطلاع بالمشروع ؛ . . . فقد كانت إحدى ثلاث او

اربع من حسان باريس ، تهافتن على الراهب الشيخ المسان بير » وإذا لم تكن قد ظفرت بالإيثار منه ، غإنها حسول على الأقل حد قد تقاسمته مع المسيدة ديجويون ، ولقيد احتفظت لذكرى الراهب الطيب باحترام وعطف كانا مصدر خد لها وله ، ومن ثم غإن كبرياءها كانت خليقسة بأن تجد ما برضيها إذ ترى مؤلفات صديقها الميت الهي ، تبعث على يدى مكرتيرها ، ومع أن هذه المؤلفات لم تخل من موضوعات بديمة ؛ إلا أنها كانت معروضة باسوا تعبير ، إلى درجة تجمل من العسير على التارى، أن يحتمل قراءتها ، ومما كان يبعث على الدهشة ، أن الراهب كان يعتبر قراءه مجرد الأطفال على الدهشة ، أن الراهب كان يعتبر قراءه مجرد الأطفال كبار الله الم يتجشم اى عناء في حملهم على الانصات إليه .

⁽۱) يقصد كتابيه : « اميل » و ٥ حديث في عدم المصاراة ».

⁽٢) تصد « العتد الاجتماعي » .

غإن المهمة لم تكن باليمسيرة . . لم تكن تتطلب أتل من القراءة ، ثم الاستيعاب والتفكيم ، ثم اختيار مادة من اثنين وعشرين محلدا مهوشة 6 مضطرية التنسيق 6 مليثة بالحشر والاطناب والتكرار والآراء الضحلة أو الخاطئة . ، وكان لا بد من التنقيب بينها حتى يمكن العثور على طائفة من الآراء الجليلة الدسمة التي كانت تشجع على احتمال الميمة الوعرة! . . بل انني كنت موشكا _ في كثير من الأحيان _ على أن أنغض يدى منها ، لو أننى استطعت أن أنسحب في تصرف كريم ، ، ولكني عنسدما تقبلت مخطوطات الراهب _ التي اعطانيها ابن اخيب الكونت دى السان بير " ، بإيعاز بن السان لامير " _ أصبحت مرتبطا بشكل ما ، بأن استعملها . . واصبح الواجب متنسيني لِمَا أَنْ أَرْدُهَا ، وَإِمَا أَنْ أَجْعَلُ لَهَا عَيْمَةً . وَبَعْدُهُ النَّبِّةُ الأَخْيَرَةُ حملتها إلى " ليرميتاج ؟ أ مكانت أول عمل اعتزمت أن أكرس له وقت فراغي ا

ورحت أغكر حالة ذاك أيضا حافي مشروع كتاب نالث ، كنت مدينا بفكرته إلى بعض ملاحظات اخذتها على نفسى ، ومها زاد من شعورى بالرغبة في الإقدام عليه ، الفي وجدت من الاسباب ما جعلني اصبو إلى ان انتج كتابا ذا نفع حقيتي للجنس البشرى، بل كتابا يكون أنفع ما قدم إلى البشر ، إذا ما قدر للتنفيذ أن يطابق الخملة التي رسمتها مطابقة ناجحة ، غلقسد لوحظ أن الخالبية من الناس كثيرا ما يكونون في سياق حياتهم حلي غير ما هم عليه اصلا 8 وكانهم يتحولون إلى أناس مختلتين تهام الاختلاف ، ولم اكن أبغى بإصدار كتاب في ذلك ، أن أقر شيئا

معروضا كل المعرفة ، بل كان لدى غرض جديد تهام الجدة ، وقو اهمية بالفة . . ذلك هو أن أبحث عن أسباب هذه التطورات والتغيرات _ التي تطرأ على الناس في حياتهم _ وأن البحن على ما يكون منها متوقفا علينا نحن انفسنا ، وأن أبين كيف يتسنى أن نتحكم فيها بافنسنا ، لكى نصبح أفضل وأكثر ثقة بانفسنا واطبئنانا إليها ! . . ذلك لانه لا جدال في أن الرجل الشريف يعانى في متاومة الشيوات التي اكتمل تكوينها _ والتي ينبغى عليه أن يتاومها _ عفاء أشد مما لو أنه كبح أو غير أو ينبغى عدل هذه الشهوات ذاتها من منبعها ، لو قدر له أن يتعقبها إلى هذا المنبع ، فالرجل يتاوم الغواية مرة لأنه قوى ، ولكنه _ في مرة أخرى _ يستسلم لأنه ضعيف ، . ولو أنه كان على ما كان عليه من قبل ، لما استسلم ،

ونيما كنت انحص نفسى ، وابحث فى النفوس الأخرى عما بكن هذا التباين من الحدوث المبينت انه إنها يعتمد — إلى هد كبير — على ما تكون اشياء خارجية قد احدثته — من قبل به انطباعات داخلية الاوانيا في تغيرنا المستمر – بعمل حواسنا واجيزتنا البدنية — إنها نكشف الادون ان نقطن عن اثر ذلك التغير فى انفسنا ، وفى ارائنا ، وفى مشاعرنا ، وفى اعسالنا ذاتها الله . . وكانت المشاهدات العديدة والمدهشة — الني جمعتها — ثعلو على كل طعن . . وقد بدت لى ، فى أصولها الطبيعية ، صالحة لان تؤلف نظاما خارجيا للسلوك ، يتغير بتغير الطروف ، ويمكن من وضع العقل أو مستنا في النفرية . . فكم من خطاء بعثى التناس المناسول ما المناسول ا

وكثت _ إلى جانب كل هذا _ تد فكرت مئذ زمن ، في نظام للتربية كاتت السيدة دى شينونسو قد رجتني أن أشتغل . به ، في غمرة إشماتها على أبنها من النظام الذي وضعه زوجها لتربيته : . . ولقد استوجب سلطان الصداقة أن أنصرف إلى هذا الهدف أكثر من سواه ، برغم أنه لم يكن ــ في حد ذاته ــ مها يصادف هوى من نفسى . ومن ثم قان هـ ذا المشروع هو الوحيد _ بين كل المشروعات _ التي ذكرتها من قبل _ الذي النجزئه . ولقد كانت الغاية التي وضعتها نصب عيني - والنا اعمل فيه _ جديرة ، كما يتراءى لى ، بأن تتيح المؤلف جزاء آخر غير الذي أتاجه ، ولكن ، ، لنتحنب الحديث هنا عن هذا الموضوع المحزن ، قبل أن يحين أوانه ، . فسيعيف أضطر اضطرارا إلى المديث عنه غيما بعد !

ولقد أبدتني هذه المشروعات المتباينة بموضوعات للتأمل والتفكير في نزهاتي اليومية . إذ أنني مد واعتقد أنني ذكرت هذا من قبل _ لا استطيع التفكير إلا وأنا أتبشى ، فما أن انف ؛ حتى أكف عن النفكير ، فليس في وسم عتلى أن بتحرك إلا مع قدمي . على انثى اتحدث الحيطة ، موفرت أنفسي عملا اؤديه داخل البيت في الأيام المطيرة . ذلك هو « قساموس الموسيقي » : الذي كانت مواده وأصوله مبعثرة ، ناتصة ، مشتقة بحال تجعل من الضروري إعادة كتابة السفر كله ، من اوله إلى آخره تقريبا ، ولقد ابنعت بعض الكتب التي كنت بحاجة إليها من أجل ذلك ، وقضيت في بين في السين الي الحصول على كثير من الكتب الأخسري ، الني استعواضياء من

منها ، وكم من ردائل يتسنى خنتها في مهدها ، إذا تبسرت معرفة التحكم في النظام الحيواني بحيث يتلاءم مع النظام الخلتي الذي كثيرا ما يتعرض للاضطراب! . . ان أحوال الجو . والفصول ، والأصوات ، والألوان ، والظلم ، والنسور . والعناصر ، والمواد ، والضجة ، والصبحت ، والحسركة ، والسكون . . كل هذه تعمل وتؤثر على جسبنا وعلى عقلنا بالتوالي ٠٠ كلها تبدنا بالف غرصة ، تكاد تكون مضموتة ، للتحكم ... منذ البداية ... في المشاعر التي نتركها نتحكم نينا !

هكذا كانت الفكرة الاصلية ، التي كنت قد سطرتها على الورق ، والتي نوقعت منها نتيجة عظيمة الننع لذوى المنبث السليم ، الذين يتحدون ضعفهم ، في سببيل حبهم المسادق للفضيلة . . حتى لقد بدا لى أن من الميسور أن أجعل من هذه الفكرة كتابا مشوقا من هيث القسراءة ، كما هو من حيث الكتابة ! . . ومع ذلك ١ غانني لم أحرز سوى نقدم ضئيل في هذا المؤلف _ الذي جعلت له عنوانا : « الباديء الخلقية الحسية ، أو مادية الحكيم »(١) ... فقد حالت شواغل ، لن ثلبث ان تتكشف ، دون ان أعكف عليه . . ولن يلبث أن يتضح كذلك، ان هذه كانت خاتمة مشروعي الذي كان الترب إلى نفسى من كل ما يبدو!

La Morale Sensetive, ou le Materialisme m du Sage

■ مكتبة الملك » ، والتي أبيح لي أن أصحب بعضمها معي إلى « ليرميتاج » . هذه كانت المواد التي تهيىء لي العمل في البيت، مندما لا يسبع الطنس لي بالخروج ، أو عندما ألم النسخ والنتل ، ولقد واقتنى هذا التدبير إلى درجة أننى واظبت عليه في اا ليرميتاج » وفي قصر « مونمورنسي » على السواء ا ثم في ﴿ مُوتِيرٍ) بعد ذلك ، حيث الملت هـ ذا المؤلف ، بينما كنت ماضيا في مؤلفات غيره . وقد اعتدت دائما أن اجد في تغيير الأعمال مادة للترويح حقا !

وتبعت في دقة بالغة _ واغتررة من الزمن _ النظام الذي تكرته ، غوجدته صالحا للغاية ، ولكن النصل الجميل (الربيع) لم يليث أن زاد من تردد السيدة دبييناي على ضيعة (ابييناي) أو ضيعة (الشيفريت إ ، فوجدت من الشواغل - التي لم دكن تكبدني من قبل شيئا ، ولكني لم أحسب لبا في تدبيري حسابا _ ما عطل كثيرا من مشروعاتي الأخرى ، فلقد تلت _ من قبل _ إن للسيدة ديبيناي خصالا بالغة اللطف ، إذ كانت تحب اصدقاءها حبا خالصا ، وتخدمهم بكثير من الشسيلة ، ولا تضن عليهم بوقت ولا بمال ، ومن ثم غانها كانت عساختى - عن جدارة - أن شجازى عن ذلك برعابة خاصة ، ولقد كنت - حتى ذلك الحين - أؤدى هذا الواجب الدون أن أنكر في انه واجب ، ولكنني لم البث أن مهمت _ في النهاية _ انني مغلول بسلسلة لم يكن يحول دون شعورى بوطائبا سوى الصداقة وحدها ! . . ولقد ضاعفت من هذا العباء بنغوري من الجثمعات الحافلة) إذ تكرمت السيدة ديبيناي معرضت التراحا بدأ ملائها

بالنسية لي ، واكثر ملاعة بالنسبة لها ، ذلك هو أن تحيطني ملها بالأومات التي تكون غيبًا على انفراد ، أو على وشك الانفراد - ولقد وافقت على ذلك ، دون أن أفطن إلى ما كنت أثيد به ننسى . وترتب على ذلك أننى لم أعد أؤدى لها زيارات في الوقت المناسب لي ، ولكن في الوقت المناسب لها هي ، وانتي لم اطبئن يوما إلى أن مهاري رهن رغبتي . ولقد أنسد هــذا التيد - إلى حد كبي - ما كانت توفره لي زباراتي لها - فيما مضى - من متعة . . وتبينت أن الحرية ... التي طالما وعدتني يها _ لم تبنع لي إلا بشرط الا احظى بها إطلاقا ! . . ولقد رغبت ــ في مرة او مرئين ــ في أن أجــربها ، نماذا بكثير من الرسائل (وكثير من المذكرات) وكثير من امارات الخوف تنهال بن السيدة ديبيناي معربة عن تلقيا على صحتى . . حتى تبينت عها الا تعليع لى في عدم الاسراع إليها لدى أول بادرة تنم عن رغباتها ، إلا بأن الزم فراشي تماما :

وكنت بضطرا إلى أن أخضع لهذه الربقة ، مانصعت في شماهل يفوق ما كان ينتظر من عدو لدود لكل ما بحدد من الحربة . . وقد ساعد الوفاء الصادق ـ الذي كنت اكتب للمبيدة _ على الحيلولة؛ إلى حد كبير؛ دون أن أشعر بالأغلال التي كانت ترتبط بهذا الموقف ، ولقد استطاعت السيدة ديبيناي ان تبلا بهذه الطربقة الفراغ _ الذي خلفه غياب الثلة التيكانت تحيط بها _ إلى حدما . وأقد كانت التسلية التي ظفرت بها من نوع لا بلذ لها كثيراً ؛ ولكنها كانت انضال من العزلة التامة، التي لم تكن تطبقها ، على أنها أصبحت العمر على إلى القواع

بسهولة 7 عندما شرعت تجرب تلمها في الأدب 4 و دخلت راسها الزوة كتابة قصص ، ورسائل ، وفكاهيات ، وحكايات ، وما إلى هذه التفاهات؛ كيفها اثنق لها! . . على ان الكتابة لم تكن اعظم ما لذلها بل أن أكثر ما طاب لها هو غراءة ما كانت تكتب.. مَاذًا هي سودت صحيقتين أو ثلاثًا ، كان من الضروري لها أن تطبئن إلى وجود الثنين أو ثلاثة ينصنون إلى هذا العمل الضخم ويحبذونه . ونادرا ما كنت احظى بشرف أن أكون واحدا من هؤلاء الصفوة المختارة ، اللهم إلا إذا شفع لي مستمع آخر ! . . ذلك لأننى كنت _ وحدى _ لا أكاد أساوى شينا بذكر ، لا في ندوة السيدة ديبيناي مصبب ، وإنها في ندوة السيد دولباخ ، وحيثها كان جريم نجها متالقا . . وكان هذا النجاعل التام لقدرى بلائمتي تهام الملامة ، اللهم إلا عندما اكون مع السيدة وحيدين ، إذ أننى لم أكن أعرض أي مسلك أتخذ . . ذلك لاتني لم أكن أجرؤ على الحديث في الأدب - إذ لم أكن أعتبر كدءا لإبداء الراى فيه - ولا في آداب السلوك والمجاملة والإيناس، لانتى كنت مفرط الخجل ، وكنت اخشى الظبور بمظهر مضحك أمام غانية عجوز ا أكثر من خشيتي الموت ا. . فضلا عن أن هذه الفكرة لم تخطر ببالي إطلاقا عندما كنت برغقة ـ المحدة ديبيناي ، ولا كان من المكن أن تخطر مرة واحدة في حياتي ، ولو تدر لى أن أعيش طبلة عمرى بصحبتها . . وما كان ذلك لأننى كنت أضمر نغورا شفصيا منها ، بل لعلني حاعلى النتيض - كنت أحبها كل الحب كصديقة ؛ وكنت قادرا على أن أحبها كعد يتة ! . . كان يروق لي أن أراها وأن أجاذبها الحديث ، ومع أن حديثها كان طلبا _ إذا ما كاتب في جماعة _

إلا أنه كان معضًا في الجلسات الخاصة . . أما حديثي أمّا ، ظم يكن لبقا سيالا ، ولم يكن ذا عون كبير في ابناسها . . وكنت حين احْجِل من الصمت غنرة طويلة ، أرهق نفسى في سبيل يمث الحياة في الجلسة ، ومم أن هذا كثيرا ما كان يتعبني ، إلا اته أبدا ما ضايتني ! . . كنت أبدى لها آبات الغزل عن طيب خاطر ، والمنحها بعض تبلات الخوية صغيرة ، لم يكن يلوح لي اتها ذات إثارة حسية لها ٠٠ وكان هذا غاية ما في الأمر ٤٠٠٠ **غلتد كانت مغرطة النحول ، شديده البياض ، ذات صــدر** وبسروط كراحتي ! . . وكان هذا العيب وحده - كانها لأن يطفى كل حرارة في كياني ، فما قدر لقلبي ولا لحسى يوما أن بريا أية أنوثة في امرأة بلا نهدين . ، وقد كانت ثمـــة أسباب أخرى _ لا جدوى من ذكرها ... نجعلني أنسى الناحية الجنسية دائها ٤ إذا ما كنت بالقرب بن السيدة دبيناي !!

أما وقد رضت عقلى على تبول نبعية لا غلى علها ، غاللي اسلمت نفسى لها دون ما مقاومة فالفيتها _ في العام الأول ، على الأقل ... أقل عداءا مها كلت أتوتسع . وكالت من عسادة المبيدة ديبيناي أن تتمي الصبف باسره _ تقريبا _ في الريف. ولكثها لم تقض هناك ، في هذا العام ، سوى شطر بنه ، ، لها لأن أعبالها كانت تتطلب وجودها في باريس ، وإما لأن غياب « جريم » جعل الاقامة في « لاشفريت » أمّل ملاءمة لها عن ذي ثبل . ولقد كنت أستفل الإنرات الني لم كنم تندي هناك ، أو التي كانت نستضيف خلال الكام و النادي . النمم

وكتت أود _ غوق كل شيء _ أن أصفع السادة خدم الموائد الذين كانوا يلتهمون باعينهم اللقم التي اكلها ، ويبيعوني - إذا لم اثما أن أموت ظمأ _ نبيذ مخدومهم المعتق ، بما يغوق عشرة ابثال ما ادغمه من اجله في ارقى حانة !

ولكن . . ها أنذا لخيرا في داري ، في ماوي منعزل مستصب، حر في أن أقضى أيامي في حياة مستقلة ، متشابهة ، آمنة ، كتب اشمعر أنني إنها خلقت لأنهم بها ! . . وقبل أن أذكر الأثر الذي أحدثه هذا الوضع - الجديد على - في مؤادي ، يروق لى أن الخص الميول الخفية لهذا القلب ، حتى يتسنى الإلسام بجلاء باسياب هذه التطورات الجديدة .

الغد اعتدت دائما أن أعتبر يوم اتحادي مع تيريز هـ و التاريخ الذي اصبحت نيه حريصا على مبادىء الملق . فلقد كنت بحاجة إلى ود وثيق ، مذ انفصم في تسوة ذلك الود الذي كنت مكتفيا به ، ، أن الظمأ إلى الهناء لا يمكن أن يرتوى في قلب الإنسان أم، ولقد كانت « عاما » تسمى إلى الشيخوخة، وتتحدر إلى الهوان ، وكان من الواضح لي أنها لن تسعد ثانية على الأرض ، غلم بيق لي سوى أن أبحث عن سعادة لنفسى ، ما دبت قد فقدت كل أمل في أن اقاسمها سعادتها! . . رحت اطنو من فكرة إلى فكرة ، ومن خطة إلى هُطة ، بعض الوقت. وكانت رطني إلى (البندقية) خليقة بأن تزج بي في الشئون المابة ، لو أن الرجل الذي تدر لي أن أرتبط به ، كان على شيء من الإدراك السليم . وأنا من يسمل موط عزمتهم ا

بعزائي مع تيريزي الطيبة وأمها ، على نمط يجعلني اعرف لهذه الفترات قدرها ، ومع أننى كنت قد اعتدت ـ لبضع سنوات _ أن أتردد على الريف كثيرا ، إلا أننى لم أكن استمتع بهدده الرحلات ، إذ أنها كانت دائها في صحبة أثم خاص محيين للمظاهر ، وكانت دائها ما تفقد بهجتها بتأثير الشعور بالتقيد والحرج ، وإن كانت قد اذكت في نفسي الميل إلى المنع الريفية . . وكنت كلما لمحت هذه المنع عن كثب ا ازددت شعورا بحرماني منها . كنت قد سنبت _ كل السام _ « صالونات » باريس ، ونالهورات الماء ، والبسائين ، وحدائق الزهور ، وكان اصحابها أشد بعثا للملل . . كنت ضجرا من التطريز ، و المعزف ، وحبك الصوف ، والانحفاءات ، والمجاملات الحمقاء ، والعواطف الضعلة ، ورواة القصص التاغيين ، ومادب العشاء الكبية ، حتى أصبحت إذا ما لحت _ بنظرة من ركن عيني _ شجرة من أشجار الصنوبر ، أو عشبا من الأعشاب الشوكية ، أو سياج مزرعة ، أو مخزنا للغلال ، أو مرجا ، وحتى أصبحت إذا ما شمهت _ وأنا أمر بمزرعة _ عبير " العجمة أ المتوبلة بالأعشاب الشذية . . وحتى أصبحت إذا ما سمعت عن بعد اصوات الماعز الرغيعة . . اصبحت اتمنى ازاء عذا كله ، أن يذهب كل الطلاء الأحمر ، والساحيق ، والعطور ، إلى الشيطان ! . . وكنت أتحسر على الغداء الذي تعده الزوحـة المتفرغة لبيتها في الريف ، والنبيذ المطي . . وكنت أود - من قلبى _ أن ألكم السيد الطاهي ، والسيد رئيس السقاة ، اللذين كاناً يضطراني إلى أن أتناول الفداء في موعد عشائي المعتاد 4 وأن أتناول العشاء في الساعة التي اعتدت أن أثام قيها ...

لا سيما في المشروعات الشباقة البطيئة . لذلك غان ضعف نجاح هذا العمل (الشئون العامة) نفرني من أمثاله ، ولما كنت موققا لمبدئي القديم أنظر إلى الأهداف البعيدة) على أنها الحليل للحبقي ، نقد وطنت العزم على أن أعيش م بعد ذلك مون أية خطة مرسومة ، إذ أنني لم أعد أرى شيئا في الحياة كان تادرا على أن يغريني على أن أتعب نفسى !

وفی هذه الفترة بالذات ، بدا تعارفنا ، فلاح لی أن لطف شخصیة هذه الفناة الطبیة ، بندسی مع طبیعة شخصیتی ، حتی اننی ارتبطت بها بماطفة لم بتو الزمن ولا الزلات علی ایهانها ، ولم یؤد ای شیء – کان یحمل آن یفصیها – إلا إلی توثیتها ، ولسوف تنبدی توی هذه الرابطة فیما یلی ، عندما اکشف عن الجراحوالآلم التی خلفتها فی قلبی – فی اوج تماستی – دون آن تبدر منی شکوی واحدة ، حتی الوقت الذی اکتب عیده السطور ؛

ومندها يعرف اننى - بعد أن فعلت كل شيء ، وبعد أن جاببت كل عناء لاتفادى غراقها ، وبعد أن عشبت معها خيسا وعشربن سنة برغم سجية البشر - اقدمت في النهسلية على الزواج منها في شيخوختى ، دون أن يكون لديها أى توقع أو أى رجاء ، ودون أن أرتبط معنا بخطوبة أو بوعد . . عندما يعرف هذا ، يسهل على المرء أن يصدق أن الحب الجامح ، الذي عبث برأسي منذ اليوم الأول ، قد قادني تدريجا إلى آخر حماقاتي . . ولسوف يزداد المرء اقتناعا بهذا الذا ما عرفه الاسباب الخاصة ، والتوية ، التي كانت خليقة بأن تهنعني من

ان أقدم على شيء كهذا . . نماذا يظن إذن ، إذا انا أعلنت - بكل ما لا بد أن يكون قد عرفه في خلقي من صدق – انتي منذ اللحظة الأولى التي رأيتها غيها ، حتى يومنا هـــذا ، لم اشعر قحوها بأضأل قبس من الحب ، وانني لم اعد أكثر اشتهاء لمضاجعتها ، مني لمضاجعة السيدة دي غاران ، وأن الرغبات الحسية التي كنت اشبعها لديها ، لم تكن – في نظري – سوى استجابة للنوازع الجنسية ، دون أن يكون لها أية علاقة بالفرد ا م لقد يعتقد القارىء أنني إذ أوتيت بنية تختلف عن بنيسة سواى من الرجال ، كنت عاجزا عن أن السعر بالحب ، لا سيها واته لم يدخل قط بين المشاعر التي ربطتني بتلكما المراتين اللتين كانتا أعز النساء لدى ، ولكن ، صبراً يا قارئي ! . . أن اللحظة المشاعرة تقترب ، وستجد أنك مخدوع أكثر مما تحال !

* * *

إتنى اكرر حديثى ، وانى لأدرك ذلك ، ولكنه امر لا بد منه ، لقد كانت أولى ، واعظم ، واتوى ، واعتى حاجاتى جميعا ، شخصر بالكبلها في غؤادى ، ، تلك هى الحاجة إلى زمالة اشد ما تكون الفة وقريى وتوثقا ، ، ومن أجل هذا الغرض _ بوجه خاص _ كنت محتاجا إلى امراة أكثر منى إلى رجل ، ، إلى صديقة ، أكثر منى إلى رجل ، ، إلى مديقة ، أكثر منى إلى صديق . وكانت هذه الحاجة من التغرد بحيث أن أوثق المسلاقات الجسدية ما كانت لترضيها ، . كنت أتوق إلى روهين في جسد واحد منذ ظالت _ بدن ذلك _ _ السعر بالغراغ دائما !

ولقد ظننت أن اللحظة التي لا أعود أشعر فيها بذلك ، قد حاثت . . غان هذه الشابة اللطيفة ، كاثت كنيلة _ بغضل الف من الصفات الرائعة ، بل وبغضل مظهرها الشخصي الذي كان خلوا من أى اغتمال أو إغواء _ بأن تستوعب كل كياني في كيانها ١ لو أنثى استطعت أن استوعب كيانها في كياني ٤ كما كنت آبل !

ولم يكن لدى ما أخشاه من ناحية الرجال _ متسد كنت موقنا من أتنى الرجل الوحيد الذي أهبته تبريز هسا مسادقا - وكانت شهواتها من الفنور بدرجة أنها نادرا ما كانت تشعر بحاجة إلى رجال غيرى ة حتى عندما كثفت عن أن أكون رجلها في هذا المجال ! ٠٠ ولم تكن لي أسرة ، في حين أنها كانت ذات اسرة ، ولم تكن هذه الأسرة - التي كان اغرادها جبيعا من منف يخالف في الخلق صنفها _ بالتي استطبع أن اعتبرها كأسرتي . . وكان هذا أول اسباب شقائي ! . . ما الذي كنت أثردد في أن أجود به ١ لكي أضع نفسي بن أبها بوضع الإبن ١٠. لقد حاولت ما وسمتنى الحيلة ، دون أن أونق إطلاقا ! . . كان من العبث أن أحاول أن أوحد كل مصالحنا ، فقد كان هذا مستحيلا . . إذ كانت الأم لا تنفك تخلق مصالح تختلف عن مصالحي ، ثم تضعها في وجه هذه ، بل وضد مصالح ابنتها برغم أن الصنفين لم يكونا مختلفين ! . . ولقد اصبحت وأولادها الآخرين واحقادها ديدانا ظامئة إلى الدماء ، وكان

السط ضرر الحقوه بثيريز ، هو أنهم راحوا بسرقونها . إذ كانت الفتاة المسكينة قد تعودت أن تنصاع مد حتى لبنات الحواتها _ فتركت نفسها نهبا ومطية ، دون أن تنبس بيئت شفة . . ولقد آلمني أن أرى أنه لم يكن بوسعى أن ألمل شيئا لمساعدتها ، برغم اننى كنت اعتصر مواردى ونصائحي في هذا السبيل ١ . . ولقد حاولت أن أقصيها عن أمها ، ولكنها كانت تعارض هذا دائما ، فاحتربت معارضتها ، وارددت تقديرا لها ، بيد أن هذا لم يحل دون أن يكون رفضها ضارا بمصالحها مصالحي . كانت مطبوعة على الوفاء لأمهسا وبقية اسرتها ، ومِن ثم نقد كانت ملكا لهم أكثر مما كانت ملكا لي ، بل وأكثـر ميا كانت بلكا لنفسها ا



مطبوعات كتابى اصدارجديد

عزيزى القارئ ،

إذا أودت أن تعرف قيمة الكنز الادبي الخالد الذي توافيك به (مطبوعات كتابي) البدم، فإليك ما كتب عنه الفكر المطلع الاستذاذ مسلامة مؤسى عن عدد ١٩ نوضمير عام ١٩٥٥ من جريدة (أخباراليوم) - إذ قال

واعترافات چان جان روسو سر الكتب الني كان يجب ان تترجم إلى لغتما قبل ١٠٠ ار ١٥٠ سنة .

كما كتب الأديب والشاعر الكبير الأستاد عميد الرحمن صدقي، في مقال بسجلة (الثقافة) بناريخ ١٤ نيفمبر ١٩٣٩ يقول «انقضى نيف وماتة وستون سنة على وشاة «روسو» ، وانمسرف الاديا، وجمهرة القواء عن مطالعة كتب «روسو» الاخرى ، ولكنهم لم وان ينصرفوا عن مطالعة (اعترافاته) ، ذلك أن الاواء في السياسة والاجتماع والتربية والاخلاق يدخلها التغيير والتبديل ، اما نموى النفس البشرية فهي لا تتفير ولانتيدل »

والواقع أن هذه (الاعترافات) التي تقدم (مطبوعات كتابي) إليك اليوم آول ترجمة امينة «كاملة» لها باللغة العربية ، هي ادق واصدق مصدر لسيرة المفكر العبقري «جان جان روسو» ولقد كان من اهم الميزات التي كتبت الخلود لهذه الاعترافات ، انها كانت أول عمل آدبي يكشف صاحبه فيه عن نفسه ، فقد سجل «روسو» في هذا الكتاب ادق اصدات حياته ـ خيرها وشرها . " طيبها وخبيئها – دون أن يجفل من مواجهة الحقيقة ا

علمصراد





